السبت 11 آذار 2023
العدد 4870 السنة السابعة عشرة
Samedi 11 Mars 2023 nº 4870 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

كاميلو خوسيه ثيلا
انتصار (متأخّر) على الرقابة

تفاصيل جريمة القرقف: هكذا قَتل الشيخُ الشيخَ [6]

استدراج «نسائي» عبر واتساب ووعد بعقد «زواج موقّت»
بطاقة تسهيل من دار الفتوى لتجاوز الحواجز العسكرية

نصر الله: اتفاق بكين يفتح آفاقاً في لبنان [5]

طهران والرياض تخلطان أوراق المنطقة
[2 ـ 3]

(أ ف ب)

البلاد

ملف

فلسطين - أفريقيا
جذور التطبيع والتضامن

[12 - 15]

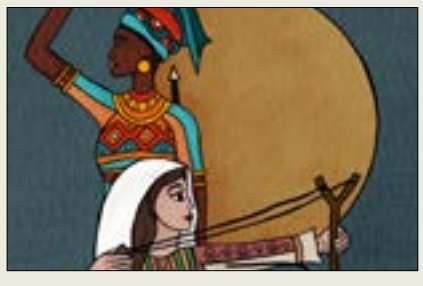

الحدث

«ديزنغوف» تفتتح حقبة جديدة
المقاومة أكثر تنظيماً

10

على الغلاف

حمل الإعلان الإيراني - السعودي المشترك عن توقيع اتّفاق في بكين على إعادة العلاقة الدبلوماسية بين البلدَين وفتْح سفارتَيهما، دلالات عميقة «ثلاثية الأبعاد» في السياسة العالمية: الأوّل، بفعل الأهمية الجيواستراتيجية لإيران؛ والثاني، بالنظر إلى الثقل النفطي والاقتصادي للمملكة؛ والثالث، اخذاً في الاعتبار تقدّم الصين نحو تكريس نفسها كلاعب فاعل في الدبلوماسية العالمية، التي كانت حتى الآن حكراً على الأميركيين، ولا سيما في الشرق الأوسط الذي كان منطقة نفوذ للولايات المتحدة طوال العقود الماضية، من دون استباق الأحداث، المؤكد أن ما شهدته بكين أمس خطوة غير بسيطة منذ الربيع العربي واندلاع الحرب السعودية على اليمن، ويأتي في لحظة تخوض فيها الولايات المتحدة حرباً كونية ضد روسيا، ويشهد فيها الكيان العبري مخاضاً داخلياً عسيراً وفي وقت كان مؤمَّلاً الانخراط السريع للرياض في حفلة التطبيع مع العدو، كما يأتي في لحظة مفصلية لبنانياً يُتوقع أن تكون لها انعكاساتها على الملف الرئاسي المعلّق، وكذلك سورياً بما قد يساعد على تخفيف الطوق المفروض على هذا البلد، علماً أن معلومات «الأخبار» تؤكد أن زيارة الرئيس بشار الأسد لسلطنة عُمان، الشهر الماضي، كانت جزءاً من وساطة تقودها مسقط، ووسط حديث عن لقاء سوري - سعودي قريب، المصالحة السعودية - الإيرانية تخلط كثيراً من الأوراق، وإذا ما قُدّر لها أن تسلك مساراتها الطبيعية، فإن من المقدّر لها أن تفتح آفاقاً جديدة في كل المنطقة، كما أشار الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أمس

طهران والرياض تخلطان أوراق المنطقة

لمسقط وبغداد حضتهما من الوساطة أيضاً

اتّفقت إيران والسعودية على استئناف العلاقات الثنائية وإعادة العمل في سفارتَيهما من جديد. وذكرت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، «إرنا»، أنه عقب زيارة الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، لبكين في شباط الماضي، أجرى أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي شمخاني، محادثات مكثّفة مع نظيره السعودي، مساعد العيبان، في الصين، بهدف العمل على حلّ المشكلات بين طهران والرياض بشكل نهائي. وفي ختام هذه المفاوضات، تمّ أمس التوقيع على بيان ثلاثي في بكين، جاء فيه أنه «استجابة للمبادرة النبيلة لرئيس جمهورية الصين الشعبية، شي جين بينغ، لدعم توسيع العلاقات بين إيران والسعودية، وانطلاقاً من مبدأ حسن الجوار، وحرصاً منهما على حلّ الخلافات بالدبلوماسية، فقد التقت وتحدّثت الوفود الإيرانية والسعودية في الفترة من 6 إلى 10 آذار 2023. ونتيجة للمحادثات، اتّفقت إيران والسعودية على استئناف العلاقات الدبلوماسية وإعادة فتْح السفارات والوكالات في غضون شهرَين». وأعلنت الرياض وطهران، من خلال البيان نفسه، أن وزيرَي خارجيتَيهما سيجتمعان لتنفيذ هذا القرار واتّخاذ الترتيبات اللازمة لتبادل السفراء، مؤكّدتَين «احترام السيادة وعدم التدخّل في الشؤون الداخلية لكلتيهما»، و«عزمهما الثابت على بذل كلّ الجهود لتعزيز السلم والأمن الإقليميين والدوليين». وتوجّهتا بالشكر إلى العراق وعُمان لاستضافتهما المحادثات التي جرت بين الجانبَين. كما شكرتا الصين لاستضافتها ودعمها اللقاءات ومحاولة جعلها تؤتي ثمارها.

(الأخبار)

حسين إبراهيم

لم يكن مفاجئاً أبداً أن تسعى السعودية التي تبحث عن استقرار الحُكم الجديد، بقيادة وليّ العهد، محمد بن سلمان، إلى اختصار الطريق بالتوجّه مباشرة نحو إعادة العلاقات مع إيران إلى طبيعتها، قفزاً فوق محاولات الأميركيين والإسرائيليين تصوير المملكة على أنها غير قابلة لـ«الفطام» عن الحماية الأميركية، وحديثاً، الإسرائيلية، على قاعدة أن طهران تمثّل «العدو المشترك»، إذ إن الواقع يؤكد أن خيار الانفتاح على إيران، هو الطريق الأقصر لتحقيق الاستقرار للمملكة والخليج، وخاصة أن السعي لتحسين العلاقات مع الجوار الخليجي هو سياسة إيرانية ثابتة، ترى طهران أنها تُحقّق مصالح دول المنطقة المشتركة الكثيرة، بعيداً عن التدخّل الأميركي الذي ثبت للسعوديين أنه لا يأخذ في الحسبان إلّا المصالح الأميركية، بدليل التوتّر الحالي في العلاقات الأميركية – السعودية.

وعلى رغم أن الملفّات الخلافية في المنطقة، قائمة بذاتها بمعزّل عن جودة العلاقات بين الرياض وطهران، إلّا أن ما لا شكّ فيه أن تطبيع العلاقات بينهما يوفّر أجواء مريحة تساعد في حلّ تلك الملفّات، بما في ذلك اليمن والعراق وسوريا وغيرها، ولا سيما أن بعضها شهد تقدّماً كبيراً، كما حصل في العراق الذي تولّى جانباً من الوساطة بين إيران والسعودية، أو اليمن الذي تجري حوله محادثات تهدف إلى التوصّل إلى هدنة طويلة، أو حتى سوريا التي حقّقت تقدماً مهماً نحو عودة العرب إليها.

ما جرى في الصين لم يكن وليد الساعة، وإنما له مقدّمات طويلة مستمرّة منذ أكثر من عامَين، قامت بدور كبير في التحضير لها، إلى جانب العراق، سلطنة عمان التي كان دورها بعيداً عن الإعلام، وإنما تكمن أهميته في أنه يضع هذا التطوّر في سياق أوسع لترتيبات تشمل اليمن وتعيد رسم التحالفات ومواقع القوى داخل «مجلس التعاون الخليجي»، وغير ذلك. ويشي تزامُن إعادة العلاقات مع تقدّم المفاوضات التي تَجري بوساطة عُمانية لإنهاء الحرب اليمنية التي مثّلت المأزق الأكبر للسعودية، وتحديداً لقيادتها الجديدة، بإعادة نظر سعودية شاملة في الخيارات التي أفضت إلى تلك الحرب، ولا سيما في العلاقات مع الإمارات التي يُنسب إليها توريط المملكة في المستنقع اليمني، ومن ثمّ غسل يديها منه والتراجع إلى مناطق النفوذ الإماراتي في الجنوب، والعمل على فصْله عن الشمال، ووضع اليد على محافظات نفطية وجزر استراتيجية، وهو ما تعمل الرياض حالياً على قلْبه.

استعادة العلاقات مع إيران بالنسبة إلى السعودية، تعني، أيضاً وحُكماً، إبطاء سير المملكة في اتّجاهات أخرى، كالتطبيع مع العدو الإسرائيلي الذي قامت المملكة بخطوات مُواربة في اتّجاهه، ولكنها امتنعت عن الذهاب نحو علاقات علنية على الطريقة الإماراتية، لاعتبارات تتعلّق بهوية المملكة التي لا تحتمل خياراً أقصى كهذا. وهي الاعتبارات نفسها التي تجعل السير في الخطّ المعاكس مريحاً لقيادتها من الناحية الشعبية، على رغم سنوات التحريض المذهبي الطويلة التي كانت مدماكاً أساسياً في السياستَين الأميركية والإسرائيلية في الشرق الأوسط. وعليه، فإن المتضرّر الأول من الاتّفاق سيكون العدو الإسرائيلي الذي مارس ضغوطاً كبيرة على السعودية لتطبيع العلاقات معه، وكان يريد أن يكون العام الجاري عام التطبيع مع السعودية. وكذلك، من شأن ما جرى أن يربك الحسابات الأميركية التي تسعى لإقامة تحالفات عسكرية تدمج بين إسرائيل وعدد من الدول العربية في مواجهة إيران. ويعزّز التوجه الجديد، التغيير الذي جرى في طبيعة السعودية تحت قيادة ابن سلمان، بعدما سعى الأخير في إضعاف الجناح الوهابي في مؤسّسة الحُكم، والذي قامت عليه السياسة الأميركية في جزء كبير منها، حين كان «الجهاديون» يتولّون تنفيذ مهمّات لصالح الولايات المتحدة، ولعبوا دوراً في جعْلها القطب الأول، والوحيد لفترة معينة، في العالم.

فوق كلّ هذا، تشير حقيقة أن الصين هي مَن تَوسّط في اتّفاق إعادة العلاقات، إلى تطوّر كبير في ما يتعلّق بحجم الصين كقوّة عالمية منافِسة للولايات المتحدة، وبالتقدّم السريع الذي تُحقّقه في منطقة الشرق الأوسط، على حساب النفوذ الأميركي، بما يعكس ارتباك واشنطن وهي تعيد صياغة سياستها العالمية. وإعادة الصياغة هذه بدأت، للمفارقة، بالإعلان عن الرغبة في مغادرة الشرق الأوسط للتوجّه نحو آسيا والتفرّغ للتصدي لصعود الصين، ثمّ تعثّرت ليتمّ إبطاؤها وإعادة النظر فيها بسبب توسّع النفوذ الصيني الذي عبّرت عنه زيارة الرئيس الصيني، شي جين بينغ، للرياض في كانون الأوّل الماضي، ثمّ بسبب تعثّر الجهد الحربي الذي تقوده الولايات المتحدة ضدّ روسيا في أوكرانيا. وبالفعل، كانت إشكالية العلاقة السعودية – الإيرانية تُمثّل معضلة بالنسبة إلى بكين في التوفيق بين دولة حليفة

> وساطة الصين تطوّر كبير نحو توسيع نفوذها في الشرق الأوسط

وأخرى تسعى لتوسيع العلاقات معها لما تمثّله من أهمية قصوى بالنسبة إليها، وخاصة بسبب ثقلها النفطي. وأدّى ذلك، خلال زيارة شي للرياض، إلى انزعاج إيراني من تبنّي الصين بياناً مشتركاً بشأن الجُزر الثلاث في الخليج. ولكن هنا أيضاً يَحضر عامل التوتّر الإماراتي الذي ترغب الرياض في تحييده حالياً.

قد لا تعني استعادة العلاقات الدبلوماسية التي قطعتْها الرياض عام 2016، حلّاً لكلّ المشكلات العالقة بين البلدَين. فهذه ليست المرّة الأولى التي تُقطع فيها العلاقات ثمّ تُستأنف، إذ سبق أن قُطعت عام 1987، إثر مقتل مئات الحجّاج الإيرانيين خلال تظاهرات في مكة، ثم استُعيدت عام 1991. لكنّ الأمر هذه المرّة يرتبط بتبدّل الخيارات السعودية في ظلّ أزمة في العلاقات مع أميركا يَثبت يوماً بعد يوم أنها عصيّة على الحل، بسبب ما يَعتقد الكثير من المراقبين أنه عدم وجود رغبة، ولا قدرة، للولايات المتحدة على الاستمرار في صيغة «النفط مقابل الأمن» التي قامت عليها العلاقات منذ ثمانين عاماً، وتغيُّر المزاج الشعبي في كلا البلدين نحو الآخر، وخاصة في الولايات المتحدة، حيث تنعدم الشهية للاستمرار في تلك الصيغة، ما يجعل الأمر مكلفاً بالنسبة إلى أيّ إدارة أميركية. وإذا ما ترسّخ تبدُّل الخيارات المشار إليها، فإن ما جرى في بكين قد يمثّل فاتحة لعهد جديد في العلاقات، مختلف عمّا عرفناه خلال السنوات الأربع والأربعين الماضية من عمر الثورة الإسلامية في إيران، حين كانت تميل نحو التوتّر والتوجّس في معظم فتراتها.

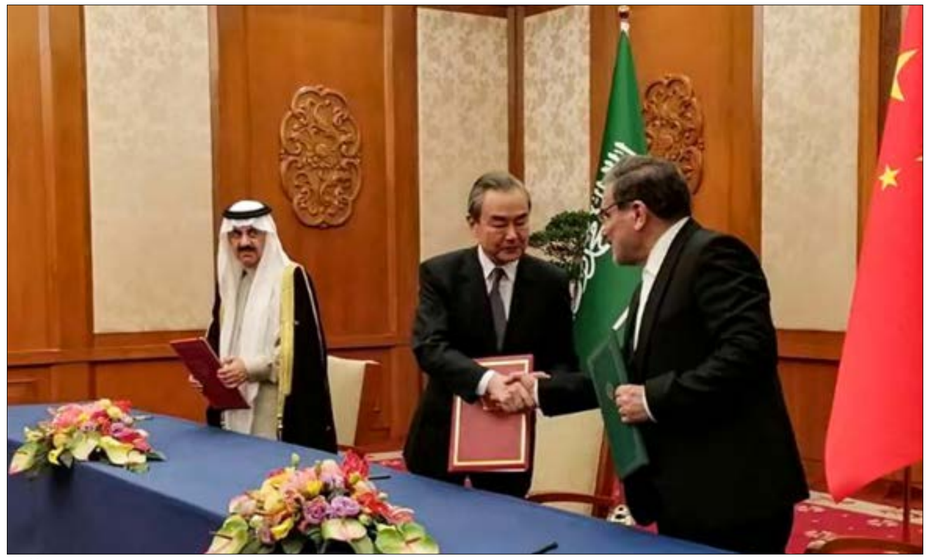

(أ ف ب)

هل تعود اللقاءات بين السعودية وحزب الله؟

قبل مغادرته منصبه، زار رئيس الوزراء العراقي، مصطفى الكاظمي، في حزيران الماضي، كلّاً من السعودية وإيران، سعياً إلى تحريك المفاوضات بين المركزين الإقليميين. في خلاصة الجولة، تقرّر أن يستأنف الطرفان علاقاتهما الدبلوماسية بعد انقضاء موسم الحج، بما عنى التريّث في تنفيذ القرار الذي كان نضج أساساً واتُّفق عليه في أولى جولات بغداد التفاوضية ولم تساعد الاعتبارات السعودية على تعجيله. كانت تلك الجولة رهان الكاظمي الأخير على إنجاز يعود عليه بالتجديد لولاية ثانية، لكن نتيجتها لم تؤدِّ الغرض الأساسي منها، والمتمثّل في التعجيل في قرار استئناف العلاقات الدبلوماسية.

إلا أنه ومع إعلان استئناف العلاقات الإيرانية - السعودية أمس، تُجدر العودة إلى تلك الجولة اليوم، وتحديداً إلى ما دار في لقاء الكاظمي مع وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان. فيومها، تجاوزت الرسائل التي حملها الأوّل من الثاني، طهران، إلى بيروت، إذ أبدى وليّ العهد استعداد نظامه للقاء «حزب الله» والتفاوض معه بوجه مباشر، من دون توقّف عند أيّ اعتبارات بما فيها حرب اليمن وتصنيف مجلس التعاون الخليجي (2016) للحزب «منظمة إرهابية».

تفاصيل اللقاء تشير إلى أن جهد الكاظمي على هذا الخط قوبل بالترحاب من ابن سلمان، وبالصراحة في آن، حيث علّق الأخير أمر اللقاء المباشر بين «حزب الله» والسعودية على شرط وحيد؛ هو أن يرتّب في المرحلة اللاحقة لعودة العلاقات الدبلوماسية بين الرياض وطهران، وفق ما تفيد به مصادر «الأخبار»، كانت تلك أولى الإشارات المهمّة إلى استعداد سعودي لسيناريو تمديد التهدئة إلى مختلف ساحات الاشتباك الإقليمي، لا فقط في اليمن، حيث تُواصل الهدن الميدانية صمودها. يشار إلى أن اللقاءات بين «حزب الله» والسعوديين انقطعت تماماً مع الحرب السورية، فيما بلغت العلاقات ذروة تدهورها مع اندلاع الحرب على اليمن.

(الأخبار)

السعودية متفائلة: لحلّ الخلافات بالحوار

قال وزير الدولة ومستشار الأمن الوطني السعودي، مساعد بن محمد العيبان، إن ترحيب الملك سلمان، وليّ عهده، محمد بن سلمان، بمبادرة الرئيس الصيني، شي جين بينغ، «يأتي انطلاقاً من نهج المملكة الثابت والمستمرّ منذ تأسيسها في التمسّك بمبادئ حسن الجوار، والأخذ بكلّ ما من شأنه تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، وانتهاج مبدأ الحوار والدبلوماسية لحلّ الخلافات». وفي الكلمة التي ألقاها خلال الجلسة الختامية للمُباحثات التي سبقت التوقيع على اتفاق استعادة العلاقات بين السعودية وإيران، والتي نشرتْها وكالة الأنباء السعودية الرسمية، «واس»، أشار العيبان إلى أن هذا «الاتفاق يأتي تتويجاً للمباحثات المتعمّقة التي أجريناها خلال هذا الأسبوع، والتي حظيت بدعم قيادات دولنا الثلاث، وتمّت خلالها مراجعة مستفيضة لمسبّبات الخلافات والسبل الكفيلة بمعالجتها»، مضيفاً أن «ما تمّ التوصّل إليه من تأكيد على مبادئ احترام سيادة الدول وعدم التدخّل في شؤونها، يُعدّ ركيزة أساسية لتطوّر العلاقات بين الدول وتعزيز الأمن والاستقرار في منطقتنا». متابعاً أنه «يحدونا الأمل في أن نستمرّ في مواصلة الحوار البنّاء، وفقاً للمرتكزات والأسس التي تضمّنها الاتفاق».

(الأخبار)

ارتياح في العواصم العربية... حذر في واشنطن... وسخط في تل أبيب

(أ ف ب)

شكّل الإعلان عن الاتفاق بين السعودية وإيران، برعاية صينية، على استئناف العلاقات الدبلوماسية، حلقة جديدة في سلسلة التغيّرات التي تشهدها الخريطة الإقليمية انطلاقاً من المتغيّرات في الخريطة الدولية الأوسع. صحيح أن ذلك القرار قد تأخّر لأسباب، لا يُستبعد من بينها تفضيل الأولى جني نتائج استثمارها في التظاهرات التي شهدتها الثانية على خلفية مقتل مهسا أميني، إلا أن إمضاءه في هذا التوقيت بالتحديد، له دلالات كثيرة، وخصوصاً بعدما تصاعد الحديث الإسرائيلي عن ضرورة تشكيل حلف مع دول خليجية لضرب إيران.

وفي أعقاب جولات تفاوض عديدة، أعلنَ أمس عن الاتفاق من العاصمة الصينية بكين، مع ما يحمله المكان من معانٍ، وخصوصاً في ظلّ التداعيات الكبيرة التي تركتْها الحرب الروسية - الأوكرانية على العالم، وبدء تحرّك القوى الإقليمية نحو تشكيل تجمّعات وتكتلات تتّخذ مسافة واضحة من المشروع الأميركي ومتطلّباته الباهظة على اقتصادات الدول وأمنها الداخلي والإقليمي. والجدير ذكره، هنا، أن بكين تجمعها علاقات جيّدة مع كلّ من الرياض وطهران، ترجمتْها في الآونة الأخيرة على شكل اتّفاقيات تعاون مع الطرفين.

وحملت كلمة كبير الدبلوماسيين الصينيين، وانغ يي، إثر الإعلان، الكثير من الرسائل بالخصوص؛ إذ قال إن «محادثات السعودية وإيران في بكين انتصار للسلام»، مؤكداً أن الصين ستُواصل القيام بدور بنّاء في التعامل بشكل ملائم مع الموضوعات الشائكة وفقاً لرغبات كلّ الدول، مشيراً إلى أن المحادثات قدّمت «أنباء جيّدة» للغاية للعالم المضطرب حالياً.

وكان الاتفاق محلّ ترحيب من دول عديدة في المنطقة، على رأسها العراق الذي قالت وزارة خارجيته: «نرحّب باتفاق السعودية وإيران لتبدأ بموجبه صفحة جديدة من العلاقات الدبلوماسية بين البلدين». بدورها، رحّبت سلطنة عُمان بالإعلان، وأملت وزارة خارجيتها «واشنطن ترحّب بأيّ جهود تساعد في إنهاء الحرب في اليمن وخفض التوتّر في الشرق الأوسط». ولعلّ هذه الإشارة الأميركية استندت إلى ما ورد في البيان الثلاثي الذي شدّد على «تفعيل اتفاقية التعاون الأمني الموقّعة بين السعودية وإيران عام 2001»، مع الحرص على بذل كل الجهود لتعزيز «السلم والأمن الإقليمي والدولي»، في ما يحيل مباشرة إلى اليمن.

> بكين: محادثات السعودية وإيران انتصار للسلام

ومن هذا الأخير، أكد الناطق الرسمي باسم «أنصار الله»، محمد عبد السلام، في تغريدة، أن «المنطقة بحاجة إلى عودة العلاقات الطبيعية بين دولها، حتى تستردّ الأمة الإسلامية أمنها المفقود نتيجة التدخلات الأجنبية وعلى رأسها الصهيواميركية». وأضاف إن «التدخلات الأجنبية عملت على الاستثمار في الخلافات الإقليمية، واتخذت القزاعة الإيرانية لإثارة النزاعات وللعدوان على اليمن». وفي لبنان، قال الأمين العام لـ«حزب الله»، السيد حسن نصر الله، إن «توقيع اتفاق استئناف العلاقات بين السعودية وإيران في تعزيز ركائز الأمن والاستقرار بالمنطقة».

وفي واشنطن، نقلت وكالة «رويترز» عن المتحدّث باسم الأمن القومي في البيت الأبيض قوله إن «واشنطن على علم بتقارير استئناف العلاقات الدبلوماسية بين إيران والسعودية»، وإن «خفض التصعيد والدبلوماسية جنباً إلى جنب مع الردع، من الركائز الأساسية للسياسة التي حدّدها الرئيس جو بايدن خلال زيارته الماضية للمنطقة». وأضاف المتحدّث إن العلاقات الدبلوماسية بين الرياض وطهران تحوّل جيد، ونحن سعداء لأن لدينا ثقة في أنه سيكون لمصلحة شعوب المنطقة»، معتبراً أن الاتفاق «إذا سار في المسار الطبيعي فسيفتح آفاقاً في كلّ المنطقة، ومن جملتها لبنان». أمّا في إسرائيل، فقد أدخل الإعلان في بازار الخلاف السياسي بين الحكومة والمعارضة. إذ هاجم رئيس الوزراء السابق، نفتالي بينيت، رئيس الوزراء الحالي، بنيامين نتنياهو، قائلاً «هذا (الاتفاق) فشل ذريع لحكومة نتنياهو وينبع من مزيج من الإهمال السياسي مع الضعف العام والصراع الداخلي في البلاد». وبحسب «يديعوت أحرونوت»، فإن بينيت رأى أن «تجديد العلاقات (بين السعودية وإيران) هو تطوّر خطير لإسرائيل وانتصار سياسي لإيران»، وأن «حكومة نتنياهو هي في فشل اقتصادي وسياسي وأمني مدوٍّ، وكل يوم من حُكمها يعرّض دولة إسرائيل للخطر»، داعياً إلى تشكيل «حكومة طوارئ وطنية واسعة».

(الأخبار)

في الواجهة

سرّ الثنائي الشيعي: فرنجية مرشّحٌ اليوم كي يُنتخب غداً؟

ظاهر الاستحقاق الرئاسي في الأيام الأخيرة يعاكس باطنه. المعلن والموحى به أن البلاد كأنّها قريبة من انتخاب الرئيس، فيما الكامن المضمر أنه أضحى أبعد ممّا كان منذ ما قبل أكثر من أسبوع. كلتا وجهتَي النظر مصيبتان وخائبتان في الوقت نفسه

(هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

بعدما جهر الثنائي الشيعي بمرشحه النائب السابق سليمان فرنجية، لم يعد ينقص القواعد الطبيعية والمنطقية لانتخابات الرئاسة سوى تحديد موعد جلسة الانتخاب كي يتنافس فيها المرشحان المعروفان، فرنجية ونائب زغرتا ميشال معوض المسمّى من فريق المعارضة. فجأة، صار انتخاب الرئيس يشبه الماضي البعيد ويناقض الماضي القريب. في الماضي البعيد، في أكثر من استحقاق، ذهب النواب الى انتخاب رئيس من بين مرشحَين متنافسَين على الأقل كما في أعوام 1958 و1964 و1970 و1976 و1989 (الأولى). في الماضي القريب، منذ ما بعد اتفاق الطائف، انتخاب الرئيس مقصور على مرشح واحد معدوم المنافسة كأعوام 1989 (الثانية) و1998 و2008 و2016 من غير إغفال تمديدين للولاية على التوالي عامَي 1995 و2004 أوصدا الأبواب دونهما. لم تعرف مرة حقبة ما بعد الاتفاق انتخاب رئيس في مدلوله الطبيعي والدستوري غير المشوب بعيوب شتّى، إما بدافع إنهاء الحرب بأيّ ثمن كما مع الرئيس إلياس الهراوي، أو بتعديل الدستور بلا منافس كالرئيس إميل لحود، أو لإطفاء نار سنيّة - شيعية كالرئيس ميشال سليمان، أو بتسوية ملتبسة كالرئيس ميشال عون. لم ينافس أحد هؤلاء، ولذا كان انتخابهم غير طبيعي لأن الفائز عُرف سلفاً قبل الوصول الى الجلسة وبلا اقتراع سرّي كما تشترط المادة 49 من الدستور.

في المسار الذي بات أخيراً يسلكه الاستحقاق الحالي، في ظاهره على الأقل، أنها المرة الأولى - قياساً بما عبر - يكون طبيعياً. ربما أكثر من طبيعي ومنطقي لأنه وصل الى محطة يُظنُّ أنها الأخيرة - كما في الماضي - بوجود مرشحَين رسميَّين معلنَين، الى مرشحين سواهما غير معلنَين، ما يفسّر أن البلاد أمام فرصة خاتمة الشغور.

في الجلسات الإحدى عشرة المنصرمة، أهون السبل ذهاب الكتل النيابية الى البرلمان لإظهار انصياعها للنصّ الدستوري بانتخاب الرئيس. غير الطبيعي في الجلسات تلك أنّ لدى فريق مرشحاً معلناً هو ميشال معوّض، ولدى فريق آخر مرشحاً شبحاً بلون الشبح هو الورقة البيضاء، فضلاً عن سخرية نواب من الاستحقاق نفسه بالاقتراع لمسمّيات ونعوت. في الجلسات تلك، توافر الثلثان للدورة الأولى من الاقتراع، ثم راح يطير النصاب بعد انتهائها. في المسار الجديد، انقلبت الأدوار رأساً على عقب: الذين كانوا يتمسّكون بانعقاد الجلسات والمكوث في القاعة باتوا يلوّحون منذ الآن بامتناعهم عن الحضور وتعطيلها، والذين عكفوا على إعطاب نصاب الثلثين في الجلسات نفسها هم الآن مستعجلون الذهاب الى التصويت. إذاً، الحصيلة نفسها: لا جلسة قريبة لانتخاب الرئيس بعدما انتهى الاشتباك بين الطرفين الى استخدام السلاح الأبيض في المواجهة، وهو نصاب ثلثي البرلمان كي يتمكّن من الانعقاد: يريده الثنائي الشيعي وحلفاؤه لانتخاب فرنجية، ويريده الفريق الآخر لانتخاب سواه.

السلاح الأبيض آخر عدة المواجهة في الاستحقاق: توفير الثلثين او تعطيلهما

أنه قد يفوز، انتقال وليد جنبلاط - أكثر الشغوفين بما بعد الخطة (ألف) الى كل الذي يليها - من تأييد معوض الى طرح لائحة من ثلاثة أسماء الى الوقوف الأسبوع الماضي بكليّته وراء رئيس المجلس نبيه برّي في ما أدلى به، مع أن الزعيم الدرزي ضدّ انتخاب فرنجية. أما «التغييريون» فلا أحد يعلم أين انتهوا؟

ثانيتها، ما يسمعه زوار رئيس المجلس صاحب الصلاحية الدستورية أنه سيعلن في اليوم التالي موعد جلسة انتخاب الرئيس إذا أبلغته الكتل أنها جاهزة للذهاب إليها بمرشحها: تنافس مرشحَين أو أكثر، سواء تقاربت الحظوظ أو تكافأت أو تباعدت. يقول برّي أيضاً إنه فتح باب الترشيحات وباتت يكمن مغزى المرحلة الجديدة من الاستحقاق، المفترض أن ترشيح الثنائي الشيعي فرنجية سهّله، في بضع ملاحظات:

أولاها، تحلّل تدريجي لما رافق مرحلة الجلسات الإحدى عشرة: لا أوراق بيض بعد الآن، مرشح الثنائي الشيعي نهائي يتقدم به كي يُنتخب، لا كي يفاوض أو يساوم عليه، تضعضع المؤيدين لمعوّض الذين انتقلوا بدورهم من الإفراط في الكلام عن تأييده والتمسك به الى إعلانهم رفض المرشح المقابل ومقاطعتهم جلسة الانتخاب إذا بَانَ خيارات الجميع معلنة على الطاولة لا تحتها. بيد أنه يعرف، وسبق أن اعترف، كما الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، أن لا أحد يملك أن يفرض على الآخر مرشحه، وليس في حوزته أيٌّ من الأكثريّتين المرجّحتين، سواء الثلثين للحضور والفوز في الدورة الأولى أو النصف زائداً واحداً في الدورة الثانية وما يليها. بذلك أوحى برّي، كما من بعده نصر الله، أن الثنائي الشيعي وحلفاءه يحتاجون الى الأفرقاء الآخرين لاكتمال عقد الجلسة، من غير أن يكونوا قد ضمنوا سلفاً انتخاب فرنجية الذي يدور المؤيدون له حتى اللحظة حول 55 نائباً على الأكثر.

ثالثتها، يتعامل الثنائي الشيعي مع ترشيح فرنجية على أنه خياره الوحيد والأخير، ولذا يقاربه على نحو مطابق لما فعل حزب الله، من دون برّي، في شغور 2014 - 2016 مع ترشيح الرئيس ميشال عون على أنه نهائي كي يلتحق الآخرون به. ذلك ما حصل بالفعل برمية من غير رام ذهب ضحيّتها فرنجية بالذات، عندما انضمّ رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، ثم من بعده الرئيس سعد الحريري الى تأييد الرئيس السابق ميشال عون ثم انتخابه. في جلسة 31 تشرين الأول 2016، فاز بأصوات الغالبية النيابية في حضور الكتل كلها بلا استثناء، المصوّتة له والمعارضة، مع ذلك غُدّ عون في نهاية المطاف مرشح الحزب بالذات. الأمثولة الأكثر اعتباراً سياسياً لدى حزب الله حينذاك أنه لم يتخلَّ عن حليف رشّحه. في الاستحقاق الحالي، يفتح الثنائي الشيعي سباقاً مماثلاً مع الوقت طال أو قصر من طرازٍ مختلف كي يفضي الى النتيجة نفسها. باب التفاوض مع الأفرقاء الآخرين في الداخل والخارج مفتوح ليس على ترشيح فرنجية وانتخابه، وإنما على السنوات الست المقبلة في العهد الجديد.

المشهد السياسي

نصر الله: تقارب الرياض وطهران يفتح آفاقاً في لبنان

رأى الأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصر الله أن التقارب السعودي - الإيراني سيكون لمصلحة شعوب المنطقة وليس على حسابها، «وإذا سار هذا التقارب في المسار الطبيعي يمكن أن يفتح آفاقاً في المنطقة وفي لبنان أيضاً». وأضاف إن «سوريا حين تكون آمنة مستقرة وغير محاصرة وتنمو اقتصادياً، فإنّ هذا الأمر له تأثيرات عظيمة على لبنان وفلسطين، ومن يناقش بهذه الحقيقة يعيش خارج الواقع»، لافتاً إلى أن «الحصار على دول المنطقة سيُكسر بفعل بعض التحوّلات الدولية والإقليمية».

من جهته، اعتبر رئيس التيار الوطني الحر، النائب جبران باسيل أنه «أخيراً حصل ما كان يجب أن يكون: اتفاق السعودية وإيران، وقريباً سوريا، وهو ما سيحدث موجة استقرار في المنطقة تطال لبنان، اللهمّ نجّنا من مخرّبيه»، فيما وصف رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط عودة العلاقات السعودية - الإيرانية بأنه «انجاز كبير في تخفيف التوترات في الشرق العربي»، وشدد وزير الخارجية والمغتربين في حكومة تصريف الأعمال عبدالله بوحبيب على أنّ «اتفاق السعودية وإيران سيترك أثره الإيجابي على مجمل العلاقات الإقليمية في المرحلة المقبلة».

وفي ذكرى أسبوع القائد الحاج أسد محمود صغير (الحاج صالح)، قال نصر الله: «الانفتاح على سوريا هو اعتراف بنصر سوريا، وعندما نرى وفوداً عربية أو غربية رسمية في دمشق نشعر بالسعادة ولا نقلق ولا نخاف لثقتنا بالقيادة السورية وموقعها في محور المقاومة الذي تعمّد بالدم، وأيّ جبهة داخلية يتم إغلاقها نكون سعداء». وإلى الذين يقولون إن سوريا ستخرج من محور المقاومة حين تُستعاد إلى الحضن العربي، أكد أن «هذا غير صحيح، بل إن سوريا هي في قلب محور المقاومة، وفي السنة الثانية من الحرب الكونية عليها عُرض على القيادة السورية أن تتخلّى عن موقعها التاريخي في الصراع مع العدوّ وعن موقعها في محور المقاومة فرفضت». وأشار الى أن «علاقة الثقة تعمّدت بالدم حين قاتلنا في سوريا، وهذه المعركة عزّزت أواصر الثقة. والقيادة السورية تمارس كامل سيادتها، وأيّ كلام عن هيمنة إيران غير صحيح»، لافتاً الى

أن «لدى الكثير من الدول العربية رغبة بفتح العلاقات مع سوريا، لكن المانع هو الأميركي».

وكرّر نصر الله موقف الحزب من الانتخابات الرئاسية، مشيراً إلى «أننا ندعم مرشحاً طبيعياً لرئاسة الجمهورية، وأنتم رشّحوا من تريدون ولنتحاور»، مشدداً على «أننا لا نريد أن نفرض رئيساً للجمهورية على أحد، ونريد أن نفتح الأبواب لإتمام هذا الاستحقاق. وحقّ الترشيح ليس لطائفة محددة، بل يستطيع أيّ نائب أو كتلة نيابية ترشيح من تريد»، داعياً مجدداً إلى «عدم انتظار الخارج، ولا يحقّ لأي دولة خارجية أن تفرض أيّ فيتو في ما يتعلق بالاستحقاق الرئاسي».

وتطرّق نصر الله إلى ما يجري في فلسطين باعتباره «تاريخياً ومهماً جداً»، معتبراً أن «ميّزة ما نحن فيه الآن أن في المنطقة محوراً للمقاومة جاداً ومخلصاً ومستعداً لأعلى مستوى من التضحيات، وليس مستعداً للخضوع وهدفه واضح في تحرير فلسطين من النهر إلى البحر». كما شدّد على أنّ «ما وصل إليه الكيان اليوم هذا ليست أسبابه الخلافات الداخلية بل الصمود في المنطقة، والمقاومة في فلسطين ولبنان وصمود سوريا وتطور محور المقاومة»، مضيفاً إنهم «يتحدثون في كيان الاحتلال عن الخراب الثالث وانتهاء الحلم الصهيوني وهذه حقائق، وهناك إجماع داخل الكيان على أن الانقسام الداخلي والعامل الخارجي سيؤديان إلى الزوال»، مؤكداً أن «التطبيع مع الدول لا يحمي الكيان ولا يمكن أن يوقف العمليات».

تقرير

أهالي حولا «ثأروا» لضحايا مجزرة الهاغاناه

آمال خليل

من دون توقف، يتنقّل العدو الإسرائيلي بورشة تحصيناته الأمنية على طول الحدود الجنوبية. أول من أمس، بدأت الجرافات أعمال الحفر لتجهيز خنادق لتدعيم السياج الشائك في بلدة البستان (قضاء صور) في القطاع الغربي، بعد تسجيل عمليات تسلل لأشخاص. ورشة البستان بدأت بعد الانتهاء من ورشة مماثلة في حولا انتهت الأربعاء. كما سبقتها أشغال في تلة الراهب قبالة عيتا الشعب وغديسة والمطلة ووادي هونين، على أن تنتقل لاحقاً إلى كروم الشراقي في خراج ميس الجبل، واستكمال مدّ السياج الشائك بين وادي هونين والعباد. وتشمل التحصينات تدعيم السياج الشائك في المناطق التي لا تزال مفتوحة لناحية الأراضي الفلسطينية المحتلة لمنع تسلل الأشخاص. علماً أن العدو علّق تشييد الجدار الإسمنتي الذي يخطط لرفعه على طول الحدود من مزارع شبعا المحتلة إلى رأس الناقورة لدواع تمويلية وأمنية. وكانت المرحلة الأولى من الجدار قد نُفذت عند بوابة فاطمة (جدار كفركلا) عام 2012، فيما أعلن العدو عام 2018، عن استكمال تشييده باتجاه عديسة نزولاً إلى القطاعين الأوسط والغربي. وفي المقابل، أقامت المقاومة أبراجاً في نقاط متعددة على بعد أمتار من الحدود. أعمال الجرف والتسييج التي نُفذت عند تلة العباد الأسبوع الجاري، كانت فرصة لشبان حولا للثأر لشهداء المجزرة التي ارتكبها العدو في البلدة عام 1948، وللظلم الذي عانته خلال سنوات الاحتلال. عند أحد سفوح تلة العباد، حيث يقع الموقع الإسرائيلي الضخم قبالة مستعمرة كريات شمونة، مدّ العدو أسلاكاً شائكة بين البراميل الزرقاء التي تحدد معالم الخط الأزرق. في حقل مليء بأشجار التين والسنديان والملول المعمرة، وقف الجنود المدجّجون بأسلحتهم والمحميون برشاشات القناصة وفوهات الميركافا، وجهاً لوجه ومن دون قاطع مصوّرة وهو يهزأ بالجنود المشاركين في الجرف والحفر والتدعيم والحماية. رصد وجوههم المتعبة وعيونهم الخائفة. في الأيام الماضية، كانت المرة الثانية التي يقف فيها وجهاً لوجه مع الجنود الإسرائيليين. المرة الأولى كانت بعد تحرير بلدته. كان من بين الذين تفقّدوا القبر المنسوب إلى أحد العبّاد أو الزهّاد فوق التلة المرتفعة. ترسيم الخط الأزرق حينها شطر القبر نصفين، قبل أن يستحدث العدو موقعاً ضخماً. «إثر التحرير، كان الجنود فوق القبر يتاهبون في وجوهنا. يفرضون رهبتهم ويصوّبون رشاشاتهم لتخويفنا وإبعادنا. أما الآن، وبعد 23 سنة، فقد شعرت فعلاً بأن إسرائيل انتهت. لم يكن من حاجز بيننا. لم يرفعوا رشاشاتهم في وجوهنا. بل كانوا مربكين، ينهون عملهم بسرعة بحماية مدرعاتهم وقوات اليونيفيل». يشعر قطيش بغبطة غير مسبوقة. «كأنه حلم تحقق أخيراً. ثأرت لشقيقتي وأربعة من أشقائي الذين اقتادتهم إسرائيل وعملاؤها إلى معتقل الخيام. وثأرت لشهداء مجزرة حولا التي ارتكبتها عصابات الهاغاناه ضد الأهالي العزّل انتقاماً لدعمهم جيش الإنقاذ العربي الذي حضر لنصرة فلسطين بعد النكبة». من حوله، جلس أبناؤه الذين نشأوا بعد عدوان تموز 2006، يفرحون لمقارعة والدهم لجنود العدو، لكنهم لا يفقهون أثر الحلم الذي حقّقه بوقفته. «هم لا يعرفون إلا إسرائيل الأوهن من بيت العنكبوت. أما أنا فأعرفها في عزّها الذي عشنا تحت نيره 22 عاماً. لا أنسى خوفي وأنا طفل من دبابة الميركافا التي كانوا يسمونها دبابة الرب وهي تقتحم بلدتنا مع العملاء لاعتقال إخوتي وأقاربي وجيراني. أنا ملدوغ منهم. كنت كالمثل القائل: مجروح وطالع عالكروم. فشّيت خلفي وشمتّ بهم».

(شريف طاهر)

لم يرفعوا رشاشاتهم في وجوهنا. بل كانوا مربكين. ينهون عملهم بسرعة بحماية مدرعاتهم وقوات اليونيفيل

إلى جانب انقضاض أحد مواقع مجزرة 1948، يجلس محمد مصطفى (87 عاماً)، مبتسماً وهو يتابع أخبار التحصينات الإسرائيلية. الناجي من المجزرة لا يستغرب حماسة شبان البلدة للتشويش على الورشة المعادية في العباد، ويوقن أن العدو لن يمسّهم. «إسرائيل عارفة مين في وراهم. إنها المقاومة. لن تجرؤ على المسّ بأيّ منهم، مهما فعل. سواء سحب جعبة أحد جنودها أو رماهم بحجر». يحفظ مصطفى موقع الأشغال بدقة. «إنه جلّ بيت قطيش المقابل لقلعة هونين. كنا نقصده صغاراً لنمشي بين أشجار التين. فكيف أصبح خلف الخط الأزرق وضمن (الأراضي الإسرائيلية)، ما دام التين نفسه على جانبي الخط؟».

تقرير

هل يمر «قطوع» ثأر عين الحلوة؟

علي حشيشو

منذ عشرة أيام، يعيش مخيم عين الحلوة على وقع احتمال اندلاع اشتباك ثاري بين الإسلاميين وحركة فتح على خلفية اتهام خالد علاء الدين، المحسوب على «عصبة الأنصار»، بقتل الفتحاوي محمود زبيدات. وعود الفصائل الفلسطينية بتسليم علاء الدين لم تتحقّق، فيما وعدت «العصبة»، في بيان مساء أمس، بأن «تعمل على تسليم مرتكب الجريمة إلى السلطات اللبنانية». فيما حصّن مقاتلو فتح مواقعهم واستحدثوا سواتر في البراكسات والشارع الفوقاني وقبالة مسجد الصفصاف استعداداً لمعركة قد تندلع في أيّ لحظة ضد معاقل الإسلاميين، حيث يتوارى المتهم، ما أدى إلى تصاعد التوتر وإقفال المحالّ ونزوح عشرات العائلات.

التهويل الفتحاوي باشتباك قد يدمّر المخيم، حرّك الفصائل الفلسطينية والقوى اللبنانية للتفاوض مع العصبة وإقناعها بتسليم علاء الدين. ووفق معلومات «الأخبار»، فقد «نجحت مفاوضات المرحلة الأولى في دفع العصبة إلى إدانة الجريمة والتبرؤ من فعلة المتهم الذي أحضر الى أحد المراكز العسكرية في المخيم تمهيداً لتسليمه إلى عناصر من استخبارات الجيش اللبناني كانوا ينتظرون عند مدخل المخيم من جهة درب السيم. إلا أن «العصبة» عدلت عن رأيها في اللحظات الأخيرة بسبب «تباينات بين قياديّيها حول المسؤولية المترتّبة عن التسليم». وعُزي ذلك إلى «رفض تحمّل محاكمة غير شرعية إسلامياً من قبل القضاء اللبناني من جهة، ولأن سجلّ المتهم الأمني قد يجرّ العصبة إلى تداعيات قد لا تنتهي».

وبعد فشل التسليم في المرحلة الأولى، حشدت فتح عشرات المقاتلين في الشارع الفوقاني والبركسات مقابل حيّي الصفصاف والرأس الأحمر، حيث ثقل العصبة. فيما انطلقت اتصالات مكوكية بين القوى الفلسطينية ولا سيما السفارة الفلسطينية وفتح وحماس والعصبة مع حركة أمل وحزب الله والشيخ ماهر حمود. كما دخل الرئيس نبيه بري على خط التفاوض.

آخر محاولات التسليم، كانت ليل الخميس في مقر الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين. وبحسب مطّلع على اللقاء، تمت مراجعة تسجيلات كاميرات المراقبة الخاصة بالعصبة وتثبّت المعنيون من أن علاء الدين هو من أطلق النار على زبيدات أثناء وجوده في السيارة التي كانت تقلّ جريحاً من فتح سقط في إشكال فردي. وبناءً عليه، طلبت العصبة إمهالها ساعات لإيجاد إخراج لعملية تسليمه إلى القضاء اللبناني. وكبادرة حُسن نية وبطلب من الوسطاء اللبنانيين، سحبت فتح مسلحيها من الشوارع وأزالت المتاريس والدشم، باستثناء تلك الموجودة في حيّ البركسات، حيث تتمركز عشيرة القتيل.

مصادر لبنانية متابعة قالت إن «الوضع كان على شفا انفجار خطير، وإن الحادثة كادت تعيد أجواء الاقتتال بين فتح والعصبة، ما قد يدمّر المخيم ويهجّر أهله ويلحق الضرر بصيدا. وقد تلاقيه القوى المعادية لاستغلال الاشتباكات بافتعال أحداث أمنية في لبنان».

قضية اليوم

تفاصيل جريمة القرقف: هكذا قتل الشيخُ الشيخَ

استدراج «نسائي» عبر واتساب ووعد بعقد «زواج مؤقت» بطاقة تسهيل من دار الفتوى لتجاوز الحواجز العسكرية

كشفت تحقيقات فرع المعلومات تفاصيل ملابسات قتل إمام مسجد بلدة القرقف العكارية الشيخ أحمد شعيب الرفاعي. في جريمة خطّط لها ونفّذها رئيس البلدية، الشيخ أيضاً، يحيى الرفاعي. بالتعاون مع نجله وثلاثة من أبناء شقيقته. عملية «نظيفة» أرادها المنفذون الذين تنكروا بملابس قوى أمنية واستخدموا أجهزة لاسلكية وبطاقات تسهيل مرور من دار الفتوى. وتفادوا أكبر عدد ممكن من كاميرات المراقبة. قبل أن ينتهي الشيخ القتيل في حفرة أهالوا فوقها التراب. وعادوا إلى البلدة للمشاركة في اعتصامات تطالب بالكشف عن مصيره

(الأخبار)

رضوان مرتضى

على مدى خمسة أعوام، لم تخمد نار الخلاف بين رئيس بلدية القرقف العكارية الشيخ يحيى الرفاعي، وهو إمام مسجد ومدير لمدرسة الأندلس، وإمام وخطيب مسجد القرقف الكبير الشيخ أحمد شعيب الرفاعي. الشكاوى الرسمية التي رفعها عدد من أبناء البلدة ضدّ رئيس البلدية، منذ عام 2012، واتهامه بهدر المال العام والإثراء غير المشروع وتحويل المشاريع العامة الى استثمارات خاصة، وبيع مشاعات البلدة، وطلب التحقيق معه في أسباب «كسبه المادي بصورة فاحشة»، تطوّرت إلى اشتباكات وصدامات واعتداءات وإحراق سيارات. لم يهدأ الشيخ أحمد يوماً في متابعة الشكاوى، وفضح ممارسات الشيخ يحيى على مواقع التواصل الاجتماعي. مطلع شباط الفائت، تجدّد الخلاف وتطور إلى إطلاق نار بين الطرفين، بعدما نشرت صفحة وهمية على فايسبوك باسم «ريم الرفاعي» اتهامات طاولت رئيس البلدية وعائلته. وابلغ علي يحيى الرفاعي المحققين أنه بعد ادّعاء والده لدى مكتب مكافحة جرائم المعلوماتية، تبيّن أنّ من يدير الصفحة هو الشيخ أحمد وشقيقه محمود المقيم في ألمانيا.

بدا أن الخلاف المزمن غير قابل للحل، فقرّر رئيس البلدية، بعد فشل كل محاولاته لإسكات غريمه، أن «آخر الدواء»... القتل، وبدأ التخطيط لتنفيذ جريمته.

إلى جانب ابنه علي (مواليد 1995)، كان على يحيى الرفاعي البحث عن منفّذين آخرين، فوقع خياره على أبناء شقيقته الثلاثة الذين يرعاهم منذ وفاة والدهم. استدعاهم، وعرض عليهم خطته لخطف الشيخ أحمد وقتله، فوافق الثلاثة على الفور على تنفيذ ما يطلبه «الخال».

قبل أسبوع من موعد ارتكاب الجريمة، تولّى علي استطلاع شوارع مدينة طرابلس لاختيار المكان الأنسب والأهدأ لاستدراج الضحية بعيداً عن كاميرات المراقبة، ووجد ضالّته في موقع خلف مبنى الجامعة العربية في الميناء. بعدها، استطلع الشيخ يحيى الموقع بنفسه، برافقه نجله وأبناء شقيقته، وعاينوا المسالك المؤدية إلى الموقع ومنه... لتبدأ مرحلة التنفيذ.

مطلع شهر شباط، راسل علي الرفاعي الشيخ أحمد عبر تطبيق «واتساب» منتحلاً صفة امرأة تُدعى «نانسي عباس» تطلب مساعدته في قضية طلاق. تكررت المراسلات وتوطّدت العلاقة هاتفياً بين الشيخ أحمد و«نانسي» المزعومة التي تودّدت إليه وأرسلت له صوراً مسحوبة من الإنترنت مدّعية أنها صورها. وادّعت أنها تعمل في صالون لتصفيف الشعر تملكه «سارة الحسين»، وأرسلت له صور الأخيرة وعرضت عليه التواصل معها مدّعية أنها ترغب في الزواج. لم تكن «سارة الحسين» إلا علي الرفاعي نفسه. بدأت الاتصالات بين الشيخ أحمد و«سارة» وتطورت إلى أحاديث حميمة، وأرسلت إليه صوراً مسحوبة من الإنترنت، فكان أن عرض عليها عقد زواج مؤقت. الأحد، في 19 شباط، نسّقت «سارة» موعداً مع الشيخ أحمد على أن تلتقيه في اليوم التالي بحضور «نانسي»، عند السادسة والنصف مساء، خلف مبنى جامعة بيروت العربية، وطلبت منه أن يحضر معه صنفاً من الحلويات وهاتفاً خلوياً كون هاتفها يُعاني من مشكلة في الإرسال. في التحقيق معه، أفاد علي الرفاعي بأن أي اتصال صوتي أو بتقنية الفيديو لم يحصل بين «سارة» والشيخ أحمد، وأن الأخير حاول في إحدى المرات الاتصال بـ«سارة» هاتفياً، فـ«قطعت الإنترنت عن الاتصال وتذرعت بأن الشبكة ضعيفة».

> ثلاث ضربات على الرأس ورصاصة في القلب لم تقتل الرفاعي فأُجهز عليه برصاصة في الرأس
>
> أدعى رئيس البلدية أن النية كانت خطف الشيخ أحمد و«تسليمه إلى السوريين لتأديبه وليس قتله»

مساء الإثنين، 20 شباط، أدّى الشيخ أحمد الرفاعي صلاة المغرب في مسجد البركة في البداوي، ومرّ بمحل حلويات في طريقه إلى البحصاص إلى الموعد المتفق عليه قبل أن ينقطع الاتصال به نهائياً.

طرف الخيط الأول الذي تبعه المحققون كان بعض كاميرات المراقبة المثبتة على جوانب طرقات عبرتها سيارة الشيخ الرفاعي، وهي من طراز «هوندا» Crv لون فضي. فتبين أنّ منفذي عملية خطف الشيخ استخدموا سيارتين من طراز «كيا»، إحداهما سوداء تحمل لوحة مزوّرة، والثانية «جردوني» عائدة إلى رتيب في قوى الأمن الداخلي. (استُمع إلى إفادته لاحقاً وتبين أنه أعار سيارته إلى ابن عمه من دون أن يكون على علم بأي أمر حول الجريمة). اتفق المنفّذون على عدم اصطحاب هواتفهم الخلوية أثناء العملية، والتواصل عبر أجهزة «ووكي توكي» لعدم تعقّب اتصالاتهم.

كانت هذه السيارة في انتظار الشيخ أحمد الذي وصل بسيارته لتلحق به سيارة الـ«كيا» السوداء التي كان الشيخ يحيى يقودها وإلى جانبه نجله علي، وسدّت الطريق وراءه. ترجّل الشبان الثلاثة من السيارة الأولى، وكانوا يرتدون لباس قوى الأمن الداخلي ويحملون أسلحة، ما أوحى بأن ما يجري هو عملية أمنية. أمروا الشيخ بالنزول من سيارته، ليعالجه علي الرفاعي من الخلف بضربة من كعب مسدسه، فسقط أرضاً، ثم عاجله بضربة بـ«قسطل» حديديّ فغاب عن الوعي. قيّد الشبان الأربعة الضحية بالأصفاد، وربطوا رجليه بأربطة بلاستيكية، وحشروه في صندوق السيارة التي كان الشيخ يحيى وراء مقودها. انطلق الأخير بالسيارة وإلى جانبه نجله، وتبعتهم السيارة الأخرى وسيارة الشيخ التي تولى أحد الشبان قيادتها في اتجاه موقف الـ«سبينيس» في طرابلس، حيث رُكنت الـ«كيا» الـ«جردونية»، وأكملت السيارتان الأخريان نحو محيط مستشفى هيكل في راس مسقا (الكورة)، حيث رُكنت سيارة الضحية، فيما تابعت الـ«كيا» السوداء يقودها الشيخ يحيى ومعه ابنه وأحد أبناء شقيقته، في اتجاه البحصاص، ورُصد مرورها على حاجز الجيش في دير عمار باتجاه المنية، ثم جديدة القبيطع.

في الطريق إلى الضنية، تعالى أنين الشيخ الذي استفاق وبدأ بالضرب على صندوق السيارة، فترجّل علي منها وفتح الصندوق وضرب الضحية على رأسه بالقسطل مرة أخرى ليغيب عن الوعي مجدداً. بعد فترة قصيرة، استفاق الشيخ مجدداً، وعاد إلى الضرب على صندوق السيارة، فترجّل علي مرة أخرى، ومجدداً وجّه إلى الشيخ ضربة بالقسطل أفقدته الوعي. مرة ثالثة، استفاق الشيخ من غيبوبته وعاد إلى الضرب على صندوق السيارة. أوقف الشيخ يحيى السيارة إلى جانب الطريق الخالي من المارة في محلة المعرض، وقال لنجله: «يلا!»، فترجّل الأخير وفتح صندوق السيارة وصوّب مسدسه إلى قلب الشيخ أحمد وأطلق النار، وظنّ أنه أنهى عليه. أكملت السيارة طريقها، وقبل وصولها إلى حاجز الجيش في دير عمار، فوجئوا بأنين مرتفع يصدر من صندوق السيارة، وبطرق من الداخل، فقال علي: «يبدو أن الرصاصة أصابت أسفل القلب»! عندها بدأ الشيخ يحيى يطلق «زمور» السيارة للتمويه على صوت الأنين، وعاد أدراجه مسرعاً في اتجاه المعرض، حيث ترجّل علي وابن عمته، وعمدا إلى ربط يدي الشيخ برقبته قبل أن يطلق علي رصاصة على رأسه. قاد الشيخ يحيى السيارة باتجاه دير عمار، وقبل الوصول إلى الحاجز، توقف للتأكد من أن الضحية أسلمت الروح. طلب العسكري على الحاجز من سائقها أن يتوقف يميناً، فأبرز الشيخ يحيى بطاقة دار الفتوى التي يحملها لتسهيل مروره، واجتاز الحاجز بأعصاب باردة.

وصل الثلاثة إلى وجهتهم في منطقة عيون السمك حيث كانوا قد جهّزوا مسبقاً حفرة بعمق ثلاثة أمتار، ألقوا فيها الجثة وأهالوا عليها بعض التراب عليها بواسطة رفش تركوه هناك مسبقاً، ليعود ابن شقيقة الشيخ يحيى لاحقاً وهو سائق جرافة، لطمر الحفرة تماماً.

بعد الجريمة، تخلّص علي من شريحتي الخطين الهاتفيين اللذين استخدمهما لاستدراج الشيخ أحمد، وطمر مسدساً كان يحمله الشيخ أحمد في حديقة منزل والده.

في 24 شباط، بعد أربعة أيام على الجريمة، أوقف فرع المعلومات، بناءً على إشارة القاضية سمرندا نصار، علي يحيى الرفاعي. طرف الخيط الذي قاد إليه، كان تحديد الفرع الفني في «المعلومات»، بالتوازي مع رأتا كاميرات المراقبة، رقمين أمنيين تطابقا مع مسلك سيارتَي الكيا وانقطعا عن الشبكة مباشرة بعد تنفيذ العملية. كذلك تبيّن أن أحد الخطين الهاتفيين اللذين استُخدما لاستدراج الضحية، استخدمه علي الرفاعي أعوام 2017 و2019 و2021، كما تبين أنّ رقم علي الرفاعي لم يسجّل أي اتصالات أثناء عملية الخطف، وبقي ضمن نطاق القرقف. بعد توقيفه، حاول علي الرفاعي تضليل التحقيق، فقدّم رواية كاذبة لإخفاء تورط والده، مدعياً بأنّ مصطفى المبقاتي الذي أوقفه الجيش شارك في الجريمة مع شخصين من وادي خالد والبقاع. بعدها أرشد المحققين إلى مكان سيارة الضحية قرب مستشفى هيكل، ثمّ عبر محاولة التراجع عن إفادته، قبل أن يعترف بتفاصيل الجريمة التي كادت أن تشعل فتنة طائفية قبل أن يتبين أن دوافعها عائلية، فيما حاول الشيخ يحيى أثناء التحقيق معه المراوغة مدّعياً بأنّ النية كانت خطف الشيخ أحمد و«تسليمه إلى السوريين لتأديبه وليس قتله».

رأي القانون والشرع!

بعد اختفاء الشيخ أحمد شعيب الرفاعي، تصدّر رئيس بلدية القرقف ومنفذ عملية الخطف والقتل الشيخ يحيى الرفاعي لقاءات المشايخ والفاعليات التي طالبت بالكشف عن مصير الشيخ المختفي. غير أن الشيخ المخطّط، على ما يبدو، كان يشعر بأنه لن ينجو من فعلته. إذ رصد الفرع الفني في المعلومات أنّ الرفاعي أجرى بحثاً على محرّك «غوغل» للاطّلاع على العقوبات التي يُحكم بها من يشارك في عملية خطف بحسب القانون اللبناني. كذلك سُجّل إجراؤه بحثاً عن معنى «عقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة» وكيفية تنفيذها، وبحثاً آخر عن رأي الشريعة في الانتقام وجواز تنفيذه.

تقرير

المستشفيات لا تجد من يقصدها: إقفال أقسام... و40٪ نسبة الأسرّة المشغولة

راجانا حمية

على آخر نفس، وصل علي إلى المستشفى حيث لفظ أنفاسه الأخيرة بعد رحلة أوجاع دامت أياماً في البيت، كان يُسكتها بالمسكّنات. لم يجرؤ على زيارة المستشفى إلا بعدما بات السكّن كشربة ماء... وفات الأوان. ففي اللحظة التي وصل فيها إلى قسم الطوارئ «كان عامل الجرحة»، يقول نقيب أصحاب المستشفيات الخاصة في لبنان، سليمان هارون. مات علي، ومثله مات آخرون، استسلموا للأوجاع في بيوتهم، بعدما أصبح الدخول إلى المستشفى ترفاً لا يملكه إلا من يملك المال. ليس هذا الموت استثنائياً، فمع غلاء فواتير الاستشفاء، لم يعد من المستغرب أن تقع حوادث مماثلة، وخصوصاً أن المرضى باتوا يحسبون حسابات كثيرة قبل التفكير في الذهاب إلى المستشفى أو حتى إلى عيادة الطبيب. واللافت أن هذه الحوادث أصبحت مرئية أكثر، حيث يشير هارون إلى ازدياد في الحالات التي تصل إلى المستشفيات «ع آخر نفس»، وفي غالبيتها حوادث خطيرة. وهكذا، لم يعد مستغرباً مثلاً أن تُبتر قدم مصاب بالسكّري لأنه تأخر عن تلقي العلاج. وقد حدث ذلك في أحد المستشفيات. يؤكد هارون، أو أن يموت مريض بسبب عارض في القلب لم يؤخذ في الحسبان. وبحسب هارون «هناك الكثير من الحالات التي تصل إلى المستشفى، يكون صاحبها قد أصيب بذبحة قلبية أو مصاباً بألم شديد في البطن. ليتبيّن بعد الفحوص حصول أشياء خطيرة مثل تسكير المصران». عوارض يمكن تفاديها، إلا أن فقدان الناس القدرة التي تمكّنهم من زيارة المؤسسات الصحية، وعجز الصناديق الضامنة عن تأمين أبسط الحقوق للمنتسبين إليها بعدما باتت الفوارق بين ما تدفعه للمستشفيات وما تفوتره الأخيرة يقاس بـ«سنوات ضوئية»، كل ذلك يجعل ما كان مستحيلاً سابقاً أمراً واقعاً اليوم. وهذه نتيجة مباشرة حتمية للانهيار.

الأزمة انعكست بدورها على أعداد الأسرّة المشغولة في المستشفيات، إذ لامس الانخفاض في الإشغال الـ60٪. وهذا يعني أن ما هو مشغول حالياً يُقدّر بحوالى 40٪ في أحسن الأحوال وأحياناً أقل من ذلك، بعدما انخفضت أعداد المرضى من 6 آلاف تقريباً إلى 4 آلاف أو 3 آلاف و500 مريض في أحيان أخرى. وقد دفع هذا الأمر بعدد كبير من المستشفيات إلى اتّخاذ إجراءات عملانية تتجلى اليوم في تقليص الأقسام، بحسب هارون، بحيث تعمد المستشفيات إلى التخفيف من عدد الأسرّة في الأقسام لديها إلى حدود النصف. وفي الأسباب المباشرة، يشير هارون إلى النتيجة البديهية التي تتعلق بانخفاض أعداد طالبي الاستشفاء، فيما الأسباب الأخرى تعود إلى عدم قدرة المستشفيات على تشغيل الأقسام، ولذلك «تعمد إلى هذه الإجراءات للتخفيف من الأكلاف التشغيلية من كهرباء، وفريق عمل وخدمات طبية»، يضاف إلى ذلك، السبب الثالث الذي لا يقلّ أهمية والمتعلّق بانخفاض الاختصاصيين في بعض الأقسام والكادر التمريضي على وجه الخصوص. وإن كان التقشّف يطاول، بحسب نقيب أصحاب المستشفيات الخاصة، كلّ الأقسام بلا استثناء، إلا أن ثمة أقساماً متضرّرة أكثر من غيرها، وقد وصل التقشّف في بعضها إلى حد الدمج ضمن أقسام أخرى. وفي هذا السياق، يمكن الحديث عن أقسام الجراحة التي انخفضت أعداد الأسرّة فيها بشكل ملحوظ، ومثلها أيضاً غرف العنايات الفائقة للأطفال. فعلى الرغم من الأزمة في تلك العنايات، لكونها «لا توجد في كلّ المستشفيات، ولدينا مشكلة فيها في الأساس، تأتي الأوضاع الحالية لتزيد الطين بلّة، حيث تتناقص أعداد الأسرّة فيها قسرياً اليوم بسبب معداتها وأكلافها التشغيلية الباهظة والنقص في الاختصاصيين المتوافرين لتشغيل هذه الأقسام»، يختم هارون.

إعلانات رسمية

إعلان

صادر عن محكمة المنية الشرعية السنية

إلى زياد عدنان وزير علي بناءً للدعوى المقامة ضدك من أسيا محمد الحجيري بتاريخ 2022/7/25 بموضوع تفريق يقتضي حضوركم إلى محكمة المنية الشرعية السنية خلال عشرين يوماً من تبلغكم وفي حال عدم حضوركم يجري بحقكم المقتضى القانوني.

رئيس قلم محكمة المنية الشرعية

الشيخ طارق الخير

استراحة

كلمات متقاطعة 4265

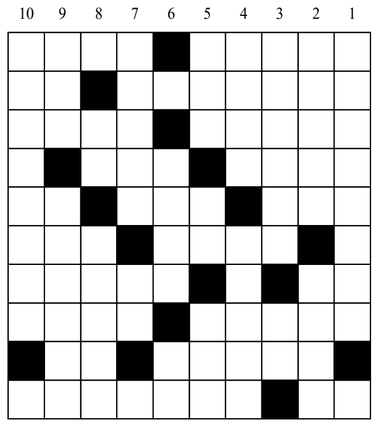

أفقيا

1- توافق وارتباط – ثبات – 2- دولة آسيوية – من مشتقات العنب – 3- يُسرع الى إقتراح أمر – منتسب لمذهب سياسي زمن هتلر – 4- أحد كتبة العهد الجديد – من الحيوانات – 5- ذميم محتقر – من الزواحف – أصل – 6- الإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء الأميركية – ماركة شاحنات – 7- قلب الثمرة – تهنّيء بالمولود الجديد – 8- التراب المجبول بالماء – راعي القطيع – 9- نصف اليوم – واحد بالأجنبية – 10- خداع – إستخفاف بالقيم

عمودياً

1- كاتب فرنسي راحل – 2- مدينة تشيكية – مجاناً بالعامية – 3- مزيني الشعر – مطر خفيف – 4- أعلى قمة في جزيرة كريت – ملك الهون – 5- دفْع – شعور – مدينة فرنسية – 6- ماركة سيارات – دق وفتّ – 7- مدينة عراقية – أغلظ أوتار العود – 8- للتعريف – من نساء التوراة – 9- طعن بواسطة إبرة – عاصمة أوروبية – 10- شاعر زجلي راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- سلام الراسي – 2- يا – كولومبو – 3- رسّام – لمس – 4- اكينو – أتلي – 5- لوط – أخ – ربو – 6- احد – مداس – 7- والد – نقانق – 8- نلي – وجوم – 9- قاسيون – قصّ – 10- شر – المنتصر

عمودياً

1- سيراليون – 2- لاسكو – القرّ – 3- إيطاليا – 4- مكمن – حد – سا – 5- أو – وأد – ويل – 6- ل ل – نجوم – 7- روما – مقوننن – 8- امستردام – 9- سبّ – لبّان – قصّ – 10- يوليوس قيصر

sudoku 4265

				4		1	2	
	7					8		
			2	1	8	7		
	9					2		1
7		4		3		6	8	9
8		2	7		6			
	2		6			4		7
	6			7			3	
1	4				3			

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4264

8	1	5	4	7	6	3	9	2
4	3	9	1	5	2	8	6	7
2	6	7	8	3	9	4	1	5
6	5	2	7	1	8	9	4	3
1	7	4	9	2	3	5	8	6
3	9	8	5	6	4	2	7	1
9	2	1	6	8	5	7	3	4
5	8	6	3	4	7	1	2	9
7	4	3	2	9	1	6	5	8

مشاهير 4265

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة أميركية ومغنية وراقصة (1932-2016). إشتهرت بدورها في فيلم «الغناء في المطر»

■ 5+8+7+2+1 = عملة عربية ■ 11+4+9+3 = أرجوك بالأجنبية

10+6 = من أعضاء الجسم

حل الشبكة الماضية: **ولي الدين يكن**

إعداد **نعوم مسعود**

قصّة أوّل صهيونيّ عربيّ مُجاهر في أميركا: عن فؤاد عجمي [4]

أسعد أبو خليل *

هذه مراجعة نقديّة لكتاب صدر لفؤاد عجمي (لبناني من أرنون في جنوب لبنان) بعد وفاته، بعنوان «عندما فشلَ السحر: مذكّرات لطفولة لبنانيّة، عالقة بين الشرق والغرب»، والصادرة عن دار نشر «بومباردير» (لم أسمع بها من قبل). وعمل الصهيوني المعروف، ليون وزيلتير، على نشرها (فقد وزيلتير منصبه في مؤسّسة بروكنغر في عام 2017 بعد حملة «وانا أيضاً» ضد المتحرّشين بالنساء).

الحلقة السابقة تناولت قصّة «دلال» المستقاة من الخيال الاستشراقي التقليدي، الذي أحسن فؤاد عجمي مداعبة دوافعه وتوقّعاته. جنوب لبنان كما صوَّره فؤاد عجمي في طفولته كان أشبه بفيلم بورنغرافي، مع أن «دلال» تعرّضت للقتل من قبل أمّها لأنها، حسب وصف عجمي، كانت تُشاهد (من جنوب لبنان) وهي تدخل وتخرج من شقق في شارع الحمراء. الخيانات الزوجيّة كانت جارية على قدم وساق، ومن الطرفيْن، في سرديّة عجمي عن أهل جنوب لبنان. وفي آخر رواية عجمي عن «دلال» يتذكّر أنه عرفها وأنهما كانا يتبادلان المداعبات والمماحكات اللفظيّة. و«دلال» كانت تحتقر اللغة العربيّة لأنها «نتاج ثقافة قديمة» وأن أسلوبها والإكثار من ذكر الله «رسّخ عقليّة قديمة» (ص. 14). لكن كيف ذلك؟ ما معنى أن اللغة العربيّة هي نتاج ثقافة قديمة؟ كان على العرب في القرن العشرين التخلّي عن لغتهم كي يدخلوا في الحداثة؟ وهل هناك ما لم تكرهه «دلال» في أهل الجنوب (كان «دلال» أحياناً هي الاسم الحركي لفؤاد عجمي في احتقارها لأهلها)؟

ويذكر عجمي قرية حولا من دون أن يذكر المجزرة الإسرائيليّة فيها في تشرين الأوّل من عام 1948، والتي أودت بحياة أكثر من مئة مدني ومدنيّة. الحياة العربيّة لم تعنِ شيئاً لعجمي (شاهدوا مقابلة عجمي مع داود الشريان حيث يكاد يتفطّر قلبه لموت الجنود الأميركيّين في العراق، كأنّ العراق هو الذي غزا أميركا لا العكس) كما عنت له حياة الإسرائيليّين والأميركيّين، وهذا

> في الكتاب نتعرّف إلى خلفيّة عجمي بالنسبة إلى الموقف الشديد العدائيّة (يكفي أن نصف الموقف بالصهيوني، كما في العنوان، لإيصال الفكرة) ضد الشعب الفلسطيني
>
> خلاص عجمي كان خلاصاً طبقيّاً نشده من تلك السنوات، ومن دون اعتبار لقضيّة. القضايا السياسيّة المحتدمة من حوله لم تعنه أبداً

واحد من جوانب تعريف معنى الصهيوني (أي الذي يعطي قيمة أكبر لحياة الغربيّين والإسرائيليّين، والذي لا يعطي قيمة أبداً لحياة العرب). لا، عجمي يحدّثنا عن أن «الروّاد اليهود» (بالحرف، ص. 16) كانوا يحرثون أرض حولا. ويلفت عجمي إلى أنهم كانوا يعملون رجالاً ونساء معاً، وأن أفخاذ النساء اليهوديّات كانت عارية وان الجنوبيّين من قرية عجمي كانوا يتلصّصون على النسوة اليهوديّات (وصف عجمي للنساء ذكوري وجنسي). ومشهد أفخاذ اليهوديّات أشاز، بحسب قول عجمي، إلى «عالم آخر» (طبعاً، هذا الحديث الصهيوني الغربي المعتاد عن اختلاط النساء والرجال اليهود معاً في الحقول مُبالغ فيه وهو يتعلّق فقط بالمهاجرين من الأوروبيّين. هذا الحديث يتجاهل أن اليهود الشرقيّين كانوا، ولا يزالون، متزمّتين ومحافظين، مثل العرب). وعجمي يعتمد العقيدة الغربيّة التي تحدّث عنها إدوار سعيد: عن أن شهادة الغربي تُعتمد وتُفضَّل دائماً على شهادة العربي، وأنه ليس للعربي من مصداقيّة. الرجل نشأ في جنوب لبنان (قبل أن ينتقل صبيّاً إلى برج حمّود) لكنه في وصفه لجنوب لبنان يعتمد على شهادة الرحّالة البريطاني، ديفيد أوركهارت، لا على معايشته ومعاينة أهله. ينقل عن أوركهارت سؤاله لأهل الجنوب: «عندكم موسيقى هنا؟» وينقل جوابهم: «لا، أبداً. هذه الأمور كانت مزدهرة فيما مضى لكنها اختفت». لكن أوركهارت تحدّث كثيراً عن لبنان في كتاب أفرده له (وهو جال في لبنان بين عامي 1849 و1851) ووصف فيه لبنان في العنوان كـ«جبل سوريا». لا ينقل عجمي شهادة أوركهارت في ذم التدخّل الأوروبي في شؤون لبنان، ولا يذكر حديثاً بينه وبين أهل لبنان عندما قالوا له: «كنا نبيع التبغ والحرير ونصنع ملابسنا بأنفسنا. الآن نحن نشتري كل شيء باستثناء العباءات» (راجع كتاب جيفري ناش، «من الإمبراطوريّة إلى الشرق: الرحّالة في الشرق الأوسط، 1830-1826»، ص. 59). وأوركهارت جزم أن المسلمين والمسيحيّين عاشوا بسلام مع بعض في لبنان قبل تدخّل الأوروبيّين في شؤونهم.

عجمي لم يأخذ من أوركهارت إلا التعميم عن غياب الموسيقى مع أن ذلك (أنه كان هناك انقطاع طويل عن الموسيقى في جبل عامل) غير صحيح. لا، عجمي يأخذ هذا القول المنسوب إلى شخص واحد من قبل الرحّالة الغربي كي يحكم على طريقة عتاة المستشرقين المبتذلين أن العرب لا يحفظون أو يفهمون أوقاتاً وتواريخ محدّدة (دائماً يتحدّث عجمي في تعميماته عن العرب عن الرجال، فلا أهميّة للنساء مع أن الكتاب بدأ بقصّة فاجعة («دلال»)، الرجال العرب، حسب عجمي، لا يعرفون إلا «حقبات وكتلات من الأوقات». وهذه الفكرة لا تختلف عن فكرة المستشرق الإسرائيلي، رافائيل باتاي في «العقل العربي»، عندما جزمَ أن ليس من صيغة للمستقبل في الحديث العربي لأنهم يعيشون في غياهب الماضي فقط.

وبعدما انتهينا من قصّة «دلال» يحدّث المخبر المحلّي، عجمي، القارئ الغربي عن العربي، وأنه ليس للعربي من مصداقيّة. الرجل نشأ في جنوب لبنان (قبل أن ينتقل صبيّاً إلى برج حمّود) لكنه في وصفه لجنوب لبنان يعتمد على شهادة الرحّالة البريطاني، ديفيد أوركهارت، لا على معايشته ومعاينة أهله. ينقل عن أوركهارت سؤاله لأهل الجنوب: «عندكم موسيقى هنا؟» وينقل جوابهم: «لا، أبداً. هذه الأمور كانت مزدهرة فيما مضى لكنها اختفت». لكن أوركهارت تحدّث كثيراً عن لبنان في كتاب أفرده له (وهو جال في لبنان بين عامي 1849 و1851) ووصف فيه لبنان في العنوان كـ«جبل سوريا». لا ينقل عجمي شهادة أوركهارت في ذم التدخّل الأوروبي في شؤون لبنان، ولا يذكر حديثاً بينه وبين أهل لبنان عندما قالوا له: «كنا نبيع التبغ والحرير ونصنع ملابسنا بأنفسنا. الآن نحن نشتري كل شيء باستثناء العباءات» (راجع كتاب جيفري ناش، «من الإمبراطوريّة إلى الشرق: الرحّالة في الشرق الأوسط، 1830-1826»، ص. 59). وأوركهارت جزم أن المسلمين والمسيحيّين عاشوا بسلام مع بعض في لبنان قبل تدخّل الأوروبيّين في شؤونهم.

عجمي لم يأخذ من أوركهارت إلا التعميم عن غياب الموسيقى مع أن ذلك (أنه كان هناك انقطاع طويل عن الموسيقى في جبل عامل) غير صحيح. لا، عجمي يأخذ هذا القول المنسوب إلى شخص واحد من قبل الرحّالة الغربي كي يحكم على طريقة عتاة المستشرقين المبتذلين أن العرب لا يحفظون أو يفهمون أوقاتاً وتواريخ محدّدة (دائماً يتحدّث عجمي في تعميماته عن العرب عن الرجال، فلا أهميّة للنساء مع أن الكتاب بدأ بقصّة فاجعة («دلال»)، الرجال العرب، حسب عجمي، لا يعرفون إلا «حقبات وكتلات من الأوقات». وهذه الفكرة لا تختلف عن فكرة المستشرق الإسرائيلي، رافائيل باتاي في «العقل العربي»، عندما جزمَ أن ليس من صيغة للمستقبل في الحديث العربي لأنهم يعيشون في غياهب الماضي فقط.

وبعدما انتهينا من قصّة «دلال» يحدّث المخبر المحلّي، عجمي، القارئ الغربي عن وحشيّة الانسان في جبل عامل. يقول إن الضبع كان مخيفاً في «الوعر» لكن الإنسان كان أوحش منه (وهو يكتب كلمة «الوعر» بالحرف اللاتيني كي يُبهر القارئ، بالرغم من أنه جاهل بالقواعد الأكاديميّة الصارمة لكتابة العربيّة بالحرف اللاتيني، فتصبح كلمة «وعر» وعار». يروي الحكواتي عجمي أن هناك قصصاً عن أطفال كانت تؤخذ إلى الوعر، وتختفي هناك. يحدّث عجمي عن وأد البنات والصبيان معاً في الوعر (حتى في وأد النساء في الجاهلية، هناك تشكيك في شيوع الظاهرة من قبل الأركيولوجيا الحديثة). يضيف عجمي أن «الفتيات اللواتي كنّ يقبّحن شرف العائلة كنّ يؤخذن إلى الوعر». لا يكتفي عجمي بالإبهار إذ يضيف: «وهناك أسطورة عن أن هناك صخرة حيث قام راع بقتل أخته لأنها حادت عن الطريق القويم» (ص. 18). لكن هنا يورد عجمي تفاصيل أكثر ممّا أورد في قصّة «دلال»، إذ يقول إن الراعي المذكور «أخذ شقيقته وذبحها وتركها تموت». يقول عجمي إن أهل أرنون يعرفون مكان تلك الصخرة. مرّة أخرى، لو أن عالم اجتماع كتب بهذه الطريقة عن شائعات وخبريّات عن شعب ما لكانت قامت القيامة ولكانت هناك مطالبة بتقديم توثيق وتدقيق وأدلّة على هذه التعميمات الفظيعة عن سكان منطقة في جنوب لبنان. لا يجرؤ عجمي على الحديث عن يهود فلسطين بهذه الطريقة. على العكس، هو وصف المستوطنين الصهاينة الأوائل بـ«الروّاد» الذين مارسوا المساواة الجندريّة. لكن هذا رجل يتعاطف مع الصليبيّين ضد أهل بلده. يقول عن سنة 1269، إن «المدافعين عن قلعة الشقيف تعرّضوا للذبح بعد حصار قصير». هو طبعاً يتحدّث عن انتصار جيش السلطان بيبرس على عسكر الصليبيّين في القلعة. هذا منهج فؤاد عجمي الذي يبرّ فيه مُعلّمه ومُرشده، برنارد لويس، لأن الأخير أقلّ صفاقة منه في التعابير العنصريّة عن العرب.

لا يكتفي عجمي بذلك بل يضيف إشارة عابرة عن التاريخ الإسلامي الذي هو غير عارف به على الإطلاق. كان مجيد خدّوري، العراقي الذي احتلّ المنصب الذي خلفه فيه عجمي في «كليّة الدراسات الدوليّة المتقدّمة» في جامعة جونز هوبكنز، عليماً بالتاريخ والقانون الإسلامي. عجمي يقول ما يلي: «وكان الغزاة العرب الأوائل، خلفاء الرسول، قد فرضوا الإسلام بحد السيف» (ص. 21). طبعاً، هذه الفكرة عريقة في الاستشراق القديم لكنها لم تعد مُعتبرة أكاديميّاً في التاريخ الغربي الحديث عن الإسلام. وكتب في ذلك المؤرّخ ريتشارد بوليت، «التحوّل إلى الإسلام في القرون الوسطى» وفيه دحض أقاويل استشراقيّة بائدة. لكن عجمي جاهل بأبسط أمور العربيّة والإسلام. هو مثلاً لا يعرف أن القول «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» هو في القرآن (سورة الكهف) فيورده كمثل ويُشوّهه بالقول: الأطفال («زينة الحياة والدنيا» (ص. 37)، ويترجمها بأنها تعني «زينة الحياة الفانية، في هذه الدنيا».

ويتحدّث عجمي عن أصل عائلته الأعجمي، فيقول إن جدّه كان بالطبع عاجزاً عن لفظ حرف الواو، ويضيف «ليس هناك من فارسي استطاع أن يقبض على ناصية العربيّة». طبعاً، هذه تعميمات مرتبطة بكتابات عجمي، وهي مضحكة لما فيها من إطلاق وغياب أدلة. لا بل إن التعميم فيها يحتّم وجود إثبات بالعكس. قد يكون ابن أرنون لم يسمع بعد بابن المقفع. وعن السنّة يقول عجمي: إنهم لا يزالون يتذكّرون أنه كان «أفضل عندهم قتل شيعي واحد من قتل سبعين مسيحياً». هكذا حوّل كل السنّة إلى قتلة. يقول عن تعنيف النساء من قبل الأزواج في الجنوب: «الرجال كانوا يمارسون ذلك». هكذا، يقرّر عجمي. كل الرجال مُعنّفين. لا استثناء. «الرجال يفعلون ذلك». التعريف بكتابات عجمي هنا يشرح للقارئ أسباب بروز الرجل في فؤاد عجمي الذي يبرّ فيه مُعلّمه ومُرشده، برنارد لويس، لأن الأخير أقلّ صفاقة منه في التعابير العنصريّة عن العرب.

لا يكتفي عجمي بذلك بل يضيف إشارة عابرة عن التاريخ الإسلامي الذي هو غير عارف به على الإطلاق. كان مجيد خدّوري، الشعب الفلسطيني. للمرّة الأولى نكتشف أن والد فؤاد عجمي كان يهرّب أسلحة «إلى فلسطين» («اللبنانيّون في لندن يتحدّثون عن محمد عجمي، الأخ غير الشقيق لفؤاد، وكيف كان يزهو بصداقته مع شمعون بيريز). يقول إن خبر اعتقال والده وصل إلى العائلة من رفيقه، وإن السلاح كان مصدره يونانياً يخدم في «الفيلق الأجنبي الفرنسي» (وهي ليست إلا فرقة مرتزقة). ألقت القوّات البريطانية القبض عليه في تخوم المطلّة في فلسطين. كان ذلك في عام 1944، زمن احتدام الصراع بين الصهاينة والبريطانيّين. يقول عجمي مستنكراً إن الذين كانوا يتعاملون مع اليهود في ذلك الزمن كانوا يوصفون بالعملاء. لكن لا علاقة ليهوديّتهم بذلك. كان ذلك متعلقاً بكونهم غزاة محتلّين ومسلّحين. لم يكن الشعب الفلسطيني يملك المال كي يشتري السلاح الأوروبي. كان ذلك حكراً على العصابات الصهيونيّة. وكان البريطانيون آنذاك يطبّقون، قدر الإمكان، «الورقة البيضاء» من عام 1939، والتي حاولت أن تخدع العرب وتضبط الهجرة المتفلّتة لليهود. وسمعت من كبار السنّ في قضاء صور أن بعض الفلاحين الفقراء كانوا يساهمون، عبر معرفتهم بطبيعة الأرض، في مرافقة المهاجرين اليهود الذين كانوا يفدون إلى لبنان بغرض الدخول خلسة إلى فلسطين. سألتُ فلاحاً فقيراً مرّة: وكيف تفعل ذلك باهل فلسطين وأهلك؟ أجابني: إنه العوز. يقول عجمي إنه كان هناك احتمال أن والده كان يبيع السلاح للفلسطينيين وانه من المحتمل أيضاً أنه كان يبيعه لليهود، لكنه في ما بعد يميل إلى الترجيح الثاني، الذي هو أكثر منطقيّة. وصراعنا ضد العدوّ في عام 1948 لم يكن إلا صراعاً «بين العربي واليهودي في فلسطين» (ص. 52). والتعبير مُغالِط في أكثر من مكان، ليس فقط في ردّ الصراع على طريقة المنظمات الصهيونيّة إلى معاداة عربيّة ضد اليهود، كيهود، بل هو ينسى أن الصراع كان بين مقيمين من السكان الأصليّين ومهاجرين بالقوّة غزوا فلسطين بدعم غربي استعماري لإنشاء وطن بديل عن الوطن الفلسطيني القائم.

وينتقل عجمي مع والدته من أرنون إلى محلّة برج حمّود حيث ذاق العذاب وشظف العيش. خلاص عجمي كان خلاصاً طبقيّاً نشده من تلك السنوات، ومن دون اعتبار لقضيّة. القضايا السياسيّة المحتدمة من حوله لم تعنه أبداً. عاش أبوه مع عائلة جديدة في بيت من طابق واحد فيما عاش عجمي مع والدته في غرفة من سقف من الزنك (هو يقول من التنك، لكنه زنك على الأرجح). كان ذلك في برج حمّود. جلبت أمه «بقجة» ثيابها في قماشة بيضاء. وكانت مطلّقة تعيش وحيدة في ضاحية بيروت تنتظر الرأفة من طليقها الظالم. كان أبوه يزهو بمغامراته النسائية. يزعم عجمي أن أباه (ولم يقضِ في المدرسة إلا بضع سنوات) احتفظ بمقالات كتبها في مجلّة «الطريق» الشيوعيّة. انضمّ إلى الحزب الشيوعي وخرج منه، حسب قول عجمي. يقول في وصف العقيدة الشيوعيّة للشيوعيين اللبنانيين إنهم كانوا «يزهون برجولة ستالين». أين قرأ عجمي ذلك؟ ما دليله؟ من هنا واجب التشكيك في كلّ ما يقوله ويذكره. لا يعوّل عليه في شيء. وكتب أبوه مقالة في جريدة «التلغراف» التي كان يملكها اليساري التوجّه، نسيب المتني، الذي أشعل اغتياله (مع عوامل أخرى طبعاً) الحرب الأهليّة في عام 1958.

يكثر عجمي من استعمال كلمات عربيّة لأنه يعلم أن القارئ الغربي لا يميّز بين الصحيح والخطأ فيها. عجمي لا يميّز أحياناً بين المذكّر والمؤنّث في اللغة العربيّة. يقول إن هناك رجلاً كان يوصف بـ«عدنان الكسيحة» (بالحرف، ص. 49). أمّا لقب أبو خشبة الذي اشتهر في شرطة «مجلس النوّاب» في السنوات الأخيرة فتحوّل إلى «أبو خسبة» (ص. 49). الطرحة على الرأس تصبح «طربة» (ص. 56).

سمح العيش في برج حمّود لعجمي بالإقلاع والابتعاد عن كلّ ما يذكّره بأصله وعائلته والوسط الذي نشأ فيه. يجد إثارة في أكل لحم الخنزير، مع أننا نحن الذين نشأنا على الديانة الإسلاميّة تعلّمنا مقت لحم الخنزير مبكراً جداً في سنوات الطفولة. والرجل الذي عاش في وسط من المهاجرين الأرمن، تذمّر من «تسرّب» المهاجرين الفلسطينيّين إلى منطقة برج حمّود. يقول عن النكبة: «اللاجئون الفلسطينيّون الذين هربوا في عام 1948 اعتقاداً منهم أن الجيوش العربيّة المقدامة ستطرد اليهود وتعيدهم إلى منازلهم وقراهم» (ص. 58). هذه الإشارة الخبيثة تتجاهل عن قصد القرائن التاريخيّة التي لم تعد تقبل الجدال والسجال. في سنوات السبعينيّات وأوائل الثمانينيّات كانت الكتابة الصهيونيّة تجزم أن الشعب الفلسطيني ترك أرضه من تلقاء نفسه ولم يكن لديهم من دليل غير جملة في مذكّرات خالد العظم يقول فيها إن الحكومات العربيّة طلبت من الشعب الفلسطيني مغادرة وطنه. طبعاً، القرينة مشبوهة وجملة في مذكّرات (وحدها، خصوصاً) لا تصلح لكتابة التاريخ. وقد قام باحثان (واحد بريطاني وآخر أميركي من الاستخبارات البحريّة) بدراسة سجّل الرصد البريطاني للإذاعات العربيّة في زمن 1948 ولم يجدا دليلاً على ما ورد في السرديات الصهيونيّة وفي فقرة في مذكّرات خالد العظم (الجزء الثالث، ص. 386-387). لكن الجملة وردت في المذكرات ليس في سرديّة تاريخيّة بل في سياق سجالي عن تخلّي الحكومات العربيّة عن قضيّة فلسطين. لكن عجمي لا يمكن الا يكون قد سمع بالمؤرّخين الإسرائيليّين الجدد الذين وجدوا (في عدة أماكن من الأرشيفات الإسرائيليّة) دلائل ووثائق تثبت بالقاطع أن القوات الصهيونيّة نفّذت خططاً موضوعة من قبل لطرد الشعب الفلسطيني من أرضه، وأن ديفيد بن غوريون كان يعطي الأوامر بهذا الشأن (يجمع المؤرّخون الإسرائيليّون على مسؤوليّة الصهاينة عن طرد معظم الشعب الفلسطيني، تُراجع كتابات شبتاي تفث أو بني موريس، أو إلان بابيه من المؤرخين المعارضين لإسرائيل والصهيونيّة. كما أن المؤرّخ الفلسطيني، وليد خالدي، نشر عن «خطة داليت» مبكراً في السبعينيّات).

يتجاهل عجمي كل ذلك ليجعل من خروج الشعب الفلسطيني من أرضه مجرّد خطأ في الحسبان من قبل شعب متهوّر. ثم لنفترض أن الشعب الفلسطيني استمع إلى نداءات من الحكومات العربيّة للخروج من موطنه في حالة الحرب، هذا لا يحرم الشعب الفلسطيني من حقّه في العودة ولو خرج من أرضه بسبب الحرب. هذه كان تقول إن الأوكرانيين الذين خرجوا من أوكرانيا يُحرمون من حقّ العودة لمنازلهم (مع الفارق أن الشعب الفلسطيني لم يخرج طوعاً).

لكن عداء فؤاد عجمي للشعب الفلسطيني متجذّر ومتأصّل. نكتشف ذلك من خلال الكتاب الذي يغطّي مرحلة صباه في لبنان. يقول إن أمه علّمته ما يلي: «هناك نوعان من الناس لا يمكن الركون إليهم. الشيوعيّون لأنهم لا يؤمنون بالله والفلسطينيّون لأن لا أرض لهم» (ص. 59). لا يعلّق عجمي على كلام أمّه ولا يدين. لو قالها عربي ذمّاً باليهود لطلع عجمي على شبكة «سي بي إس» (حيث كان يعمل كخبير محلّف عن الشرق الأوسط) ولكان كتب مقالة تنديد في جريدة «نيويورك تايمز». لا يمكن تحميل الناس آثام وذنوب أهلهم، لكن عجمي يبدو أنه تأثر بعداء أهله ضد الشعب الفلسطيني، في زمن كان فيه التعاطف مع شعب فلسطين بمثابة الدين في جنوب لبنان. لا ننسى أن أهل الجنوب عرفوا فلسطين أكثر مما عرفها باقي سكّان لبنان. بين الجنوبيّين كان يُقال عن الميسور إنه كان يتغدّى في حيفا ويتعشّى في يافا، أو العكس.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

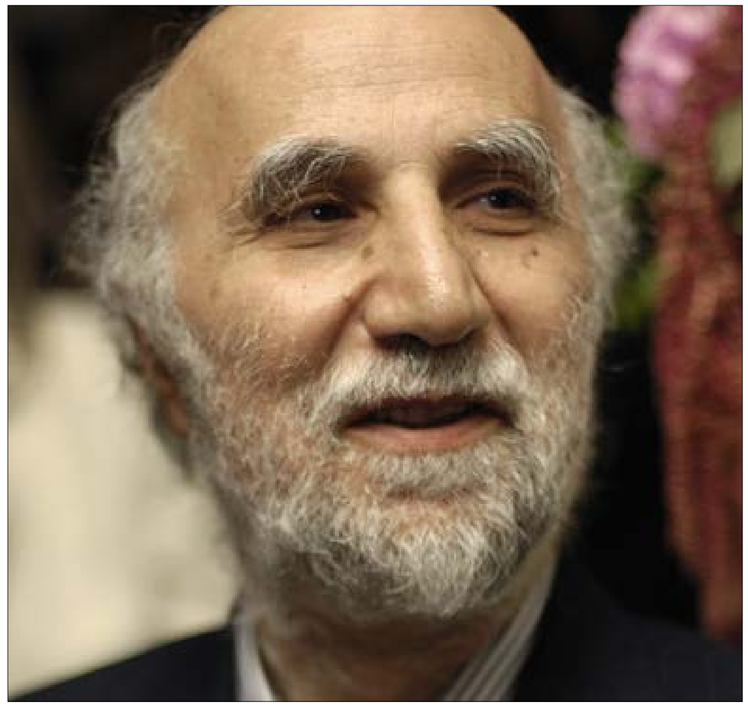

واشنطن وطهران

محمد سيد رصاص *

منذ استئناف إيران برنامجها في تخصيب اليورانيوم في شهر آب 2005 ومنطقة الشرق الأوسط تعيش على وقع المجابهة بين «القطب الواحد للعالم» الذي أتى بقوّاته إلى بلاد الرافدين عام 2003 من أجل «إعادة صياغة المنطقة من جديد»، وفق تعبير وزير الخارجية الأميركية كولن باول، وبين «القوة الإقليمية العظمى»، وفق تعبير الجنرال رحيم صفوي القائد السابق للحرس الثوري عام 2013.

كانت هناك ترجمات غير مباشرة لتلك المجابهة في عموم المنطقة وكانت أولاها حرب تموز 2006 في لبنان التي أسمتها وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس «آلام مخاض ضرورية من أجل مشروع الشرق الأوسط الجديد». ولكنّ القابلة القانونية الإسرائيلية لم تستطع توليد ذلك الجنين الذي على الأرجح مات في تلك الحرب. وثانيتها في غزة 15 حزيران 2007 عندما سيطرت حركة «حماس» على القطاع، وثالثتها 7 أيار 2008 في بيروت، ورابعتها 21 سبتمبر 2014 عندما سيطر الحوثيون على صنعاء.

يمكن هنا الحديث عن ترجمات أخرى لتلك المجابهة إحداها ما يجري في الأزمة السورية منذ عام 2011 حيث واشنطن وطهران في موقعين متجابهين، وكذلك في لبنان ما بعد 17 تشرين الأول 2019، وإلى حد «ما» في عراق ما بعد الانسحاب العسكري الأميركي من هناك في اليوم الأخير من عام 2011.

بالمقابل، كانت هناك ترجمات لتوافق واشنطن وطهران الذي حصل في الاتفاق النووي بفيينا 14 تموز 2015، مثل اتفاقهما على مهمة محاربة «داعش» في العراق، ومثل جنوح سمير جعجع وسعد الحريري، بضغوط أميركية ولكن من دون رضى السعودية، نحو القبول بانتخاب ميشال عون رئيساً للبنان في عام 2016. أيضاً، كانت هناك سياسات مضادة لهذا التوافق، مثل التقارب الذي مارسته بعض دول الخليج مع إسرائيل حتى وصل إلى مستوى التطبيع مثل الإمارات والبحرين والذي لم يكن من دون ضوء أخضر من ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، هذا التطبيع الذي حصل منذ 13 آب 2020 على وقع توقعات خليجية بفوز جو بايدن بانتخابات الرئاسة الأميركية بعد ثلاثة أشهر، وهو الذي أعلن صراحة ببرنامجه الانتخابي أنه يريد إحياء اتفاق فيينا الذي انسحب منه الرئيس الأميركي دونالد ترامب في عام 2018. في هذا الإطار، كان انسحاب ترامب من الاتفاق هو المظلة لضرب الحوثيين لمنشآت «أرامكو» النفطية السعودية في أيلول 2019 ولاغتيال واشنطن للجنرال قاسم سليماني في الأسبوع الأول من عام 2020 ولاغتيال إسرائيل للعالم النووي الإيراني فخري زاده في تشرين الثاني 2020، وأيضاً للتغطية الأميركية على اغتيال جمال خاشقجي في تشرين الأول 2018، حيث كان انسحاب ترامب من الاتفاق في 8 أيار 2018 بداية شهر عسل بين واشنطن والرياض انتهى بمجيء بايدن إلى البيت الأبيض.

> يلاحظ أن مفاوضات فيينا كانت في عهد روحاني غيرها في عهد رئيسي، كما أن أجواء المفاوضات كانت مختلفة ومغايرة بين قبل وبعد نشوب الحرب الأوكرانية

هنا، كانت رغبة بايدن في إحياء الاتفاق النووي مع طهران بداية لتوتر مع دول الخليج وأولها السعودية، وكان من ترجمات هذه الرغبة رفع الحوثيين من قائمة الإرهاب الأميركية وهو ما تبعه أيضاً في الأسابيع الأولى لدخول بايدن للبيت الأبيض في 20 كانون الثاني 2021 نشر تقرير وكالة المخابرات المركزية الأميركية عن قضية خاشقجي الذي يحوي ضمناً تحميل ولي العهد السعودي مسؤولية «ما» عن الاغتيال والذي كان ترامب قد وضعه في الدرج. في فيينا، بدأت مفاوضات إحياء الاتفاق النووي الإيراني في نيسان 2021، وقد شملت تسع جولات حتى شهر آب 2022، وكانت هناك جولة منفصلة في العاصمة القطرية الدوحة في حزيران 2022. كانت المحادثات غير مباشرة بين الأميركيين والإيرانيين وكان الأوروبيون هم الوسيط الأساسي، مع اشتراك للروس والصينيين. يلاحظ هنا، أنه كانت هناك ست جولات حتى حزيران 2021 عندما تم انتخاب الرئيس الإيراني المحافظ إبراهيم رئيسي خلفاً للرئيس الإصلاحي حسن روحاني، وأن أجواء المفاوضات في الجولة الثامنة في آذار 2022 كان يسودها جو جديد مختلف أتت به الحرب الأوكرانية التي بدأت في الشهر السابق فيما حصلت الجولة التاسعة في العاصمة النمسَوية في آب عندما قدّم مفوض الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي «نصّاً توفيقياً نهائياً» بدفع من الأميركيين رفضت طهران اعتباره نهائياً، وهو ما قاد إلى دفن غير رسمي لمفاوضات فيينا، إلى درجة أن المتحدث الرسمي باسم الخارجية الأميركية نيد برايس قد أعلن في 6 آذار الحالي بأن «العودة إلى الاتفاق النووي ليست على جدول أعمالنا»، وهو ما تبعته بعد يومين أفريل هاينز، مديرة الاستخبارات الوطنية الأميركية، بقولها إن «إيران تقترب بشكل خطير من صنع قنبلة نووية».

في هذا الصدد، كان لافتاً تعيين علي باقري كبيراً للمفاوضين الإيرانيين في مفاوضات فيينا وهو الذي انتقد اتفاق 2015 الذي قام به الرئيس حسن روحاني ووزير خارجيته محمد جواد ظريف مع إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما ووزير خارجيته جون كيري، وهو قريب بالمصاهرة من السيد علي الخامنئي عبر أخيه المتزوج من ابنة السيد الخامنئي. كما يلاحظ أن مفاوضات فيينا كانت في عهد روحاني غيرها في عهد رئيسي، كما أن أجواء المفاوضات كانت مختلفة ومغايرة بين قبل وبعد نشوب الحرب الأوكرانية في 24 شباط 2022. أيضاً، كانت لافتة محاولة الأميركيين والأوروبيين فرض نص أخير، طلب صاحبه جوزيب بوريل جواباً نهائياً عليه، في محاولة منهما لوضع طهران في الزاوية الضيقة وذلك بعد ستة أشهر من بدء الحرب الأوكرانية، التي جعلت مجال المناورة الإيرانية أوسع، وهو ما يفسّر إمّا بأن الأميركيين لم يعودوا يريدون الاتفاق في ظرف انشغالهم بالحرب غير المباشرة مع الروس في أوكرانيا، أو أنهم قرأوا أن طهران يمكن أن تستجيب للعرض تحت ضغط العقوبات الاقتصادية وهو ما يمكن أن يخلق شرخاً إيرانياً-روسياً. أتى الرفض الإيراني لعرض بوريل، وهو ما جعل مفاوضات فيينا في مرحلة الموات أو الموت الفعلي.

في عالم أو شرق أوسط ما بعد فيينا، هناك تعاون عسكري إيراني-روسي كبير، وتمتين للعلاقات الاقتصادية الإيرانية-الصينية، وبالمقابل هناك ترجمة أميركية لقول إن «العودة إلى الاتفاق النووي ليست على جدول أعمالنا» من خلال زيادة التنسيق العسكري الأميركي-الإسرائيلي ومن خلال زيادة العمليات السرية الإسرائيلية على الأرض الإيرانية ومن خلال زيادة الضربات العسكرية الجوية الإسرائيلية لإيران أو لقوات موالية لإيران على الأرض السورية. هناك، على ضوء التوتر الأميركي-الإيراني، تخفيف لتوتر كان قائماً بين واشنطن والرياض طوال سنتين من عهد بايدن. لا يمكن هنا قراءة تعطّل انتخابات الرئاسة اللبنانية بمعزل عن التوتر الأميركي-الإيراني، وكذلك يمكن لهذا التوتر أن يكون أحد عوامل زيادة عمليات حركة «حماس» في فلسطين ضد إسرائيل.

على الأرجح أن عالم ما بعد فيينا سينتج حرباً في المنطقة، من خلال توتر الأجواء بين واشنطن وطهران وتقاربات موسكو وطهران، تماماً مثلما قادت تقاربات واشنطن وتل أبيب عام 1964، المترافقة مع مصالحة القاهرة وموسكو عام 1964 بعد ست سنوات من صدام عبد الناصر مع شيوعيي مصر وسوريا والعراق، إلى حرب حزيران 1967.

* كاتب سوري

فلسطين

يبدو أن ما رُصِد «عملية ديزنغوف» أوّل من أمس في تل أبيب، لن يكون كما قبلها. إذ إن التبنّي الصريح للعملية من قبل «كتائب القسام»، الذراع العسكرية لحركة «حماس»، يشي بأن العمل المقاوم في الأراضي المحتلّة يَدخل مرحلة أكثر تنظيماً ونجاعةً. وهو ما سيشكّل تحدّياً كبيراً لدولة الاحتلال التي فشلت إلى الآن في وقْف سيل «الذئاب المنفردة». والذي يبدو الردّ الأنجع على مجازر العدو وجرائمه في الضفة الغربية خصوصاً. والظاهر أن المقاومة تحاول المحافظة على أسلوب الخلايا المنفردة أو القليلة العدد، مع تكثيف عمليات هذه الخلايا وتحسين نوعيّة أدائها، بما يقلّل التبعات على التنظيمات وهياكلها، ويلحق في الوقت نفسه خسائر موجعة بالعدو

«ديزنغوف» تفتتح حقبة جديدة

المقاومة أكثر تنظيماً... ونجاعةً

رام الله - **أحمد العبد**

لم يتأخّر الردّ الفلسطيني على مجزرتَي جنين وجبع، اللتَين أرتقى فيهما 10 شهداء في أقلّ من 48 ساعة؛ فكانت تل أبيب على موعد مع عملية فدائية في أهمّ شوارعها، "ديزنغوف"، الذي يبدو مفضّلاً على غيره بالنسبة إلى الفدائيين الفلسطينيين. وبينما أسفرت العملية عن إصابة 5 مستوطنين بعضهم بجروح حرجة، ارتقى المنفّذ معتز الخواجا شهيداً. وعاشت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ليلة ساخنة، قد تكون توطئة لليالٍ أكثر سخونة، بدأت بهجوم كسَر من خلاله الخواجا، الذي ينحدر من بلدة نعلين قرب رام الله، وينتمي إلى حركة "حماس"، كلّ التدابير والإجراءات الأمنية الإسرائيلية، واضعاً مرّة أخرى تل أبيب تحت النار، واستخبارات العدو في مهبّ الفشل. وفي وقت لم تكن فيه الدوائر الأمنية الإسرائيلية قد استيقظت الثلاثاء الماضي، كما سُجّلت عشرات المحاولات لتنفيذ عمليات فدائية وعمليات إطلاق النار واستهداف للمستوطنات وحواجز الاحتلال، ما يؤكد عودة العمل المسلّح المنظّم من قِبَل الفصائل الفلسطينية، ولو بنسب وأشكال مختلفة.

والظاهر أن الفصائل الفلسطينية قد استفادت من تجربة الانتفاضة الثانية، وتحديداً لناحية هرمية المجموعات المسلّحة التي كانت تتبع لها والمسؤولة عن تنفيذ العمليات الفدائية، وطريقة عملها. وبحسب الملاحَظ حتى الآن، يبدو أن ثمّة توجّهاً للاعتماد على الخلية/ الفرد أو المحدودة العدد، بما يقي التنظيم وأفراده تبعات كبرى، إلى جانب تشكيل المجموعات المسلّحة في المخيّمات والبلدات، والتي تُسنَد إليها مهمّة تنفيذ عمليات إطلاق النار على حواجز الاحتلال والمستوطنات والمستوطنين، والتصدّي لاقتحامات جيش العدو، كما في مخيم جنين أو مدينة نابلس أو مخيّم عقبة جبر.

وبينما كانت عملية "ديزنغوف" متوقّعة، فالأكيد أنها لن تكون الأخيرة، بل قد تُعتبر بداية لمرحلة جديدة من العمل المقاوم عنوانها عودة العمليات الفدائية في الداخل المحتلّ. وممّا يعزّز ذلك التوقّع، معطيات عديدة

> **قد تُعتبر «ديزنغوف» بداية لمرحلة جديدة من العمل المقاوم عنوانها عودة العمليات الفدائية في الداخل المحتلّ**

تبنّت حركة «حماس» العملية، وأكّدت أن منفذها هو أحد أفراد «كتائب القسام» (أ ف ب)

«القسام» على خطّ الفِداء: عودة الخلايا المنفردة

يوسف فارس

يشير النسق التصاعدي لعمليات المقاومة، وتكرُّر إعلان الذراع العسكرية لحركة "حماس" - "كتائب القسام"، تبنّي عدد منها، وآخرها عملية شارع ديزنغوف في تل أبيب، والتي نفّذها الشهيد معتز الخواجا، إلى أن "القسام" نجح أخيراً في إعادة تكوين بنية تحتية غير تقليدية في الضفة الغربية، بعد نجاحات جزئية خلال السنوات الماضية، انحصرت في تنفيذ هجوم واحد قبل أن يُصار إلى تفكيك الخلية، باعتقال أو اغتيال عناصرها، لا سيما أن "القسام" وُضعت عقب أحداث الانقسام الفلسطيني عام 2007، جنباً إلى جنب الخلايا التنظيمية، السياسية والنقابية والخيرية، لـ"حماس"، في مهداف العمليات الأمنية المكثّفة لأجهزة الأمن الفلسطينية.

باكورة عمليات "عصر الضفة الجديد" جاءت على يد الشهيد علاء أبو دهيم، الذي تسلّل إلى مدرسة "هرأف" الدينية في حيّ "كريات موشيه" في مدينة القدس المحتلّة، في مطلع آذار 2008، وقتل 8 مستوطنين وأصاب نحو 30 آخرين. بدا الطابع الغالب على الفعل العسكري "القسّامي"، آنذاك، هو تشكيل خلايا غير مترابطة، لا قيادة مركزية لها، ولا هيكلية نظامية تحكمها، تقوم بتنفيذ عملية أو اثنتين، قبل أن تعود إلى حالة الكمون. من بين هذه الخلايا أيضاً، خليّة الشهيدين مامون النتشة ونشأت الكرمي، والتي نجحت في تنفيذ ثلاث هجمات أدّت إلى مقتل 4 مستوطنين، قبل أن تخوض اشتباكاً في منطقة جبل جوهر في الخليل أدّى إلى استشهاد النتشة والكرمي. ظلّ هذا النسق، هو شكل العمل العسكري "القسامي" خلال تلك السنوات، حيث لم تُغبِّ الذراع العسكرية لـ"حماس" عن ساحة الضفة الغربية؛ إذ نجحت، في عام 2012، في تنفيذ عملية "الباص 142" في تل أبيب، على يد خليّة مكوّنة من الأسير "القسامي" أحمد صالح أحمد موسى (قائد الخلية)، والشهيد محمد رباح عاصي، وهما من بلدة بيت لقيا قرب رام الله، والأسير "القسّامي" محمد عبد الغفار مفارجة من سكّان مدينة الطيبة. وفي شهر أيار 2014، نجح زياد عوض، وهو أحد مُحرّري صفقة "وفاء الأحرار"، في قتْل ضابط مخابرات إسرائيلي

> **إعلان القسام المتكرّر عن عمليّتَين في غضون أسبوعَين، يمثّل تدشيناً لمرحلة جديدة**

عندما نفَذ معتزّ إلى «ملكوت الله»

بيروت حمود

في ذروة التظاهرات التي اجتاحت شوارع إسرائيل في "يوم مناهضة الديكتاتورية"، وبعد إغلاق أكثر الطرق حيويّةً ومنْع رئيس وزراء العدو من السفر إلى روما في موعد رحلته المحدّد، وفي وقت حظّي فيه وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، باستقبال "مُهين" في لقاء لم يُكتب له أن يتمّ خارج قاعات مبنى "بن غوريون"؛ تمكّن الفدائي، المعتز بالله الخواجا، ابن بلدة نعلين في الضفة، من سحْق المستحيل، والوصول إلى قلْب تل أبيب، حيث حوّل حياة "الأشكنازيين" الذين ينازعون اليوم على "مساحاتهم الآمنة" ووجْه دولتهم "الديموقراطي"، إلى كابوس.

في شارع "ديزنغوف" حطّ الخواجا، قادماً من وراء الجدار. جاء ابن الثلاثة والعشرين عاماً منتقماً ثائراً، يشقّ طريقه من بين الوجوه الغاضبة المحزونة في جبع وجنين ونابلس. وفي عزّ الاستنفار الأمني بسبب التظاهرات التي يشهدها الكيان ضدّ "الانقلاب القضائي" وجد لنفسه منفذاً؛ فـ«مرور جَمَل من ثقْب إبرة أيسرُ من أن يَدخُل غنيٌّ إلى مُلكوتِ الله». كان الخواجا هذا الجمل الذي نفَذ إلى الملكوت، فيما فضّل "الأغنياء" الاعتداء على جنازة الشهيد عبد الفتاح خروشة في نابلس أوّل من أمس، إرضاءً لـ"آلهتهم".

قُبيل التاسعة مساءً، وبينما كان المستوطنون الثلاثة، أور أشكر، وروتيم منسينو، ومايكل أوسدون، في طريقهم من «ديزنغوف» إلى «بن غوريون» لحضور حفل زفاف صديق لهم، باغتهم الخواجا، فأردى اثنين منهم جرحى في حال الخطر. أمّا الثالث، أوسدون، وهو صاحب شركة "ستارت أب بوند" التي اشترتْها شركة «ريف» الأميركية باكثر من 18 مليون دولار، فأصيب بجروح طفيفة في كتفه، فيما ظلّ الخواجا يلاحقه، وفق ما روى الأوّل في مقابلة مع «القناة 12»، مضيفاً أن الشهيد "أطلق النار عليه بينما كان هارباً، فأخطأ إصابتَه، حتى تمكّن من الهرب وطلب الإسعاف، قُبيل وصول قوّات الأمن». وفيما لا يزال أشكر مسرَراً في وحدة العناية المكثّفة في مستشفى «إيخيلوف» في حالة حرجة، ينسحب الوضع نفسه على منسينو الذي بدأ عمله كـ«دي جاي» منذ 12 عاماً، حيث دأب على إحياء الحفلات والأعراس الإسرائيلية. وبحسب مدير قسم الجراحة في «إيخيلوف»، الطبيب أور غورن، فإنه «حتى اللحظة، نقدّر أن حالة أشكر خطيرة للغاية، ومع ذلك، نحن نبذل الجهود من أجل أن تصبح حالته مستقرّة خلال الأيام القريبة، فيما لا نزال نحاول إيقاظ منسينو من أجل تقدير حجم الضرر الذي لحق به جرّاء إصابته».

أمّا الشرطي ديفيد فريدمان، الذي كان في عطلة، وتواجد صدفة لدى وقوع الهجوم، فقال: «سمعتُ صوت إطلاق رصاص، ورأيتُ أشخاصاً يتدافعون. سارعتُ في الوصول إلى مصدر الصوت، ورأيتُ المصابَين ملقيَين على الأرض جرّاء إطلاق النار عليهما». وتابع: «قال لي أحدهم إن المنفّذ دخل من أحد المفارق... وصلتُ وكان هناك عناصر شرطة، فيما المنفّذ لا يزال يطلق النار باتجاههم بشكل متقطّع. انتظرنا خروجه (الخواجا) من المفرق وأطلقنا النار عليه أنا وشرطيّ آخر».

وتعقيباً على العملية، كتب وزير "الأمن القومي" الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، على صفحته في موقع «تويتر»: «أصلّي لشفاء جرحى العملية الصعبة في تل أبيب. وأبارك قتَلة حرس الحدود الذي نجح في قتل المخرّب وإنقاذ حياة كثيرين». ولم تمضِ لحظات قليلة على تغريدته حتى انهالت عليه الردود الغاضبة؛ إذ حمّله الإنفلونسر الإسرائيلي، ريغيف غور، المسؤولية قائلاً إن «كلّ قطرة دم سقطت تلطّخت يداك بها الآن. أنت أزعر ومافيوي وتتحمّل المسؤولية عن أحد أكثر الأمور حساسية: حياة الإنسان». أمّا عضو "الكنيست" من حزب «هناك مستقبل»، ميراف بن آري، فصحّحت معلومات وزير "الأمن القومي"، إذ كتبت أن «الشرطي الذي أطلق النار هو مقاتل في "وحدة غدعونيم"، وهي إحدى الوحدات النخبوية في الشرطة، يُفصَل أن تُعرف عن ذلك». من جهته، كتب غلعاد سيغيف: «الوزير لتخريب الأمن القومي، والذي يقبل قائد شرطة تل أبيب قبل نصف ساعة من وقوع العملية، من الجيّد أنك لم تُقِل كابتن طائرة نتنياهو قبيل ساعة من الهبوط في روما»، في إشارة إلى إقالة بن غفير والمفتّش العام، يعكوف كوبي شبتاي، قائد شرطة تل أبيب، بادّعاء «التساهل مع المتظاهرين ضدّ خطّة الإصلاحات القضائية».

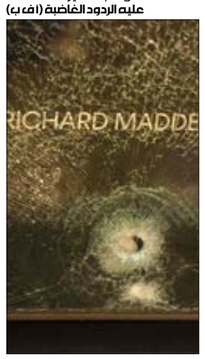

لم تمضِ لحظات قليلة على تغريدة بن غفير حتى انهالت عليه الردود الغاضبة (أ ف ب)

أبرزها استمرار المجازر الإسرائيلية بحقّ الفلسطينيين واتّساعها، وهي مجازر لا يمكن أن تستمرّ من دون ردّ، على قاعدة أنه لا أمن أو أمان للمستوطنين على حساب الدم الفلسطيني. ويُضاف إلى ذلك، وجود تَوجّه لدى الفصائل لتنفيذ المزيد من الضربات، بالاستناد إلى نجاحها في تشكيل خلايا نائمة، أو حتى تكليف فدائيين استشهاديين بالمهام، من دون إغفال العمليات الفردية التي لم تتوقّف. أمّا العامل الثالث، فيشي به ما جرى في مستوطنة "بيتار عيليت"، حيث دوّت صفّارات الإنذار أكثر من مرّة طيلة ليل الجمعة وفجره، وسط شلل للحياة، وعدم إعلان قوّات الاحتلال عن اعتقال الشابّ المسؤول عن زرْع عبوة ناسفة في إحدى حافلات المستوطنة، ومحاولة تفجيرها عن بُعد قبل أن يحول خلل فنّي ذلك. وتُعدّ هذه الواقعة مؤشّراً جديداً إلى إمكانية عودة العمليات التفجيرية، وخصوصاً أنها تأتي بعد نجاح عمليتَي تفجير عبوات ناسفة في محطّتَين للحافلات في القدس في تشرين الثاني، ما أسفر عن مقتل مستوطن وإصابة أكثر من 20 آخرين. الأكيد، إلى الآن، أن عملية "ديزنغوف" ضربت إسرائيل في مقتل، إلى حدّ أنها دفعت رئيس وزراء الاحتلال، بنيامين نتنياهو، إلى وصْفها من إيطاليا بـ"العملية الصعبة"، وذلك نظراً إلى جرأتها وتوقيتها ومكانها، وإمكانية تأسيسها لحقبة مختلفة من العمل المقاوم. وفي هذا الإطار، يرى الكاتب والمحلّل السياسي المقرّب من "حماس"، مصطفى الصواف، في تصريح إلى "الأخبار"، أن "الضفة الغربية ليست بعيدة عن حماس وكتائب القسام، وإنْ كانت لم تعلن عن شيء وعملت بصمت كبير، ولكن كان لا بدّ بعد هذا العمل والإعداد، على ما يبدو، لكتائب القسام الظهور بهذا الشكل الواضح". ويعرب الصواف عن اعتقاده بـ"أننا مُقبلون على أمور أكثر خطورة، سواء من الاحتلال الصهيوني، أو من المقاومة التي لن يقتصر ردّها على الضفة، بل سيكون في فلسطين المحتلة عام 1948، وعملية "ديزنغوف" التي نفّذها أحد أبطال القسّام تؤكّد هذا التوجّه". ويَعتبر أن "عمليات الضفة وحدها لا تردع الاحتلال، ولكن هذا الاحتلال يحتاج إلى المزيد من القوة، وأكثر العمليات التي تؤلمه هي التي تكون داخل الأراضي المحتلّة عام 1948"، متوقّعاً أن "تتبع عمليّة ديزنغوف عمليات أخرى".

ويلفت الصواف إلى أن "العمل المنظّم بات واضحاً، وهذا يتجلّى في كتيبة جنين وكتيبة أريحا وعرين الأسود"، مضيفاً أن "العمل التنظيمي بات أكثر وعياً وعمقاً داخل الضفة الغربية، وهذا لا يمنع أن تكون هناك عمليات فردية". وعن توعّد "حماس" بمزيد من العمليات، يرى أن "الأمور تتّجه إلى تصعيد أكبر في الفترة المقبلة، في ظلّ إصرار الاحتلال على عدوانه"، مشيراً إلى أن "لدى المقاومة الكثير في جعبتها، بل إن لديها ما يمكن أن يُحدث أزمة داخل الكيان الصهيوني، والمقاومة في غزة تُراكم القوة وتبني وتخطّط لعمل ما في لحظة ما، على غِرار ما جرى في سيف القدس".

من جانبه، يعتقد الأسير المحرَّر والمختصّ بالشأن العبري، سعيد بشارات، أن "عملية ديزنغوف جاءت في توقيت مهمّ جداً، وهي رسالة إلى الاحتلال تؤكّد فشله في وقْف هذه الموجة من ردود المقاومة على مجازره، وبالتالي الاحتلال يدفع ثمن ممارساته الأمنية، ولا يوجد لديه أيّ حلّ سوى هذا الحلّ"، مضيفاً، في تصريح إلى "الأخبار"، أن "جرائم الاحتلال تطوّرت مع الحكومة الحالية، وتحوّلت إلى مجازر يومية لم تحدث من قبل بهذا الشكل سواء بالوحشية أو العشوائية". ويشير بشارات إلى أن "ردود الفعل الإسرائيلية على العملية كانت عادية، وتختلف عن ردود الفعل السابقة، وهذا يدلّل على إدراك المستوى السياسي والأمني أنه لا يمكن السيطرة أو وقْف هذه الموجة في ظلّ جنون الحكومة الإسرائيلية"، متابعاً أن "بنيامين نتنياهو الذي يزور إيطاليا تلقّى المعلومات ولم يقطع زيارته، بينما إيتمار بن غفير لم يجرؤ على الوصول إلى المكان كما جرت العادة، والمستوى الأمني اكتفى برفع تأهّبه ونشْر القوّات".

وفي هذا السياق، تؤكّد مصادر في المقاومة الفلسطينية أنه، منذ عام 2007، وعلى رغم القيود الهائلة التي فرضتْها الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة، والتي قلّصت هامش عمل وتحرُّك عناصر "حماس" كافة، إلى جانب العمل المركّز لجهازَي "الموساد والشاباك"، فإن المحاولات لإعادة التأسيس لم تتوقّف. وعلى طريق ذلك، اعتقلت أجهزة الأمن الإسرائيلية العشرات من الخلايا قبل نضوجها وتحرّكها إلى العمل. غير أن الأشهر الأخيرة أثبتت أن "القسام" نجحت في التحرّك فعلياً، وفق المصادر نفسها، التي تضيف في حديث إلى "الأخبار": "يوم أمس، أعلن القسام تبنّي الشهيد معتز الخواجا بشكل رسمي، ومعتز هو أسير مُحرَّر اعتُقل أربع سنوات في سجون الاحتلال، ودخل تل أبيب من دون تصريح عمل، فيما يشير تمكّنه من الدخول، وتأمين السلاح في الداخل، إلى أن ثمّة عملاً منظّماً، أكبر من حدود الفردية، خصوصاً أن المنفّذ يسكن بلدة نعلين في رام الله".

وتتابع: "مَن يسكن في الضفة، يعلم قدْر التعقيد، والتكلفة العالية التي يتطلّبها تسلُّل ونقْل مقاوم من مدينة في الضفة إلى مدن العمق، خصوصاً في ظرف أمني معقّد كالذي تعيشه دولة الاحتلال"، معتبرةً أن "إعلان القسّام المتكرّر عن عمليّتَين في غضون أسبوعَين، يمثّل تدشيناً لمرحلة جديدة، عنوانُها العمل الأفقي، المسانِد لعمل خلايا المقاومة التي تعمل بشكل هرمي شبه منظّم في المناطق شبه الآمنة، مثل جنين ونابلس".

تقرير

باريس - لندن: «مصالحة» لا تنهي الخلافات

لندن - **سعيد محمد**

التقى الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، في باريس، يوم أمس، رئيسَ الوزراء البريطاني، ريشي سوناك، في أوّل قمّة تُعقَد على مستوى القادة الأنجلو-فرنسيين منذ خمس سنوات. وشكّلت مسألة تدفُّق المهاجرين في القوارب الصغيرة من فرنسا إلى بريطانيا عبر بحر المانش الفاصل بين البلدَين، أهمّ بند على جدول أعمال القمّة. لكن مطّلعين على أجواء اللقاء، قالوا إن الجانبين استعرضا جوانب أخرى ذات اهتمام مشترك، ولا سيما قضايا الدفاع، والتصنيع الحربي، وتنسيق المواقف في شأن دعْم أوكرانيا في مواجهتها مع روسيا، بالإضافة إلى أمن الطاقة وتراخيص الصيد. وفيما بدت صحف لندن - اليمينية التوجّهات - متفائلة إزاء القمّة باعتبارها خطوة في اتجاه تطبيع العلاقات بين البلدَين بعد نصف عقد من الجفاء، رافق مرحلة تخلّي بريطانيا عن عضويّتها في الاتحاد الأوروبي، قلّل مسؤولون فرنسيون من شأن التوقّعات بنتائج فاصلة، لكنهم اعتبروا أن القمّة ستسمح لماكرون وسوناك بتطوير علاقة عمل أفضل خلال الفترة المقبلة.

وكانت العلاقات الأنجلو-فرنسية قد عانت من خلافات ناجمة جزئياً عن فقدان باريس الثقة برئيس الوزراء الأسبق، بوريس جونسون، الذي بنى داخل الإدارة البريطانية تصوّراً بأن ماكرون يريد معاقبة المملكة المتحدة على خروجها من الاتحاد الأوروبي، لتكون عبرة للأعضاء الآخرين. وتراجع جونسون عن وعود قطعها للأوروبيين بموجب معاهدة «بريكست»، ولا سيما في ما يتعلّق بحدود إيرلندا الشمالية؛ ثمّ أبطأ منْح تراخيص الصيد للقوارب الفرنسية. وتُوِّج التوتّر بتوقيع بريطانيا والولايات المتحدة اتفاقاً أمنيّاً مع أستراليا أدّى إلى إلغاء الأخيرة عقداً مع فرنسا بقيمة 36 مليار يورو لتوريد غواصات نووية إلى حكومة كانبيرا. وتالياً، فشلت ليز تراس، خليفة جونسون، في استعادة المزاج الإيجابي للعلاقة مع باريس.

ويقول خبراء إن سوناك الذي تعاني حكومته - وفق الاستطلاعات - من تراجع التأييد الشعبي، وفي ظلّ انعدام فرص التجديد لـ«حزب المحافظين» الحاكم في الانتخابات المقبلة (كانون الثاني 2024)، كما المؤامرات في كواليس السلطة، فضلاً عن سلسلة من الأزمات الاقتصاديّة والإضرابات العمّالية المستمرّة، قد اختار في ما يبدو كسْب النقاط في ملعب السياسة الخارجية من خلال تبنّي سياسة تصالحيّة مع الفرقاء على البرّ الأوروبي، مخالفاً توجّه سلفَيْه (جونسون وتراس) وصقور الانعزالية في حزبه. إذ يدرك أن دور لندن على الساحة الأوروبية كوكيل للأميركيين داخل الاتحاد الأوروبي قد انتهى عملياً مع «بريكست»، وأن واشنطن تفضّل الآن الاعتماد على باريس لضبط الإيقاع في أوروبا. ولا سيما أن الأخيرة أبدت مرونة جليّة في إدارة عمليّات دعم الجيش الأوكراني دون كثير من الصخب. ولذلك، فإن مناخاً من العداء مع الفرنسيين سيكرّس بالضرورة من تراجع مكانة بريطانيا وعزلتها أوروبيّاً، بينما يكاد ذلك لا يزعج ماكرون كثيراً.

ويزعم أشخاص على صلة بالقمّة أن ثمّة كيمياء إيجابية ملحوظة بين الزعيمَين ماكرون وسوناك، قد تسمح بتسريع تطوير العلاقات بين البلدين. فهما متقاربان في العمر، وخلفيتهما في العمل المصرفيّ تمنحهما لغة مشتركة، وكلاهما ضعيف داخلياً وبحاجة إلى تحقيق إنجازات خارجية للتعويض، وبرامجهما السياسية المتناغمة مع التوجهات الأميركية تفرض عليهما حدّاً أدنى من التفاهم، كما أن فرص التعاون الاقتصادي الممكن عبر عدّة قطاعات استراتيجية تبدو واعدة بالفعل وقد تساعد الطرفَين على مواجهة الانعكاسات السلبيّة للحرب الاقتصادية التي تقودها الولايات المتحدة ويشارك فيها البلدان ضدّ روسيا. ومن جهته، يريد سوناك الحصول على مساعدة من ماكرون للتعامل مع القوارب الصغيرة التي حملت، العام الماضي، رقماً قياسياً بلغ 46 ألف مهاجر إلى شواطئ المملكة المتحدة (بزيادة 60% عن العام الذي سبقه) انطلقوا غالباً من نقاط على الشواطئ الفرنسيّة. وعلى رغم أن تلك الأعداد تبقى قليلة بالمقارنة مع أعداد المهاجرين الذين يستهدفون دول أوروبا الكبرى، إلّا أن مسألة الهجرة تحتلّ مكانة بارزة على أولويات الحكومة البريطانية ذات التوجهات اليمينية. وكشف «10 داوننغ ستريت»، هذا الأسبوع، عن مشروع قانون لمنْع الأشخاص الذين يدخلون المملكة المتحدة بشكل غير قانوني من حقّ طلب اللجوء. وقد اتّفق الزعيمان، في قمّتهما التي حضرها وزراء من البلدين، على «تعميق التعاون»، فيما بقي ماكرون على موقفه، معتبراً أن «اتفاقاً لإعادة المهاجرين من حيث أتوا» والذي تسعى المملكة المتحدة إلى توقيعه مع الجار الفرنسيّ، ينبغي أن يتم التفاوض عليه مع الاتحاد الأوروبي ككلّ. كذلك، يراهن الجانب البريطاني على الاستفادة من الزخم الذي وفّرته القمّة لضخّ طاقة جديدة في معاهدات «لانكستر هاوس» لعام 2010، والتي جعلت فرنسا أقرب حليف أوروبي لبريطانيا، وتضمّنت إطاراً لإنشاء قوّة تدخّل سريع مشتركة تضمّ 10 آلاف جندي، لكنّها أُهملت تماماً مع انطلاق قطار «بريكست».

وانعقدت القمّة بين الزعيمَين فيما يواجهان موجة متّسعة من الإضرابات العماليّة في بلديهما. وإذا كانت الأمور في إنكلترا لا تتعدّى الإضرابات الجزئية والقطاعية من دون حراك في الشارع، فإنها في البرّ الفرنسي مرشّحة لمزيد من التصعيد، وسط تعهُّد النقابات العمّالية الرئيسة بشلّ البلاد، في محاولة لإجبار ماكرون على التخلّي عن مشروع قانون لزيادة سنّ التقاعد. وقالت بعض النقابات التي تمثّل عمّال النقل العام وسائقي الشاحنات وفنّيّي المحطّات النووية، إنها ستنظّم إضرابات متدحرجة ومتتالية، في تصعيد لتكتيك الإضرابات الجزئيّة والمسيرات الأسبوعية المستمرة منذ كانون الثاني الماضي. وفيما كانت التحضيرات في الإليزيه جارية لاستقبال رئيس الوزراء البريطاني، كان ما يقرب من ثلثي معلّمي المدارس الابتدائية في البلاد (الثلاثاء) مضربين، كما ربع موظّفي الخدمة المدنية. وألغت السكك الحديدية الوطنية الفرنسية ثلاثة أرباع برامج القطارات، في حين تخلّت شركات الطيران المحلّية عن نحو ثلث رحلاتها المقرَّرة. وتوقّفت إمدادات الوقود من محطّات التكرير. وبحلول بعد الظهر، خفّض عمال قطاع الطاقة الإنتاج في المفاعلات النووية إمدادات الكهرباء بما يقرب من خُمس الاستهلاك اليومي المعتاد، ما دفع السلطات إلى استيراد الكهرباء من جيرانها بأسعار عالية. وقد شارك ما يقرب من مليون ونصف مليون فرنسي في مسيرات احتجاجية شهدتها المدن الكبرى، فيما حاصر الطلاب مدارسهم وبعض الكليّات الجامعية ومنعوا انعقاد الدروس. ومن شأن مشروع ماكرون أن يرفع الحدّ الأدنى لسنّ التقاعد من 62 إلى 64 عاماً، ويتطلّب 43 عاماً من العمل للحصول على معاش تقاعدي كامل. ومع أن إمكانيّة تمريره في البرلمان قائمة بالفعل، إلّا أن معارضة ثلاثة أرباع الفرنسيين له، وقيام النقابات بأكبر احتجاجات لها منذ عقود، يهدّدان البلاد بأزمة سياسية لا يبدو أيّ من الطرفين مستعداً حتى الآن لتقديم تنازلات لتجنُّبها.

البلاد

فلسطين - أفريقيا

جذور التطبيع والتضامن

كريسو ديالو

مع نهاية القرن التاسع عشر، تحالفت الحركة الصهيونية العالمية مع نظام الإمبريالية الغربية. تزامنت هذه الظاهرة مع توطيد الحكم الاستعماري في أفريقيا والفصل العنصري المؤسسي في الولايات المتحدة الأميركية. وبالتالي، فإنّ النضال ضد قوانين جيم كرو والفصل العنصري ولتحرير ثوري حقيقي للشعوب المضطهدة في أفريقيا والولايات المتحدة، سيكون على تعارض حتماً مع الجهود الموجّهة نحو بناء الدعم لدولة إسرائيل ومع الأهداف السياسية للصهيونية.

وفقاً لإسماعيل زيد، في دراسته البحثية عام 1980 بعنوان «الصهيونية: الأسطورة والواقع»، انبثقت «الصهيونية، كعقيدة سياسية حديثة، في أوروبا، كايديولوجيا سياسية معترف بها، في نهاية القرن التاسع عشر مع ثلاث صفات أساسية متأصلة هي بالتحديد: الاستعمار الاستيطاني، العنصرية والتوسع». ويلاحظ أن أكثر الروابط المعروفة بين الحركة الصهيونية العالمية والاستعمار الأوروبي والفصل العنصري كانت في المستعمرات السابقة لروديسيا وجنوب أفريقيا. وبحسب زيد، فقد «شهدت الحركة الصهيونية منذ بدايتها تحالفاً منهجياً طبيعياً مع الإمبريالية الأوروبية. وقد شدّدت التطورات السريعة للقومية العدوانية والشوفينية في أوروبا على أن الصفات العرقية المتفوّقة كانت أساس الاستغلال و"المهمة الحضارية" تحت مفهوم "عبء الرجل الأبيض"».

وفي خلال المفاوضات التي تضمّنت المقترحات الصهيونية للتغلغل الأبيض في أفريقيا وآسيا، تحدّث ثيودور هرتزل، على غرار المفكرين الإمبرياليين في القرن التاسع عشر، عن الإمبريالية والاستعمار على أنهما «نشاط نبيل يهدف إلى جلب الحضارة إلى الأجناس المتخلّفة». وبهذا النظر إلى «الدولة اليهودية» بمنظار غربي أبيض، تأكد أن هذه الدولة مصممة «لتشكّل جزءاً من جدار دفاع عن أوروبا في آسيا وأفريقيا كموقع حضاري ضد البربرية». أيامها، قال جوزيف تشامبرلين، المنظّر الليبرالي العنصري البريطاني، لهرتزل مقترحاً: «لقد رأيت أرضاً لك في رحلاتي الأخيرة، وهي أوغندا. إنه ليس على الساحل، ولكن المناخ الداخلي ممتاز لأوروبيين». إلا أنه على الرغم من أن هرتزل فضّل بشدة أوغندا كموقع للدولة اليهودية، فإن اللجنة التي عيّنها المؤتمر الصهيوني العالمي لاستكشاف المنطقة وجدت أنها غير مناسبة، ومن ثمّ وخلال فترة الحرب العالمية الأولى أصدر اللورد بلفور إعلانه الذي استخدم كأساس قانوني للاستيطان الصهيوني وإنشاء دولة إسرائيل في نهاية المطاف في عام 1948 على أرض فلسطين. يسجّل زيد أيضاً أن «جهود هرتزل في إنكلترا تضمّنت التماس دعم الشخصيات الاستعمارية الكبرى، وعلى رأسها سيسيل رودس، مؤسس البؤرة الاستعمارية البريطانية في روديسيا خلال أواخر القرن التاسع عشر».

في الماضي، دعم الكيان الصهيوني الاستعمار والثورات المضادّة في القارة الافريقية، واليوم هو يناك دعم بعض الطبقات الحاكمة

بحلول 1948، تزامن إنشاء دولة إسرائيل مع وصول الحزب القومي الوطني إلى السلطة في اتحاد جنوب أفريقيا، وعلى الرغم من الأيديولوجية المعادية للسامية للحزب ثبت موقف الحزب بقوة لمصلحة إسرائيل، ولمصلحة الجالية اليهودية في جنوب أفريقيا. وفقاً لريتشارد ب. ستيفنز، في دراسته حول ارتباط الأبارتايد بالكيان الصهيوني، لم يكن الارتباط فقط على نطاق التضامن الأبيض والحفاظ على نظام عرقي مسيطر، إذ خشيت دولة الفصل العنصري من أن معاداة الكيان الصهيوني ستؤدي إلى انسحاب رأس مال أثرياء اليهود. ولهذا، وطوال فترة الفصل العنصري، كان الكيان الصهيوني من أشدّ المؤيدين لها في حربها ضد حزب المؤتمر الوطني الأفريقي وباقي حركات التحرير الثورية في جنوب أفريقيا.

كذلك، في أنغولا، أيام الحرب الأهلية، دعم الكيان الصهيوني حركة «يونيتا» الرجعية لأن جوناس سافيمبي، عندما سيطر على شمال شرق أنغولا، كان يقايض الماس (لشركة تابعة لشركة «DeBeers») لها مكاتب في تل أبيب) مقابل السلاح.

إذاً، في الماضي دعم الكيان الصهيوني الاستعمار والثورات المضادة في القارة الأفريقية، واليوم هو ينال دعم بعض الطبقات الحاكمة هناك، حيث الشركات الإسرائيلية، ذات الخبرة في مجال الاستخبارات والمراقبة والأمن السيبراني والأسلحة، تساعد هذه النخبة على الإمساك بزمام السلطة. وعلى مدار العقد الماضي، زادت الصادرات العسكرية الإسرائيلية إلى أفريقيا بأكثر من ثلاثة أضعاف، مثبتة أن مساعدة الدكتاتوريين على البقاء في السلطة طريقة فعّالة لإسرائيل لتكوين صداقات أفريقية.

لكن، في مقابل كل هذا، فشل الكيان في كسب تعاطف الشعوب الأفريقية التي لم تنس الإرث الصهيوني ماضياً وحاضراً. وبين 10 و 12 آذار 2022، التقى نشطاء من 21 دولة أفريقية في العاصمة السنغالية، داكار، لوضع استراتيجية وبناء حركة تضامن منسقة على مستوى القارة مع القضية الفلسطينية. كانت هذه المرة الأولى التي يعقد فيها تجمع غير حكومي كهذا في أفريقيا للتضامن مع فلسطين. وقد استضافت الفعالية Plateforme de Solidarieté Sénégal-Palestine (تحت شعار «من أفريقيا إلى فلسطين: متّحدون ضدّ الاحتلال)، وشارك فعاليتهما في التعامل مع المسائل العرقية من خلال التحدث علناً عن مسائل السياسة الخارجية. ومع ذلك، عندما يتعلّق الأمر بالشرق الأوسط، اعتقدت هذه الجماعات أنها اضطرت إلى إصدار بيانات حول الصراع من أجل الابتعاد عن مجموعات «القوة السوداء» التي كانت تهاجم إسرائيل، حيث مثّلت هذه الأصوات تحدياً إيديولوجياً وعملياً من الدرجة الأولى. بالنسبة إلى جماعات الحقوق المدنية، أصبح الصراع بمثابة خط صدع حقيقي، يفصل بين المقاربتين لتأمين مستقبل عادل للأميركيين السود. خلص فيشباك إلى أن الاختلاف في المواقف بين هذين المقاربتين جزئياً كان بين قادة الحقوق المدنية البرجوازيين الأكبر سناً مقابل مناضلي «القوة السوداء» الأصغر سناً والأكثر ثورية. حيث عملت منظمات السود التقليدية طويلاً، وبجد، من أجل العدالة العرقية داخل النظام الأميركي الرأسمالي الليبرالي الذي كان يتعرض للهجوم من قبل أعضاء «القوة السوداء». وكانت الرابطة الوطنية للملوّنين (NAACP) تقوم بأعمال قانونية مضنية منذ عام (1909)، وكان النشطاء في هذه المنظمات من دعاة الاندماج الذين يعملون بلا عنف لفتح أبواب الفرص والمساواة الكاملة. وما لم يدافعوا عنه هو الإطاحة الثورية بالحكومة الأميركية، كما دعت إليه مجموعات «القوة السوداء» مثل حزب «الفهود السود». كما أنهم لم ينظروا إلى الأميركيين الأفارقة على أنهم مستعمرة محلية تحتاج إلى التحرر، وتشكيل دولتها كما فعلت بعض هذه المجموعات الأخرى. كما انعكس نهجهم الأكثر حذراً تجاه مسألة العرق في اختيارهم للحلفاء مثل: النقابات العمالية والمنظمات الدينية والأقليات الأخرى.

فيها أعضاء من منظمات سياسية ونقابات مهنية وعمالية واتحادات طلابية من بوتسوانا والكاميرون وكوت ديفوار وجمهورية الكونغو الديموقراطية وغامبيا وغانا وغينيا بيساو وكينيا وملاوي وموريتانيا والمغرب، وموزمبيق وناميبيا ونيجيريا والسنغال وجنوب أفريقيا وتنزانيا وتونس وزامبيا وزيمبابوي. ورأى مافا كوانيساي مافا، رئيس مجلس زيمبابوي للتضامن مع فلسطين (ZPSC)، أن «من غير المعقول أن نرحب بالكيان الصهيوني داخل أروقة الاتحاد الأفريقي الذي أسّس لردع السياسات الاستعمارية في القارة ويرمز إلى التضامن بين شعوب الجنوب». كما حضرت إيما نيريري، التي كان جدّها، جوليوس نيريري، رمز التحرر الوطني التنزاني، من بين أوائل قادة العالم الذين اعترفوا بمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1973، وقالت إنها فخورة بأن حزب الشعب الأفريقي يواصل دعمه لفلسطين. أمّا زفيليفيل مانديلا، حفيد نيلسون مانديلا، فرأى أن «هذا [التجمع] يبعث برسالة قوية إلى شعب فلسطين مفادها أنك لست وحدك وأن شعوب أفريقيا تقف بجانبك في كفاحك كما وقفت إلى جانبنا خلال كفاحنا من أجل تحرير جميع أنحاء القارة».

هكذا يستمر ويتصاعد التضامن مع النضال الفلسطيني، ومع غيره من النضالات من أجل الاستقلال وتقرير المصير في الجنوب، إلى اليوم، حتى في أعقاب انتهاء الفصل العنصري واستقلال الدول المستعمرة السابقة في أفريقيا، وبرغم تعاون بعض الطبقة الحاكمة في هذه الدول مع الصهيونية، وصولاً إلى الموقف الأخير قبل أيام بتعليق عضوية إسرائيل بصفة المراقب في الاتحاد الأفريقي.

أثر القضية الفلسطينيّة في الحركة السوداء الأميركيّة

مصطفى شلش

عشية حرب 1967، أراد الدبلوماسي في السفارة الإسرائيلية لدى واشنطن إفرايم إيفرون، أن يعرف لماذا يدعم القوميون السود فلسطين بدلاً من إسرائيل، لذا دعاه الكاتب اليساري بول جاكوبس للقاء بعضهم في لوس أنجلوس. تلقّى الإسرائيلي نقداً واسعاً على حروب إسرائيل منذ حرب السويس 1956، وقالوا إن العرب يدعمون الشعوب الملوّنة في جميع أنحاء العالم. وكانت معظم تعليقاتهم نقداً للجالية اليهودية التي جمعت أموالاً من القوى العاملة السوداء، وأرسلتها إلى تل أبيب لاستغلالها في أعمال عدوانية.

يؤكد اللقاء أن النشطاء السود كانوا مُراقبين بحرص للصراع في الستينيات والسبعينيات، وفشروه بطرق مرتبطة بهم وبحياتهم وبأولوياتهم. ولقد كُتب الكثير عن النضال من أجل الحرية للسود، ومع ذلك تم تجاهل ارتباط الأميركيين السود بصراع فلسطين، والطرق التي أثّر بها عليهم وعلى تصورهم للهوية إلى حد كبير. ولقد قام النشطاء السود، مثل مارتن لوثر كينغ جونيور ومالكولم إكس وجيسي جاكسون، بزيارة لسطين، وأصدروا تصريحات علنية حول الصراع، كما زار مسلحون من «الفهود الأسود» (BPP)، وممثلو الكونغرس السود، وحتى الملاكم محمد علي، المنطقة، خلال تلك الفترة المضطربة، حيث التقوا بقيادات فلسطينية، أبرزها ياسر عرفات. وأصدرت مؤتمرات سياسية سوداء بيانات مهمة تدعم فلسطين، كما سلّطت حركة الفنون السوداء الضوء على الفلسطينيين.

عكس الجدل الأسود حول دعم فلسطين أو إسرائيل، نقاشات أعمق بكثير حول العرق والهوية والعمل السياسي حينها، وأصبحت كيفية التعامل مع الصراع، ليست مجرد حدث إخباري عن الشرق الأوسط البعيد، بل إحدى أكثر المسائل أهمية التي تواجه الأميركيين السود، ونتيجة لذلك انتهى الأمر بانحيازهم إلى طرف أو آخر، ما أثّر بعمق، ليس فقط عليهم، بل على نطاق أوسع، على السياسة والمجتمع الأميركيَّيْن.

على سبيل المثال، كانت حركة «القوة السوداء» في الستينيات، أول مَن أعلن تأييد فلسطين ومعاداة إسرائيل، وساهمت في نشر القضية لتصل إلى جمهور أميركي كبير خارج اليسار المتشدد. وانطلاقاً من مناهضتهم الدولية للإمبريالية، تمسك المناضلون السود بالقضية الفلسطينية كنضال تحرري آخر، يخوضه شعب ملوّن يستحق الدعم. ولقد رأوا أنفسهم والفلسطينيين شعوباً ملوّنة، تشن ثورة ضد نظام القمع العالمي. وفي أثناء تضامنهم مع الفلسطينيين كشعب يقاتل من أجل التحرر، تماماً كما يفعل السود، أصبح هؤلاء النشطاء أيضاً يربطون هويتهم ورؤيتهم لأميركا بنضال الفلسطينيين.

نفهم من أن تهديد حركة «القوة السوداء» للمجتمع المتعدد الأعراق، أدى إلى انحياز معظم المدافعين عن الحقوق المدنية بقوة إلى إسرائيل أثناء حرب 1967 وبعدها. كان ذلك سلوكاً أكثر أماناً وأكثر تقليدية «داخل النظام»، ويعكس رؤاهم الأكثر تحفظاً على الهوية وسياساتهم الأوسع، عن تغيير النظام، لا إسقاطه. وهذا هو سبب أهمية موقف المرء من الصراع العربي الإسرائيلي، والذي نتج عنه ظهور جناحين للنضال الأسود من أجل الحرية. ولم يكن ذلك فقط لأن السود لديهم وجهات نظر مختلفة حول القضية، إنما أيضاً لأن الصراع أصبح نقطة مرجعية حاسمة، أنشأوا من خلالها وصاغوا رؤاهم الخاصة للهوية والمكان والنضال في أميركا.

يستكشف كتاب «القوة السوداء وفلسطين» (Black Power and Palestine: Transnational Countries of Color - Stanford Studies in Comparative Race and Ethnicity) للمؤرّخ مايكل فيشباك، كيف أصبح الصراع العربي الإسرائيلي مرتبطاً بالطريقة التي تطور بها نضال السود من أجل الحرية في أميركا خلال الستينيات والسبعينيات. وكيف ساهم هذا الصراع في اعتبار حركة «القوة السوداء» الصاعدة نفسها جزءاً من صراع ثوري عالمي، وليست مجرد حملة إصلاح داخلي. حتى اعتقد نشطاء «القوة السوداء» بشدة أنهم جزء من معركة أوسع ضد الإمبريالية والاستعمار الاستيطاني الأبيض الموجّه ضد الفلسطينيين.

ينطلق فيشباك من لحظة حرب 1967، التي دفعت «القوة السوداء» إلى تبني القضية العربية علانية. ولم يكن دعم الفلسطينيين لأنهم مقاتلو عالم ثالث، بل أيضاً لقرب فلسطين من أفريقيا، وحقيقة أن الفلسطينيين بعضهم من المسلمين مثل بعض الأميركيين السود، وأنهم كانوا يكافحون ضد دولة مدعومة من الولايات المتحدة، وكل ذلك ساعد في جعل قضية الفلسطينيين قريبة إلى قلوب العديد من دعاة «القوة السوداء».

شكّل النضال الفلسطيني نظرة المقاتلين السود إلى أنفسهم. كما عكس الفلسطينيون صورتهم ومفهوم الهوية الذي كانوا يصنعونه، ومفاده: المستعمَرون الملوّنون يحاربون ضد الاضطهاد الأجنبي. وبذلك، أرادوا قلب هياكل السلطة القائمة التي استعبدتهم. وأصبح الوقوف إلى جانب المقاومة الفلسطينية شرطاً لا غنى عنه للراديكاليين السود، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ثواراً.

أراد السود في أميركا الشيء نفسه الذي أراده رفاقهم الملوّنون في الخارج، حيث رأوا السياسة المستقلة وسيلة حاسمة في التحرر، لكن لا يجب في أي وقت النظر إلى هذا التطور بمعزل عن المطالب المماثلة التي تُسمع في جميع أنحاء العالم. فالسود والملوّنون ينوون أن يقرروا بأنفسهم أنواع الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سيعيشون في ظلها. ويعني هذا بالضرورة أن الأنظمة الحالية للمجموعة المهيمنة والقمعية -الطيف الكامل للقيم والمعتقدات والتقاليد والمؤسسات- يجب تحديها وتغييرها.

استاءت مجموعات «القوة السوداء» أيضاً بشدة مما اعتبرته فكراً أبوياً أبيض، وسعت إلى إنشاء منظمات ومنتديات ثقافية مستقلة. وطالبت أيضاً بالحق في التحدث علناً بشأن مسائل السياسة الخارجية الأميركية، وهو الأمر الذي كان تاريخياً مجالاً للنخب البيضاء، ولم تهتم كثيراً إذا ما أثار دفاعها عن الفلسطينيين غضب المؤيدين البيض لإسرائيل، ولا سيما اليهود الأميركيين، الذين كانوا تقليدياً حلفاء لنضال السود من أجل الحرية.

على طرف النقيض، انحازت مجموعات الحقوق المدنية التقليدية إلى جانب الصراع العربي الإسرائيلي حينها بطرق عكست تصوراتها الخاصة للهوية والعمل السياسي في أميركا. التيار الأسود رأى القادة أنفسهم على أنهم يفتحون الباب أمام المساواة المدنية، وليس كمحاولة لإطاحة النظام، كما رددوا أيضاً المواقف التي يتبناها العديد من الأميركيين، بأن إسرائيل معقل ديموقراطي، متعددة الأعراق، تقاتل ضد العرب الرجعيين المدعومين من السوفيات.

وتضمّن جزء من النضال من أجل الحقوق المدنية التعاون مع البيض، ولا سيما اليهود، الذين كان دعمهم المالي وأراؤهم مهمة. لذلك، كان دعم القضايا القريبة لأولئك الحلفاء مصدر قلق حيوي وكان لمنظمات السود التقليدية أولويات أخرى أيضاً. وأراد كلاهما الحفاظ على تركيزهما على العمل ضد العنصرية، وتجنب توليد النقد غير الضروري الذي يمكن أن يضعف يعود صراع فلسطين للصدارة في سياسات اليهودية والعنصرية الأميركية في الستينيات، حيث أدى الاستياء الإسرائيلي على مساحة شاسعة من الأراضي العربية إلى تضرر كبير للفلسطينيين، الذين يعانون منذ عام 1948، عندما شرّد ما يقرب ثلاثة أرباع مليون من أرضهم فأصبحوا لاجئين. وتسببت حرب 67 في نزوح جماعي آخر في أعقاب القتال، وما نتج عنه من احتلال للضفة وغزة.

أثبتت هزيمة 67 للفلسطينيين أن الدول العربية لن تستطيع أبداً تحرير فلسطين، وسينعين عليهم خوض هذا النضال بأنفسهم، لتظهر مجموعات حرب العصابات، مثل «فتح» و«الجبهة الشعبية» في دائرة الضوء، وتُعلن أنها ستحرر وطنها مثل الجزائريين والكوبيين والفييتناميين.

كان هذا النضال يتناسب مع الحماسة الثورية الشاملة في الستينيات، وكانت وجوهم الملفوفة بالكوفية وأيديهم تمسك ببنادق هجومية من طراز «AK-47» رمزاً للنضال. وبدأ المقاتلون الفلسطينيون المتحمسون في الاستياء، ليس فقط على خيال حركات الاستقلال الأخرى في العالم الثالث، وأيضاً على وسائل الإعلام العالمية. لم يمض وقت طويل حتى استحوذوا على خيال «القوة السوداء»، حيث وضعوا فصلاً هاماً في تاريخ الأميركيين من أصل أفريقي، خلال فترة التغيير الكبير في الحياة الأميركية.

أخيراً، يتعمق الكتاب في سرد قصة المنظمات والأفراد الذين لعبوا أدواراً رئيسية في تعرف السود إلى الصراع خلال الستينيات والسبعينيات، وكيف تغيّر الدعم للفلسطينيين، في غضون فترة قصيرة نسبياً، من أمر عبّر عنه الراديكاليين فقط، إلى ما أصبح جزءاً لا يتجزّأ من السياسة السوداء السائدة.

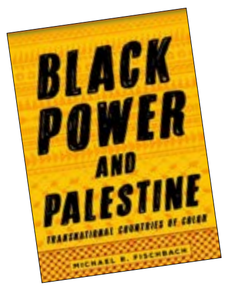

من هايتي إلى فلسطين

موسى السادة

«مواطنينا، لا يكفي طرد البرابرة الذين سفكوا الدماء في أرضنا طوال قرنين من الزمن، ولا يكفي تكبيل أولئك الذين طالما سخروا من شبح الحرية الذي كانت تتغنّى به فرنسا أمامنا، بل يجب علينا، وكآخر ممارسة للسيادة الوطنية، أن نؤكد للأبد الحرية في البلاد التي ولدنا فيها، يجب أن ننهي أيّ أمل بإعادة استبعادنا من قبل هذه الحكومات اللاإنسانية التي أبقتنا طويلاً تحت وطأة الذل، ففي النهاية إمّا أن نحيا مستقلين أو أن نموت!»

[بيان إعلان استقلال هايتي عام 1804 كأول جمهورية سوداء بقيادة ديسالين]

من الممكن إجراء دراسة مقارنة طويلة بين الثورتين الهايتية والفلسطينية، إلا أن غرض هذا النص القصير ليس مجرّد المقارنة، بل تبيان صلة وارتباط تاريخيّ بينهما يمتدّ بنا إلى اليوم، وذلك تحديداً في الإطار الفلسفي. تزامنت الثورة الهايتية مع الثورة الفرنسية، وبينهما علاقة سببية. إلا أن المسألة هنا، هي كيف للثورة الفرنسية، ومن قبلها الأميركية، أن تؤسس نطاقاً فلسفياً مهيمناً، لا يزال حتى اليوم شيئاً أشبه ببداية التاريخ للمثقف الليبرالي العربي، الذي لا يفتأ يجترّ السردية الأكاديمية والفلسفية المهيمنة عن التنوير من جان جاك روسو و«لفيثان» توماس هوبز وثورات الدساتير الغربية ومدى إنسانية إعلان الاستقلال الأميركي ودستور أميركا. ذلك كله رغم أن هذا النطاق الفلسفي للبورجوازية الغربية الصاعدة والحاكمة متصل مباشرةً مع واقع احتدام المشاريع الاستعمارية الغربية على شعوب ما سيسمى لاحقاً بالجنوب أو الأطراف في مقابل المركز. فما يتغافل عنه المثقف العربي الغرباوي، بتعبير هادي علوي، بانتهازية، حقيقة أن مفردات الحرية وحقوق البشر التي أنتجتها الحداثة الأوروبية قائمة على استثنائه، وحين تشير هذه الدساتير إلى حقوق الإنسان والمواطن هي لا تشمله وتشير إلى الرجل الأبيض، وهو أمر يستمر إلى يومنا هذا، وبطبيعة الحال ما يستمر أيضاً، هو الاستعمار الغربي، مع تطوّر أشكاله التاريخية، مع استمرارية آخر أنماطه الاستيطانية الإحلالية في أرضنا العربية في فلسطين.

هذا ما يصلنا بالثورة الهايتية، ليس فقط أنها ثارت على التنوير الأوروبي من بدايته، بل لأنها ومن ناحية فلسفية، سواء في بيان إعلان الاستقلال عام 1804 أو دستورها عام 1805 (والذي ينص بنده الثاني عشر مثلاً على: «لا يحق للرجل الأبيض من أي أمة كانت، أن تطأ رجله هذه الأرض بلقب سيّد أو مالك»)، شكّلت هذه الوثائق النواة لتنوير مضادّ، معادٍ للاستعمار ويرنو إلى استقلال الشعوب السمراء، مؤسسةً لنطاق فلسفي ننتمي إليه نحن، لم يسبقها سوى وعي سكين الشهيد سليمان الحلبي عام 1800، بل حتى إن بعض الباحثين يرون أن الفلسفة الهيغلية وجدلية العبد والسيد، مستوحاة من النضال الأفريقي في هايتي، وهي الجدلية التي سيستمد منها كارل ماركس جدليته المادية.

شكلت هايتي أول حالة «ما بعد استعمار» في العصر الحديث - ولو لوهلة - ولا تزال الجزيرة المتمردة تدفع ثمنه حتى اليوم. فمع نهاية العام المنصرم، كان الأميركيون يطرحون من جديد خيار غزوها للمرة الثالثة خلال قرن ونيّف، بينما أرسلت كندا بارجة حربية لسواحل الجزيرة، وسط تغييب إعلامي مهول (تغييب يشرح، بحد ذاته، القصة).

الفكرة هنا، ليست أن هايتي أوّل من قاتل المستعمرين الأوروبيين، فأثناء قتال الثوار السود للفرنسيين في الكاريبي، كان الليبيون في الطرف الآخر وفي القارة الأفريقية الأمّ، يغرقون سفينة فيلادلفيا الأميركية عام 1803 في أعماق المتوسط؛ انتصار ولّد هزيمة، إذ استغله الأميركيون للتحشيد واحتلال طرابلس الغرب، استعمار لا يزال المارينز يتغنّى به في نشيده الرسمي «من قاعات مونتيزوما إلى شواطئ طرابلس نخوض معارك بلدنا براً وبحراً وجواً» («ولم يردّ العرب الصاع على هذه الهزيمة سوى بعد 180 عاماً، بطرد المارينز من بيروت عام 1983 وتردید نشید «أين الظلّيون ذاقوا لظى المنون ومعهم المارينز»).

إنّ ما يميز الثورة الهايتية أنها انتصرت، وحاولت تشكيل دستورها الخاص، وطوّرت خطاباً مضاداً، وبالمعنى الحديث كانت نواة فلسفات التحرر من الاستعمار. ففي حين أن نطاق فلسفات الديموقراطيات الاستعمارية الغربية، سيؤول في الأخير إلى إنتاج آخر الكيانات الاستعمارية الاستيطانية، وهو كيان العدو الإسرائيلي، ويكفي هنا الرجوع لتنظير آباء الصهيونية من هرتزل إلى بن غوريون، لمعرفة كيف أن العماد الفكري للصهيونية قائم على الفلسفات الأوروبية، ولا صلة له بالشعوب المستضعفة وثقافاتها، بل يصرحون بوأحياً ولأكثر من قرن بأنهم أداة واستمرارية للمشاريع الاستعمارية. والأدهى أن الصهاينة أرسلوا بداية القرن العشرين بعثة إلى شمال كينيا في قلب أفريقيا لدراسة استيطانها، وسبقتها خطط الاستيطان في سوريتان على مقربة من هايتي نفسها.

هذا الخطّ الفلسفي الثوري الأفريقي المنبت، هو ما تعيد المقاومة العربية الفلسطينية لملمته منذ التسعينيات

أمّا على المقلب الآخر، فيمتد النطاق الفلسفي الأفريقي المقاوم في هايتي ضد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي إلى آخر البلاد المستعمرة من قبل الرجل الأبيض، وهي فلسطين، وثقافة المقاومة فيها، فبشكل ما، ما بدأه قائد استقلال هايتي جان جاك ديسالين سننهيه نحن.

المثير في هذه الصلة لفلسفة المقاومة، تطابق التعامل الغربي معها بالأدوات والأساليب ذاتها، سواء بأثر رجعي لكيفية قراءة الثورية الهايتية وأحداثها وصناعة رموزها، أو في كيفية التعامل مع الثورة الفلسطينية وهندسة رموزها وتجفيف فلسفتها الثورية. فالقراءة الأوروبية المعاصرة لهايتي تلحقها بنطاق الفلسفات الأوروبية، وهو أمر ليس اعتباطياً بقدر ما هو استغلال للوثة الطبقية لأحد قادتها توسان لوفرتور، وهو الشخصية التي يتم إبرازها كالرمز الأول لنضال هايتي، حين قراءة أيٍّ من الأدبيات حولها. لوفرتور وهبت له الحرية قبل الثورة، بل يتردد أنه هو ذاته امتلك عبيداً، وبعد إمساكه لزمام السلطة أعاد أنماط العبودية ذاتها إلى حقول قصب السكّر، فهو مناضل نجيب بالمعنى التاريخي للمنظور الأوروبي، وخصوصاً في تعامله مع المستوطنين البيض ومساومته، إلى درجة إنقاذه أحد قادة البيض بعدما تمرّد عليه الملوّنون من أنصاف البيض، سمّاه «سبارتاكوس الأسود»، وهو الاسم الذي اتخذه الباحث صدير هازاريزنغ عنواناً لكتابه «سبارتاكوس الأسود الحياة الملحمية لتوسان لوفرتور» (2020)، يشير الكتاب إلى هذا المنظور الأوروبي للوفرتور وللثورة الهايتية، كالإشارة إلى لوفرتور بالابن الأسود للثورة الفرنسية، أو عنوان المؤلف الأبرز «اليعاقبة السود» عطفاً على اليعاقبة الفرنسيين، إلى درجة تسميته بونابرت الأسود، وذكر في كتابه أنه «لم يعد توسان يمثل المثل التحررية للمقاومة، بل مجنداً مأسوياً للحداثة الغربية». إلا أن الكاتب نفسه استمر في مجادلة المركزية التاريخية للوفرتور لأسباب عديدة، لا يسع المقام لذكرها، إلا أن أهمها، أنه إن لم تكن هذه الرمزية للوفرتور المساوم والمتسامح وذي القيمة «الأخلاقية»، فستذهب إلى ما تبقيه السردية الغربية في الظل، أي جان جاك ديسالين، النموذج الثوري العنيف والمنفّر للرقي الأكاديمي الغربي.

غزا جيش نابوليون بونابرت هايتي عام 1802، وبعد مقاومة أولية استسلم لوفرتور، ووافق على وقف إطلاق النار، سيطر الفرنسيون من جديد على الجزيرة وأعادوا نظام العبودية. وعلى الرغم من شرط ضمان حريته مقابل الاستسلام، نكث الفرنسيون بالوعد ورحلوه إلى فرنسا، حيث فارق الحياة في السجن. كانت هذه النهاية «الأوسلوية» لوفرتور، ذات وهم الالتحاق السياسي والفلسفي بالأوروبيين، الموازي لوهم «اللحاق» الاقتصادي الذي نظّر له سمير أمين. وهنا بعد تمكّن الفرنسيين من هايتي من جديد، دعا ديسالين رفاقه من جديد إلى حمل السلاح، ليقود سنين دموية من القتال الحاسم والعنف الثوري ضد المستوطنين البيض، حتى خطّ إعلان استقلال هايتي وتحريرها بالكامل. هذا الخط الفلسفي الثوري الأفريقي المنبت، هو ما تعيد المقاومة العربية الفلسطينية لملمته منذ التسعينيات، ونعيش اليوم لحظات مفصلية فيه، عنف ثوري شريطة استمراره وتكثيفه، ولن تكون محصلته سوى طرد البرابرة الذين سفكوا الدماء في أرضنا طوال قرن من الزمن.

البلاد

أميلكار كابرال

فلسطين في الفلسفة السياسية الأفريقية

زياد النابلسي

في البدء، فإنَّه لتفسير النضال الفلسطيني بطريقة صائبة، وبمنظور فلسفي، يحتاج المرء إلى الانخراط في الفلسفة السياسية، وبطريقة لا تقفز على الحقائق التاريخية والاجتماعية. ومن خلال هذا النص، فإني أجادل أن العديد من تيارات الفلسفة السياسية الأفريقية، الحديثة على وجه الخصوص، لا تقفز عن هذه الحقائق. وعليه، فإنها تتمتع بقدرة أكبر على تفسير طبيعة النضال الفلسطيني. وهنا، سأركّز على التحليل الفلسفي لأميلكار كابرال عن أهمية الكفاح من أجل التحرر الوطني الفلسطيني.

أميلكار كابرال (1924-1973)، زعيم المقاومة ضد الاستعمار البرتغالي، لتحرير وتوحيد غينيا بيساو والرأس الأخضر. أدّى كابرال دوراً أساسياً في تأسيس الحزب الأفريقي لاستقلال غينيا والرأس الأخضر عام 1956، وقاد الحزب حتى اغتياله على يد عملاء البرتغاليين في كانون الثاني من عام 1973. لا تنحصر الأهمية التاريخية لكابرال في كونه أحد قادة التحرر الأفارقة، وتكمن أهمية دوره في مجهوده النظري والتحليلي للمشاكل التي تواجهها الدول الأفريقية ما بعد الاستقلال.

تميّز كابرال بقدرته على التنظير الدقيق والاهتمام بالواقع الملموس، فدأب على التأكيد أن النظريات، مهما بلغت من تعقيد، يجب أن تظل دائماً على صلة مباشرة بهذا الواقع، وعلى وجه الخصوص أن تبقى على صلة بالتجارب الحية للأفراد الذين صيغت هذه النظريات بهدف تحريرهم. كان لأعمال كابرال تأثير هائل على امتداد القارة الأفريقية، وكذلك على مستوى العالم ككل. وقد أثّرت على شخصيات بارزة في النضال من أجل تحرير السود، في الولايات المتحدة كأنجيلا ديفيس، ومفكرين مصريين كسمير أمين وحلمي الشعراوي، وكذلك على مستوى العالَم.

يُرجع كابرال الإخفاقات والصعوبات التي واجهتها بعض البلدان الأفريقية التي حصلت بالفعل على استقلالها، إلى افتقارها إلى توجّه نظري واضح، حيث يقول: «إنّ القصور الأيديولوجي، فضلاً عن انعدام الأيديولوجيا، من جانب حركات التحرر، وبما يفسّر جهلها بالواقع التاريخي الذي تطمح هذه الحركات إلى تغييره، يشكّل إحدى أكبر نقاط الضعف، إن لم يكن أكبر نقطة ضعف في نضالنا ضد الإمبريالية». تجدر الإشارة هنا إلى التشابه بين هذه الخلاصة التي وصل إليها كابرال، وتلك التي استنتجتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد هزيمة عام 1967.

أدّى اهتمام كابرال بالقضايا النظرية، إلى حدّ وصفه بأعظم منظّر لحركة النضال ضد الاستعمار والإمبريالية في أفريقيا. وعليه، تمثّل أعمال كابرال كنزاً دفيناً لأيّ شخص مهتمّ بالفلسفة السياسية والاجتماعية الأفريقية الحديثة.

كان الشاغل الأساسي لكابرال هو إزالة العقبات التي تمنع الناس من صنع تاريخهم الخاص، وعلى حدّ تعبيره: «مع الحفاظ على الاحترام الواجب لجميع الفلسفات البشرية، إلا أنّ علينا أن لا ننسى أن العالَم من صنع الإنسان نفسه. من هنا، يمكننا اعتبار الاستعمار بمثابة شلل أو انحراف أو حتى توقف، لتاريخ شعب واحد لمصلحة تسريع التطور التاريخي لشعوب أخرى». وبالنسبة إلى كابرال، كانت القضية الفلسطينية محاولة من قبل شعب للعودة إلى وضع يمكنهم من خلاله صنع تاريخهم الخاص، وهو التاريخ الذي سعت المناورات الإمبريالية إلى حرمانهم منه، فممّا كتب كابرال: «نحن مع اللاجئين الفلسطينيين الشهداء الذين تم خداعهم وطردهم من وطنهم بمناورات الإمبريالية، نحن بجانب اللاجئين الفلسطينيين، وندعم بإخلاص كل ما يقوم به أبناء فلسطين في سبيل تحرير وطنهم».

إن ما يعنيه هذا الخطاب بالنسبة إلى دراسة القضية الفلسطينية، هو أنه لا يمكن للمرء مقاربتها من دون الانطلاق من منظور النظام العالمي، والذي يمكّننا من فهم الحركة الصهيونية والدور الوظيفي لدولة إسرائيل في المنظومة الإمبريالية. إذ إن الانطلاق من «حقيقة» أنه صراع عربي - إسرائيلي، أو من وجهة نظر الصراع الحضاري، هو انخراط في التفكير المجرّد (بالمعنى السلبي للكلمة). ونقطة انطلاق مجردة كهذه، هي ما تسمح لبعض المثقفين بالاعتقاد بأن إسرائيل هي الملك داود الذي انتصر على جالوت العربي. وعليه، يجب أن تكون نقطة انطلاقنا لأيّ تحليل للقضية الفلسطينية، هي واقع وتاريخ الاستعمار. فكما يرى فانز صايغ، إن حقيقة أن إسرائيل كيان استعماري تأسس خلال منتصف القرن العشرين، أي خلال فترة إنهاء الاستعمار على المستوى العالمي، أدّت إلى ارتباك هائل، إذ كان من المفترض أن الاستعمار في هذه الحقبة التاريخية قد مات، وأن الاستعمار كمفهوم لم يعد مفيداً. إلا أنه ومع ذلك، واقع الأمر أنه ومن دون فهم الطبيعة الاستعمارية لدولة إسرائيل، لا يمكن فهم أيّ شيء له أيّ أهمية بما يتعلق بالوضع الفلسطيني. ثيودور هرتزل، ذاته، الأب الأيديولوجي للحركة الصهيونية الحديثة، يشير صراحة إلى أن دولة إسرائيل مشروع استعماري استيطاني. وبالنسبة إليه، إن نجاح هذا المشروع الاستعماري على شرق البحر الأبيض المتوسط، أمر ضروري ليتمّ قبوله من الدول المتحضّرة الغربية، ولأنه على وجه التحديد سيكون هذا المشروع مفيداً للغرب. يقول هرتزل: «يجب أن نشكّل (في فلسطين) جزءاً من الحصن الأوروبي ضد آسيا، وبؤرة أمامية للحضارة الغربية في مقابل البربرية».

وكما يوضّح غابرييل بيتربيرغ، بأن المستعمرين الصهاينة الأوائل في فلسطين خلال عشرينيات القرن الماضي، مثل حاييم أرلوسورف، استلهموا من مثال جنوب أفريقيا، متحدثين عن قوانين تدرج ألوان البشرة في جنوب أفريقيا عام 1927، فيصف أرلوسورف جنوب أفريقيا بأنها «الحالة الوحيدة تقريباً التي يوجد فيها تأكيد كافٍ من ناحية الظروف الموضوعية والمشكلات، ما يسمح لنا بالقياس عليها».

لم تكن الطبيعة الاستعمارية للمشروع الصهيوني سرّاً من قبل قيادته المبكرة، وكانت هذه الطبيعة مبررة، وخصوصاً للرأي العام الأوروبي على وجه التحديد. إن حقيقة الأمر، أننا لو درسنا تاريخ دولة إسرائيل بعناية والواقع الحالي لها، فستنهار بسهولة سردية الاستثنائية التي تقول بأنه لا ينبغي تفسير هيكل وتاريخ دولة إسرائيل من خلال المقارنة بالمشاريع الأوروبية الأخرى، وذلك لخصوصية التاريخ اليهودي. فمثل كندا وأميركا، أراد مؤسسو إسرائيل تأمين أرض رخيصة الثمن، وكما نعلم جميعاً، أنه لا توجد أرض رخيصة دونما حيوات رخيصة، وهي حياة الشعوب التي شرّدت عبر الإبادة، في سياق المشاريع الاستعمارية الاستيطانية.

إنّ فهم هذه الأسطورة، والتغلب عليها، يمكّننا من القفز على المجال الوهمي لسردية الصراعات الدينية والحضارية، ويقودنا نحو إدراك أنّ أيّ تحليل مناسب للقضية الفلسطينية، يتطلّب تبنّي المنظور الاقتصادي السياسي لكل من الإمبريالية والاستيطان الاستعماري. وما يعطف على ذلك، هو أهمية فهم دور إسرائيل في المشاريع الإمبريالية على النطاق العالمي. وهذا ما يوصلنا إلى كابرال من جديد، لكون دور إسرائيل في النظام الإمبريالي بالنسبة إلية واضحاً: «لدينا مبدأ واضح، وهو الدفاع عن القضايا العادلة، وعلى هذا الأساس، نعتقد أن إنشاء إسرائيل قامت به الدول الإمبريالية، للحفاظ على هيمنتها في الشرق الأوسط، وكمصنع يهدف إلى خلق المشاكل في هذه المنطقة المهمة جداً من العالم. موقفنا هو الآتي: يحقّ لليهود الذين يتبعون الديانة اليهودية أن يعيشوا بشكل جيد في بلدان العالم المختلفة، إننا نأسف بشدة على ما فعله النازيون باليهود، لقد دمر هتلر وأتباعه ما يقرب من ستة ملايين خلال الحرب العالمية، لكننا نفهم أيضاً، أن هذا لا يمنحهم الحق في احتلال جزء من الأمة العربية، فنحن نؤمن بأن لأهل فلسطين الحق الكامل في أرضهم، وعليه، نرى كل الإجراءات التي اتخذتها الشعوب العربية من قبل الأمة العربية لاستعادة الوطن العربي الفلسطيني مبررة». ثم يكمل: «في هذا الصراع الذي يهدد السلام العالمي، نحن نؤيد تماماً الشعوب العربية وندعمها من دون قيد أو شرط، لا نتمنى الحرب، لكننا نريد أن تحصل الشعوب العربية على حرية شعب فلسطين، لتحرير الأمة العربية من مصدر الاضطراب والسيطرة الإمبريالية الذي تشكّله إسرائيل».

هناك عدة نقاط يجب ملاحظتها في مناقشة كابرال. أولاً، يجب أن تُفهم القضية الفلسطينية، من منظور حق الشعب المُستعمَر في تقرير المصير، أي أن يكون قادراً بشكل جماعي على صنع تاريخه الخاص، من دون عائق واضح من قبل الاستعمار. ثانياً، جميع الإجراءات التي يتخذها الفلسطينيون والشعوب المتحالفة معهم لتجاوز الوضع الاستعماري لها ما يبررها. من الواضح أن هذا يستلزم، منطقياً، استخدام العنف للتغلب على الوضع الاستعماري، وله ما يبرره وفقاً لكابرال الذي لا يتوسع في هذا الادعاء، لكن يمكننا إعادة بناء منطقه من خلال التركيز الوثيق على السياق الذي جاء منه كلام كابرال.

أولاً، من الواضح أن كابرال لا يؤيد المعاناة والعنف بشكل عام، أو العنف من أجل العنف. ومع ذلك، في حالة استعمارية، حيث لا ينقطع العنف المنهجي، فليس من النادر أن يكون العنف المركّز (حتى الواسع) ضرورياً لقلب الوضع الراهن، وإحداث نمط أقل عنفاً للوجود الاجتماعي والسياسي. يدرك كابرال أنّ من غير المتّسق الادعاء بأن شخصاً ما له الحق في شيء ما، بينما ينكر حقه في الوسيلة الوحيدة التي تمكّنه من الحصول على هذا الشيء. إضافة إلى ذلك، فإنّ تبرير العنف لا يقوم على الوعد ببعض اليوتوبيا المستقبلية التي ستظهر في حالة ما بعد الاستعمار.

> **ينبع دعم كابرال للنضال الفلسطيني من أجل التحرر الوطني، من حقيقة أن إسرائيل كانت قد أدّت دوراً نشطاً في دعم الاستعمار البرتغالي لبلاده**

بدلاً من ذلك، يقوم التبرير على حقيقة أن العنف والتهديد بالعنف من قبل الطرف المستعمَر في حالة استعمارية، يمكن أن يخفّف على الفور العنف الاستعماري المنهجي، وينزع الملكية من خلال إجبار المستعمر على تقديم تنازلات (على سبيل المثال دور المقاومة المسلحة في تحرير جنوب لبنان عام 2000). لا تحتاج هذه اليوتوبيا إلى الحصول على وضع أفضل بكثير من الوضع الاستعماري. وهنا نلاحظ أنه كون العديد من دول ما بعد الاستعمار لم تلتزم بتطلّعات شعوبها، لا يعني أنه لم يكن هنالك تغيير جوهري نحو الأفضل في المجتمعات التي حصلت على استقلالها من الاستعمار. كما لا يمكن فصل مسألة المقاومة العنيفة عن مسألة الأمل. فإن أراد شعب مستعمَر مقاومة مضطهديه، يجب أن يكون لديه بعض الأمل، وحين يتعرضون للعنف الروتيني من قبل مستعمريهم، من دون أن يتمكنوا من الانتقام، فإن الأمل قد يتضاءل إلى درجة أن يخمد. أما الانتقام، فيمكن أن يعيد إشعال الأمل، وقد يكون في بعض الأحيان الشيء الوحيد الذي يمكن أن يبعث بالأمل.

ينبع دعم كابرال للنضال الفلسطيني من أجل التحرر الوطني، من حقيقة أن إسرائيل كانت قد أدّت دوراً نشطاً في دعم الاستعمار البرتغالي لبلاده. كان كابرال وقيادة الحزب الأفريقي لاستقلال غينيا والرأس الأخضر بشكل عام على دراية بدور إسرائيل، كقاعدة عسكرية وسياسية للإمبريالية الغربية، التي تهدف إلى سحق جميع الحركات التقدمية على نطاق عالمي. دعمت إسرائيل البرتغاليين بحزم في حملاتهم الشرسة لمكافحة التمرد في مستعمرات البرتغال الأفريقية. كما أشار لويس كابرال، الأخ غير الشقيق لأميلكار كابرال: «لدى البرتغال تحالف قوي مع إسرائيل... ولا يقتصر عمل إسرائيل على منح البرتغاليين الوسائل التي يحتاجون إليها لتدمير شعبنا. فأيضاً تحاول إسرائيل تخريب نضالنا باستخدام مجموعات من بلدنا يطلقون على أنفسهم قوميين، ومع ذلك هم عملاء للاستعمار البرتغالي. أرسل هؤلاء الأشخاص إلى إسرائيل، ولدينا تقارير عن عملاء إسرائيليين مدرّبين، يحاولون التسلل إلى صفوفنا. نحن يقظون، إن كان هناك أيّ شيء، وعليه، إن كل انتصار للشعب العربي وللشعب الفلسطيني على الصهيونية هو أيضاً انتصار لشعبنا لكفاحنا التحرري».

يمكن للشعوب المستعمرة في أجزاء أخرى من العالم، أن ترى بوضوح أن إسرائيل كانت متورّطة بعمق في مشروع إمبريالي تقوده الولايات المتحدة، والذي يهدف إلى دحر الحركة العالمية المناهضة للاستعمار. يتيح لنا هذا المنظور العالمي أن نفهم بشكل كافٍ سبب دعم الولايات المتحدة وحلفائها لإسرائيل بقوة. إنهم يفعلون ذلك لأن إسرائيل خدمتهم تاريخياً، ولا تزال تعمل على حماية احتكار الولايات المتحدة لموارد النفط في المنطقة، ولأنّها أدّت دوراً رئيسياً في سحق الحركات الثورية القومية والاشتراكية. بعبارة أخرى، ومن وجهة نظر كابريالية، يمكننا القول إنه لا يمكن للفلسفة السياسية أن تساهم بشكل معقول في فهم القضية الفلسطينية، من دون دمج نظرية تحلّل عمل الإمبريالية على نطاق عالمي في منظومتها المفاهيمية.

ترجمة **موسى السادة**

فلسطين في وعي النخبة الأفريقية:

تناقضات ثورية!

محمد عبد الكريم أحمد

يبدو مباغتاً تماماً بقاء مسألة فلسطين مضلّلة بشكل كبير في أفكار النخب الأفريقية وأبرز قادتها طوال أغلب القرن الفائت (على الأقل حتى ربعه الأخير)، وعدم ملاحظة أن الوضع المستمر راهناً لدى نخب أفريقية حاكمة هو بالأساس نتاج لهذه الأفكار التي باتت شبه يقينية. وتدفع النظرة المدققة لتكوين النخب الأفريقية في الشتات أو على الأرض الأفريقية لاحقاً نحو تساؤلات عن تقاربها - بشكل عام - مع مبادئ الصهيونية كحركة «عودة» للشتات إلى «الوطن الأم»، ووجود تشابه صادم في عدم الاكتراث بأهل البلاد (الفلسطينيين في فلسطين أو الأفارقة ولا سيما في غرب أفريقيا تاريخياً) وتفكك مجتمعاتهم في مواجهة آلة «الاستعمار» المدعومة من الخارج. ورغم أن هذه الرؤية تنطبق على عدد من الآباء المؤسسين لأفكار الوحدة الأفريقية مثل إدوارد ويلموت بلايدن (ت. 1912)، وماركوس جارفي (ت. 1940)، وغيرهما، فإن شمولها عدداً من أبرز مفكري مناهضة الاستعمار والعنصرية ودعاة الثورة الأفريقية «الاشتراكية»، مثل إيمي سيزار وفرانز فانون، يوضح مدى عمق تأثير التكوين الاستعماري، غير الواعي ربما، على هذه النخب، في ما يمسّ مسألة القضية الفلسطينية، بل والتعاطف مع التجربة «اليهودية» باعتبارها «نصّاً مقدساً» لا يمكن تغيير بنية سرده.

إيمي سيزار وفانون: فلسطين «أرض بلا شعب»!

كان لإيمي سيزار، المفكر الأفريقي البارز بجزر المارتينيك بالبحر الكاريبي (1918-2008)، تأثير كبير وتكويني

على فرانز فانون (1925 - 1961) لريادته «الزنوجة» (التي صكّ سيزار مفهومها مبكراً)، وكونه معلم فانون في عامه الأخير في المدرسة الثانوية (الليسيه)، وما عرّف عن سيزار وقتها بهجومه على الحضارة الغربية بشكل عام والثقافة الفرنسية بوجه خاص ومقولته الشهيرة (لاحقاً) أن أمة «تستعمر، وحضارة تبرّر (هذا) الاستعمار - ومن ثم تفرضه - هي حضارة مريضة، حضارة مويوءة أخلاقيّاً». كما بدأ فانون، في عمر الـ 17، في مطالعة دورية «La Revue Tropique» التي أصدرها سيزار في عام 1942 وأسهمت بشكل لافت في إثارة الوعي بالهوية السوداء في جزر المارتينيك (Bulhan, Hussein, Frantz Fanon and the Psychology of Oppression، 1985، p. 26). ويتّضح هذا التأثر في تمثّل فانون مشاعر أستاذه سيزار (التي استدعاها من ذاكرة حملة الأخير الانتخابية في مدينة فورت دو فرانس 1945): «عندما أفتح الراديو، عندما أسمع عن إعدام الزنوج في أميركا، أقول لقد كذبوا علينا: هتلر ليس ميتاً؛ وعندما أفتح الراديو، وأعلم أن اليهود قد أهينوا، وسيئت وجوههم، واضطهدوا، أقول لقد كذبوا علينا: هتلر ليس ميتاً؛ وأخيراً عندما أفتح الراديو وأسمع بدء العمل الإجباري في أفريقيا وتقنينه، أقول لقد كذبوا علينا قطعاً: هتلر ليس ميتاً» (Fanon, Black Skin, White Masks. 1952، p. 66).

ولم يكن سيزار وحده المؤثر في رؤية فانون «المضلّلة»، أو المغيّبة عمداً، للقضية الفلسطينية؛ بل يمكن أن يتضح من تتبع أفكاره وجود سلسلة من «المؤثرين» في صياغة هذه الرؤية على النحو الذي انتهت إليه دون مراجعة تذكر. وعلى سبيل المثال فقد تأثر فانون أيّما تأثر بالفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ومؤلفه Anti-Semite and Jew (1944) (الذي استخدم بدوره فكرة هيغل عن جدل السيد - العبد وفي سياق نموّ تأثير هيغل في ذلك الوقت على مجمل الفكر الفرنسي). كما تماهى فانون في مؤلفه (Black Skin, p. 64) مع أسس فرضيات معاداة السامية «التقليدية» وربطها بالكثير من التفسيرات المنتشرة في مؤلفه، ومنها نقله باقتناع تام مقارنة عالمة النفس الفرنسية مود مانوني ذهنية «معاداة السامية» والميل إلى معاملة اليهودي ككائن أدنى وخبيث مع اعتداء البروليتاريا البيضاء على البروليتاريا السوداء في جنوب أفريقيا وإن تدارك بعده نتاجاً للبناء الاقتصادي بالأخيرة.

وبالتزامن مع تصاعد العنف الصهيوني في فلسطين في أربعينيات القرن الماضي نحو إقامة الكيان، لاحظ فانون، برؤية محدودة للغاية وربما كانت مفهومة في وقتها، أن النازية حوّلت كل أوروبا إلى مستعمرة حقيقية ومن ثم فقد طالبت حكومات الدول الأوروبية العديدة المانيا بتعويضات مادية كبيرة، واصطفت أوروبا بعد الحرب وراء شعار «على ألمانيا أن تدفع الثمن»، ولا سيما لدولة إسرائيل. مضيفاً إنه يرى أن الدول الإمبريالية سترتكب الخطأ (الألماني) الخطير نفسه وتقترف ظلماً تاماً إن قررت أن تسحب من أراضينا المجموعات العسكرية والأجهزة الإدارية والمالية والتي كانت تقوم بالأساس باستخراج وشحن ثروتانا إلى الدولة الأم (Fanon, The Wretched of the Earth، 2004، pp. 57-8). وبلورت رؤية فانون تلك حالة تجهيل تامة لقضية الشعب الفلسطيني لمصلحة تبني الخطاب الصهيوني الاستعماري والتلاعب بحقائق الإبادة والعنف الذي واجهه الشعب الفلسطيني على الأرض على يد الميليشيات الصهيونية طوال عقود متعاقبة.

فانون وفلسطين والتجربة الجزائرية

لا شك أن تجربة فانون في الجزائر كانت المنعطف الأبرز في حياته السياسية والفكرية والحركية؛ حيث اشتق من تجاربه في الحرب في الجزائر (Grohs, G.K.، 1968، pp. 552-3) مبدأ «التحول الديموقراطي الجذري» لتفادي التضارب بين البورجوازية (التي اعتبرها طبقة أعوان الاستعمار) والبروليتاريا، وبين المدينة والريف (حيث انحاز فانون للريف والاعتماد عليه في الثورة)، والحزب والشعب؛ وأن من النافع إبطاء سرعة التنمية من أجل توضيح جميع الإجراءات التي تم اتباعها لتحديث المجتمع والاقتصاد لدى الشعب، «وليست الإجراءات الاستبدادية التي تضمن التنمية بالتعاون والتعليم الحثيثين». لكن اللافت في تعميق رؤية فانون المتعصبة للتجربة الصهيونية نظرته لـ«الجيش» من هذه الزاوية، وأنه - كما في حالة إسرائيل حسب فانون - هو مدرسة الأمة، وأن مهمته (تجاوز المهام القتالية والدفاعية إلى) تعميق الشعور بالتضامن بين المجموعات الإقليمية المختلفة وتعليم القراءة والكتابة والمعارف الأساسية عن النواحي التقنية، وينحاز فانون في المحصلة إلى «الميليشيا» مقابل الجيش الاحترافي.

كما تشير الشواهد القليلة الواردة في نصوص فانون إلى تجاهل متعمّد لمعاناة الشعب الفلسطيني، وعلى

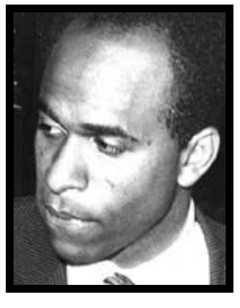

سبيل المثال لاحظ فانون: «قبل نحو عشرة أعوام (مطلع الأربعينيات) كنت مذهولاً أن أعلم أن الشمال أفارقة يهيئون الملوّنين. وكان مستحيلاً تماماً بالنسبة إليّ أن أقوم بأيّ اتصال مع السكان المحليين. لقد غادرت أفريقيا وعدت إلى فرنسا من دون فهم سبب هذا العداء. وفي هذه الأثناء، جعلتني حقائق معينة أفكر. إن الفرنسي لا يحب اليهودي، الذي لا يحب العربي، الذي لا يحب الزنجي... ويقال للعرب: إن كنتم فقراء فذلك بسبب اليهودي الذي استنزفكم وأخذ كل شيء منكم. ويقال لليهودي: لست من نفس فئة العربي لأنك أبيض فعلاً ولديك أينشتاين وبيرجسون. أما الزنجي فيقال له: "أنتم أفضل جنود في الإمبراطورية الفرنسية؛ إن العرب يعتقدون أنهم أفضل منكم، لكنهم مخطئون"» (Fanon, Black Skin, p. 77). وهي رواية تكشف عن جانب سطحي نادر في فكر فانون ورؤيته للعرب (والفلسطينيين) على نحو استشراقي فج.

من فانون إلى سنغور: التطهر بالتقارب مع فلسطين

جاء تجاهل فانون، الذي وصفه معاصروه بماركس الأفروعمومية ورائد تطوير «الوعي الأسود»، الواضح للقضية الفلسطينية ووقوعها خارج مجمل مشروعه التحرري، في سياق رؤيته للعالم الثالث؛ إذ أقر بأن اليهود (سواء داخل فلسطين أو خارجها) مرّوا بتجربة استعمارية لا تختلف عن تجارب العالم الثالث، وأنّ الحركة الصهيونية نفسها حركة «عالم ثالثية» بامتياز وأنها «ثورة وطنية منتصرة تمكنت من خلالها، في صورة أمّة، من القضاء على الاستعمار، وحققت عبرها هويتها الثقافية الخاصة داخل أراضيها صاحبة

السيادة عليها (Levine, Norman, Levine, Frantz Fanon as a Zionism، 1972، p. 428.).

في مقابل هذه الرؤية القاصرة لدى فانون، جاءت الاستجابة الأبرز لفهم أفريقي عملي للقضية الفلسطينية على يد الرئيس السنغالي الأسبق ليوبولد سيدار سنغور، الذي لم يكن بعيداً عن أفكار سيزار بخصوص الزنوجة، وكان الأوّل أحد أبرز رسلها ومخلّصيها في القرن الفائت، كما أنه تشابك مع «الاشتراكية الأفريقية» (وكان رئيس الحزب الاشتراكي الحاكم في السنغال) وإن ظلّ محافظاً سياسياً وعلى يمين فانون بشكل واضح. كما تبنّى سنغور موقفاً «معتدلاً» إزاء الاستعمار بمقولته الشهيرة (Leon Dash, The Senegal Leader Attack 'Racist' Policy of Begin، 21 September 1979 Washington Post)) أنّ ثمّة ثلاث مجموعات عانت أكثر من غيرها من ويلات الاستعمار، وهم: يهود الشتات، السود خلال عهد الرقّ والعرب في ظل الحكم التركي.

لكن سنغور حقّق الاختراق الأفريقي المبكر في رؤية القضية الفلسطينية وكانت بلاده أول دولة أفريقية «سوداء» تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية (1967) رسمياً ممثلاً للشعب الفلسطيني وافتتحت مقراً لها في داكار. ولاحظ دبلوماسيون غربيون في الأخيرة أن سنغور ظلّ مدافعاً بقوة عن القضية الفلسطينية حتى خروجه من السلطة؛ وفي نهاية السبعينيات، رأى سنغور، الذي طالما أكد معارضته مبدأ «تدمير إسرائيل»، وجوب حصول الفلسطينيين على استقلالهم (ضمن ضرورات وضعها لتجديد بلاده علاقاتها مع إسرائيل).

الأخبار
al-akhbar
السبت 11 آذار 2023 العدد 4870

صورة وخبر

الذكاء الاصطناعي وصل إلى الفنّ. هذه الصورة المصمّمة بالذكاء الاصطناعي ومستوحاة من لوحة فيرمير الشهيرة «الفتاة ذات القرط اللؤلؤي» (1665) أنجزها الفنان الرقمي المقيم في برلين جوليان فان دييكين. الصورة التي تُعرض حالياً في «متحف ماورتشهاوس» في لاهاي، تشكّل جزءاً من معرض يستوحي من لوحة فيرمير لإعادة إنتاج نسخ فنية تُراوح بين البورتريهات، والمنمنمات، وحتى الديناصورات. إلا أنّ صورة جوليان فان دييكين كان الأكثر استفزازاً وإثارة للتساؤلات والحيرة

(سيمون وولفارت ــ أ ف ب)

المفكرة

أحضروا آلاتكم الموسيقية... وهيّا بنا!

■ مساء غد الأحد، يستضيف «زيكو هاوس» في الحمرا النسخة الخامسة من «جرّوبة»، حيث الجميع مدعو لتأدية الموسيقى و«التجريب»، بغضّ النظر عمّا سيُقدَّم، إذ لا يهمّ المستوى بين مبتدئ ومتمرّس، ولا تفضيل لنوع موسيقيّ على آخر، ولا لآلة على أخرى. المهمّ أن يحضر الجمهور الأصوات والنصوص والآلات ويقدّم موسيقاه، فهذه فرصته للظهور! بالطبع يمكن للشخص الاستماع فقط، فهدف الموسيقى الأوّل والأخير هو ما يدخل الأذنَين.

حفلة «جرّوبة» للموسيقى الارتجالية – غداً الأحد 12 آذار (مارس) الحالي – الساعة الثامنة مساءً – «زيكو هاوس» (شارع سبيرز - الصنائع/ بيروت) – للاستعلام: 01/746769

اكتُب وعبّر عن نفسك

■ «عليك أن تعلم علم اليقين بأن المرء يخوض صراعاً بينه وبين نفسه كل يوم مع ألف همّ وألف حزن ومئة ضعف ليخرج أمامك بكل هذا الثبات» تتخذ «جمعية السبيل» عبارة المعلم الألماني أنطون تشيخوف، عنواناً. «محترف الكتابة باللغة العربية» الذي سيغوص في الحروب الصغيرة التي يخوضها كل إنسان على مستوى شخصي وفردي، إذ دعت الهواة وعشاق القراءة والكتابة إلى الانضمام إلى المحترف

الذي يقدّمه علي صبّاغ «للتعبير عن نفسك، أفكارك، أحلامك ووجهة نظرك حول العديد من الموضوعات بطريقة إبداعية، تستطيع من خلالها الغوص في جمال لغتنا العربية واكتشاف مهاراتك بالكتابة». وتابعت أنّ المحترف مفتوح للجميع، شرط «أن تكون لديك الرغبة في الكتابة للتعبير عن نفسك وعن مشاعرك، وامتلاكك لغة عربية بمستوى مقبول، لتساعدك على الاستمتاع إلى أقصى الحدود في محترفنا».

محترف الكتابة باللغة العربية مع علي صبّاغ: السبت 18 آذار - من الساعة 11 صباحاً حتى الواحدة بعد الظهر - «المكتبة العامة لبلدية بيروت. الباشورة» - التسجيل ضروري على الرقم: 01/667701

في البدء كانت... الأبجدية

أبجد هوز

■ في مناسبة يوم الأبجدية، تقيم «لجنة إحياء يوم وعيد الأبجدية» برئاسة النائب السابق نعمة الله أبي نصر ورعاية وزير الثقافة في حكومة تصريف الأعمال محمد وسام المرتضى، احتفالاً يقام ظهر اليوم في المكتبة الوطنية في بيروت. يشمل البرنامج كلمات لمرتضى وأبي نصر ولكلّ من الصحافي روني ألفا ويوسف الحاج والشاعر أنطوان سعادة ونقيب المحامين في بيروت ناضر كسبار، على أن يتمّ توزيع كتاب «يوم الأبجدية» من إعداد أنطوان فضّول.

احتفال «يوم وعيد الأبجدية» – اليوم السبت 11 آذار (مارس) 2023 – المكتبة الوطنية اللبنانية (شارع سبيرز - الصنائع/ بيروت) – لتأكيد الحضور: 03/977070

ليس هذا العدد عن السيجارة، لا من قريب ولا من بعيد، هو عمّا تمثّله السيجارة: الأحوال. عسى أن يفعل فعلها، في أن يكون منفساً، أو فرصةً للزفير، وفي أن تكون نصوصه كالقطران التي تترك بصمتها على الأسنان.

إنّما
مناورات كتابية أسبوعية

فهرس

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور
■ المدير الفني
صلاح الموسى
■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews
■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
03 / 828381 ـ 01 /666314 ـ 15
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 11 آذار 2023
العدد 4870 السنة السابعة عشرة
Samedi 11 Mars 2023 nº 4870 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

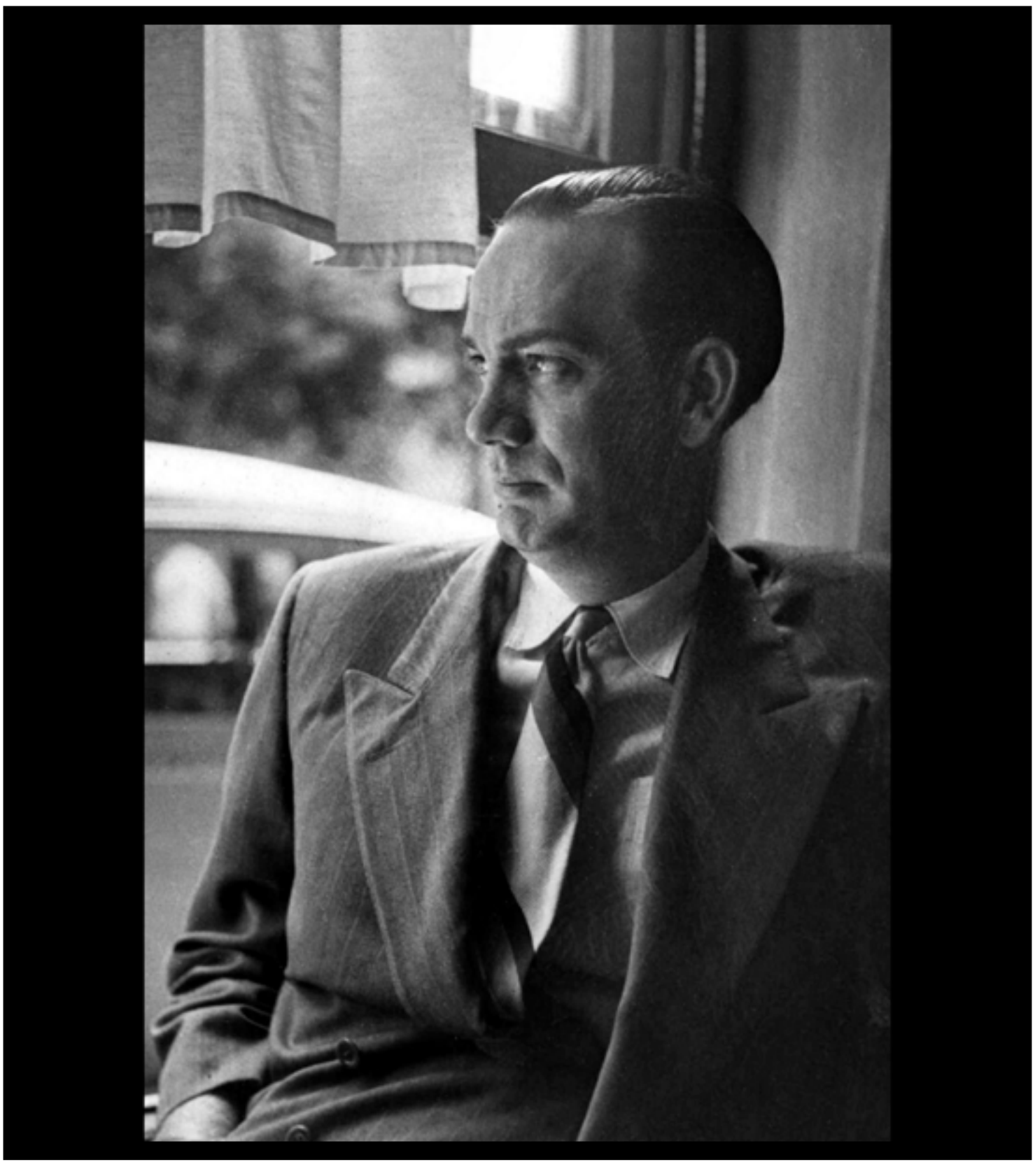

كاميلو خوسيه ثيلا

انتصار (متأخّر) على الرقابة

سعيد محمّد

في العقود الأخيرة، انتهت الرواية الإسبانية إلى مكانة شاحبة مقارنةً بأعمال كتّاب أميركا اللاتينية الكبار أمثال ماركيز وكارلوس فوينتس وماريو فارغاس يوسا وروبيرتو بولانو، ممن سحروا العالم بروائعهم الخالدة. لكن إن كان ثمة استثناء وحيدٌ لهذه القاعدة، فلن يكون سوى كاميلو خوسيه ثيلا (1916-2002 ـ حاز نوبل للآداب عام 1989) الذي يعدّه كثيرون أعظم روائيّ إسبانيّ منذ سيرفانتس.

كتب ثيلا بغزارة وجرأة في عدد من الأنواع الأدبيّة. كان شاعراً ومترجماً (عن الرّوسيّة)، إلا أنّ أهمّ أعماله تظل رواية «خليّة النحل» (The Hive) التي اضطر إلى نشرها بعد تعديلات في بيونس آيرس (الأرجنتين) عام 1951 على إثر صدور قرار بمنع طباعتها في إسبانيا ديكتاتوريّة فرانكو. لم تكن تلك أولى معاركه الخاسرة مع الرقابة في بلاده، إذ حُرمت باكورته «عائلة باسكوال دوارتي» (La familia de Pascual Duarte) من طبعة ثانية. وبعد منع «خليّة النحل» من النشر، حُظّر على الصحف الإسبانية ذكر أيّ شيء يتعلّق به أو بأعماله، ليستمر ذلك قائماً حتى عام 1966. رغم موقف ثيلا القائل باستحالة نقل المناخات الحقيقيّة للأعمال الأدبيّة بين اللّغات، فإن «خليّة النحل» تُرجمت إلى لغات عدّة. لكنّ نسخها بالفرنسيّة والإنكليزيّة ـ على الأقل ـ تعرّضت لاجتزاء وتحرير بهدف تجنّب مقص الرقابة الأدبيّة في باريس ولندن، وتلك كانت حينها صارمة ورجعيّة وشديدة الحذر تجاه استعمال التعابير البذيئة. لذلك، فإن طبعتها الجديدة الصادرة أخيراً بالإنكليزية (مجلّة نيويورك ريفيو أوف بوكس. ترجمة البريطانيّ جيمس ووماك) تعدّ أوّل ترجمة كاملة وتامّة بدون تحرير للنصّ الذي لا يفتقد إلى الصراحة أو الفجاجة في تصوير انحطاط المجتمع الإسباني خلال الفترة التي تلت إسقاط الجمهوريّة والحرب الأهليّة (1936 – 1939).

يستعصي ثيلا على التصنيف ضمن مدرسة أدبيّة واحدة، لكن ذلك لم يعنه أبداً وقال إنّه لا يمانع في أن يُموضعه القرّاء حيث يشاؤون، فـ «ما كُتب قد كُتب». يضع النقّاد «خليّة النحل» في خانة الواقعيّة، إلا أنّ ثيلا اعتبرها نصاً متقلب المزاج، وأقرب للفوضى، «تماماً كما هي الحياة في مدينة عشوائيّة مفتقدة للنظام». على أنّ ثمة مشتركاً لا خلاف عليه بين كتاباته: شغبها الظاهر، شراستها البالغة، تهوّرها المتعسّف، ومفرداتها القذرة، وبذاءتها المخجلة، وقدرتها على الاستفزاز والإزعاج. لكنّ وراء كل هذا الصخب، هناك دوماً إعادة رسم كرنفالي للمجتمع الإسباني ضمن لوحة هائلة تلتقط أدق تفاصيل الكابوس السورياليّ الذي يكتنف مساعي ناسه في خضم صراعهم مع الحياة من أجل الحياة. كأنّ ثيلا ليس إلا غويا (الرسّام الإسباني الشهير)، وقد بعث في إسبانيا فرانكو روائياً على ما يقول بول ويست. يتمتع بطاقة عجيبة لتشييد الجمال المبهر من حجارة القبح وأدوات السخافة، وتوجيه أعلى مستويات النقد السياسيّ من خلال بذاءات سوق شعبيّة للخضار.

تدور أحداث «خليّة النحل» على مدار بضعة أيام في مدريد عام 1943، بعد فترة وجيزة من نهاية الحرب الأهلية الإسبانية عندما كان نظام الجنرال فرانسيسكو فرانكو المدعوم من الغرب يمارس أبشع أشكال القمع على مجتمع مكسور وجريح ومريض. تتبع الرواية نهجاً تجريبياً غير مألوف لحينه في السرد الإسبانيّ حيث النصّ يبدو كتجميع لشرائح من واقع مجزّأ، وتتابعاً بدون خطّة واضحة لمقاطع حواريّة قصيرة وعفويّة مستلّة من قلب الحياة اليوميّة. الشخصيّات كثيرة (أكثر من 300)، والطبقات جميعها حاضرة (من الثري الباحث عن اللّذة العابرة إلى المتسول المشرد الذي لا يجد سقفاً يؤويه). لكن ثيلا لا يخبرنا الكثير عن خلفيّة المتحدثين. يتوقع من القارئ أن يراهم من خلال الكلمات التي يقولونها، والطريقة التي يتحدثون بها، وما يتحدث به الآخرون عنهم. في الحقيقة، فإن تفاعلات الشخصيّات غالباً ما تكون ذات مغزى وحيوية حتى يبدو العمل بمجمله كأنّه فيلم وثائقي عن الحياة في مدريد في لحظة تخلّ حيث الفقر والتدهور الأخلاقي، والنفاق واجتماع الأضداد في نفوس أبناء مجتمع ذلك الوقت. ثيلا هنا ليس مهتماً بالمدينة ذاتها أو بمعالمها، بل ينصرف تركيزه إلى مشاعر ناسها، وتلك التمثلات اللانهائيّة التي يظهر بها بؤس البشر على السطح في المجتمعات المهزومة.

«خليّة النحل» سجل توثيقيّ لمرحلة مفصليّة من التاريخ الإسبانيّ. في زمن غلبة أدب البلدان الناطقة بالإسبانية، فإنّها تتكفّل منفردة بتمثيل إسبانيا عند الحديث عن عمالقة أدب الرّواية المعاصر. يا له من انتصار حاسم ونهائيّ – وإن متأخر - لكاميلو خوسيه ثيلا على الرّقابة

* The Hive (New York Review Books Classics), by Camilo José Cela (Author), James Womack (Translator) 2023

ملف

محمد أركون... ناقد العقل الإسلامي والغربي

رشيد وحتي

في أوائل هذا الشَّهر، وقَّعت أرملة المفكِّر الرَّاحل محمد أركون (1928-2010) اتفاقية مع وزارة الثقافة المغربية تضع بموجبها مكتبتَه رهن إشارة الطلبة والباحثين كَهَبَة ترعاها المكتبة الوطنية المغربية. فرصة لنستعيد الخطوط الأساسيَّة التي شكَّلت مشروع الراحل الفكري بدايةً من ينابيع تكوينه الشخصي والأكاديمي، خصوصاً مع إصدار «دار الساقي» أخيراً الطبعة الثانية من كتابه «التشكيل الإنساني للإسلام» (ترجمة هاشم صالح ـ تقديم إدغار موران ـ راجع مقال الزميل عفيف عثمان).

لأركون من فضل كبير على الثقافة العربية ـ الإسلاميَّة، وبالتالي الثقافة الكونيَّة. مع مشاريع فكريَّة أخرى، سعى أركون إلى إخراج الإسلام من مأزقه التاريخي، ليكون نَداً للغرب، بحيث اقترح تعريفاً جديداً للاجتهاد، يتوافق مع سياقه المعاصر ومهامه: هدم أنساق التفكير الديني القديم وأيديولوجيات الاحتراب التي تغذِّيها، رغم أنَّها عملية ستواجَه بشكل مزدوج من خصمين يبدوان على طرفي النقيض في حين أنهما يتشابهان في الجوهر: الرقابة الرسمية للدولة ورقابة الحركات المتأسلمة. وفي الحالتين معاً، قد يكون مآل هذه الخطى التحديثية والعلمية هو الرفض والتهميش، خصوصاً في ميداني التعليم والمؤسسات الروحية.

ولد أركون لأسرة فقيرة من قبيلة آيْثْ يني في بلدة تاوريرت ميمون، التابعة لمدينة تيزي أوزو، في قلب منطقة لقبائل الجزائرية، وتلقَّى تعليمه الابتدائي في بلدته، ثمَّ اضطرَّ للانتقال إلى وهران حيث استكمل المرحلة الثانوية في مدارس التبشير المسيحي التابعة لرهبان أخويَّة «الآباء البيض»، وهي تنظيم كنسي كاثوليكي تبشيري وتعليمي، تأسس في عام 1868 وانتشر في سائر أفريقيا. في كتابه الحواري الأخير «التشكيل الإنسانيُّ للإسلام» الذي يشبه سيرةً أو وصيَّةً فكرية، وربَّما خلاصة لمشروعه، خصوصاً أنه صدر بعد وفاته، يقول أركون بكلِّ نزاهة وتجرّد فكريَّين: «درستُ في مدارس الرُّهبان، وخلال تتلمذي على أيديهم، لم أشعر للحظةٍ واحدة أنهم كانوا يحاولون استمالتي إلى عقيدتهم».

بدأ مساره الجامعي بالدراسة في شعبة الفلسفة التابعة لكليَّة الآداب في الجزائر العاصمة، واستكمَلها بالسوربون في باريس، ليتخرَّج في عام 1956 أستاذاً في اللغة والآداب العربيَّة، ويتوَّج في عام 1968 بدكتوراه في تخصُّص الفلسفة. صار عضواً في هيئة التدريس في جامعة ستراسبورغ (1956-1959)، ليترقى إلى درجة أستاذ مساعد (1969-1969) في السوربون، ثم أستاذاً مشاركاً في «جامعة ليون 2» (1969-1972)، ثم أستاذاً جامعياً في «باريس 8» و«باريس 3» (السوربون الجديدة) بين عامَي 1972 و1992. اشتغل بعدها أستاذاً زائراً أو عضواً استشارياً في جامعات برلين، برنستون، نيوجرسي، كاليفورنيا، لوفان، روما، أمستردام، «أكاديمية المملكة المغربية للعلوم والفنون»، و«مؤسسة الدراسات الإسماعيلية».

طيلة مشواره في البحث العلمي وفي كلِّ إنتاجه الأكاديمي والتأليف الشخصي، كان خيطه النَّاظم هو اللامفكَّر فيه في الإسلاميَّن الكلاسيكي (الإسلامان المبكِّر والوسيط) والمعاصر، بانفتاح إنساني على جميع آليات ومناهج القراءة الحديثة، ودفاع مستميت عن العلمانية، مع تحريض تنويري على الحوار بين الأديان والثقافات، في محاولة لصوغ علم مقارن للأديان، لا تحيُّز فيه لعقيدة سماويَّة أو وضعيَّة. رغم أن المتن الذي كان يشتغل عليه عربيُّ اللِّسان، فقد جمع في لغة التأليف بين الاستناد إلى اللُّغة الفرنسية أو إلى الإنكليزية في أحيان قليلة، خصوصاً في المؤلَّفات الجماعيَّة.

دخل أركون عالَم النشر بكتابه «الفكر العربي» (1975)، لتليه مؤلفات تشكل تفريعات لهذا الكتاب: «قراءات في القرآن» (1982)، و«التفكير في الإسلام اليوم» (1993)، محاضرات كرسي Gifford، تحت عنوان: «تأسيسٌ لنقد العقل الإسلامي» (2002) في جامعة إدنبره الإسكتلندية، «اللَّامفكَّرُ فيه في الفكر الإسلامي المعاصر» (2001).

ذاع صيت أركون في الأوساط الجامعيَّة في عام 1969، مع نشره لدراساته حول المفكِّر والمؤرِّخ الفارسي مسكويه (القرنان 10 و11م)، باعتباره رائداً لتيار إنساني في الفكر الإسلامي الوسيط، ولم يكتف أركون بمقالات بحثيَّة ومؤلَّفات عنه، بل نقل أيضاً إلى الفرنسيَّة كتابه «تهذيبُ الأخلاق وتطهيرُ الأعراق» تحت عنوان Traité d-éthique. منذ عام 1980 حتَّى وفاتِه، تولى مهام التحرير العلمي لدوريَّة Arabica الرصينة والمتخصِّصة في الدراسات الإسلامية، الصادرة عن «دار بريل» التَّابعة لجامعة ليدن (تقف وراء إصدار موسوعة «دائرة المعارف الإسلامية»، بكل اللُّغات، وقد أسهم أركون في مداخل معجميَّة كثيرة فيها، إضافة إلى باحثين عرب ومستشرقين).

من دون أي نزعة دعويَّة، أسهم أركون في نشر الثقافة العربية ـ الإسلامية في الغرب وفي التعريف بها أكاديمياً، من خلال مساءلتِه إمكانيَّة وطرائق إعادة التفكير في الإسلام، داخل سياق العالَم المعاصر، في تأليف مزدوجة الغرض: التعريف بثقافتنا، وتفنيد الطروحات التحقيرية الغربية، المبنيَّة على أيديولوجيا التفوّق العرقي والمهمة الحضاريَّة للغرب في تمدين الشرق وإخراجه من البداوة والتوحّش. طروحات لا يعزوها أركون إلى الاستشراق بكامله، ذلك أن نظرته إلى الخطاب الغربي الدارس للشرق ليست سلبية بالمطلق، إذ قام بتنزيه الاستشراقين الألماني والسلافي عن هذه الكليشيهات (ربما بسبب عدم وجود أي احتكاك استعماري بيننا من جهة وبين الألمان والسلافيين من جهة أخرى). كما أنَّ أركون جرّم القراءات التأويلية المغرضة للاستشراق، من دونَ جهود الأخير المحمودة في تحقيق النصوص التراثية العربية-الإسلامية وتصنيف مخطوطاتها وحفظها وترميمها في المكتبات الغربية، ثمَّ ترجمتِها إلى اللغات الأوروبية وتحشيتها بالشروحات المعجمية.

يقول في محاضرة ألقاها في «معهد العالم العربي» تحت عنوان: «المهامّ النظرية والعملية للإسلاميات التطبيقية» (بتاريخ 13,05,2007): «ليس الغرب أبداً تجسيداً للشيطان المادي، اللاأخلاقي، الملحد، كما أن الإسلام غير قابل للاختزال في السلفية المتطرفة، ولا يمكن اعتباره متنافراً مع الديموقراطية والحداثة».

تصدَّى أركون أيضاً لتفنيد طروحات دارسين روحانيين غربيين أمثال رونيه غينون وفريتجوف شوان، اللذَيْن حاولا بناء صورة أسطورية ورومانسية عن الإسلام، على حساب الاهتمام بدراسة مشكلات الواقع اليومي وأشكال التفكير العقلاني في العالم الإسلامي.

لأركون أيضاً نظرة خاصة إلى العلمانية تستوجب أخذ خصوصيات العالَم العربي-الإسلامي (يبدو هنا قريباً من المفكر التونسي الراحل هشام جعيط الذي يرفض الأخذ بالعلمانية الفرنسية بحذافيرها). في دفاعه عن قيم العلمانية، يشرع أركون في نقدها، نظراً إلى الأشكال الفريدة التي اتخذتها عبر التاريخ والتناقضات التي انتهت بها، والتي ينبغي تجاوزها، وهي متجلية في الأساس في عدم فهم ثقافة الآخر. يقول في كتابه «انفتاحات على الإسلام» (1989) موضحاً فكرته: «أسعى جاهداً، منذ سنين، من خلال النموذج المشنَّع به، المساء فهمه وتأويله للإسلام، أن أفتح السُّبُل لفكر يتأسس على المقاربة المقارنة من أجل تجاوز كل أنساق إنتاج المعنى ـ عقائديَّة أو علمانية كانت — التي تحاول تصوير المحلِّي، التاريخي، العارض، أو أي تجربة خاصة في شكل قيمة كونية، متعالية، مقدَّسة بشكل مطلق، ما يستوجب مسافة نقدية متساوية إزاء كل «القيم» الموروثة عن كل التقاليد الفكرية، بما في ذلك عقلانية الأنوار الفرنسية، والتجربة العلمانية التي انحرفت في شكل نزعة علمانية مناضلة وحزبية».

عن «حرّاس الإيمان» الذين يمنعون التفكير

عفيف عثمان

«التشكيل الإنساني للإسلام» (بيروت، دار الساقي، 2022 ـ الطبعة الثانية ـ ترجمة هاشم صالح. تقديم إدغار موران) عبارة عن سلسلة من المقابلات جرت مع المفكر الجزائري الراحل محمد أركون عام 2009، من جانب الصحافيين، رشيد بن زين وجان لوي شليغل. لكن في ربيع 2010، تدهورت صحته وتوفي في باريس في 14 أيلول (سبتمبر) 2010، ما حال دون قراءته المخطوط كاملاً. أخذت زوجته على عاتقها إتمام العمل الذي صدر بالفعل بالفرنسية عام 2012. رأى الباحثان إن الحوار المنشور يقدم فكرة شاملة عن أعمال محمد أركون، ويشتمل أيضاً على «حدوسات معرفية خاطفة وساطعة ويتيح لفكر محمد أركون أن يظل حياً ويستمر في الإشعاع». وقام بترجمة النص هاشم صالح، في صفة كونه عالماً بأعمال أركون ومتابعاً لمعاركه الفكرية، لكن من دون أي مقدمة منه توضح لنا حيثية الترجمة وراهنيّة أفكار المعلم الراحل، والعنوان الفرنسي يفيد البناء أو الإنشاء (la construction)، فما الخطب الجلل الذي يقتضي هذا البناء «الإنساني»؟

يعتبر المفكر الفرنسي، إدغار موران، في تقديمه، أن صاحب «معارك من أجل الأنسية» قد خاض منازلته الفكرية على جبهتين: نقد العقل الإسلامي ونقد العقل الغربي، ولهذا الغرض استخدم مناهج وأدوات معرفية مختلفة تسندها عقلانية منفتحة، باحثاً عن المسلمات الابستيمية التي تتحكم بالخطابات والمذاهب، مؤيداً مواقفه بالنقد التاريخي الذي يضع الرسول وكلامه في التاريخ المتعين، والنقد السيميوطيقي مستفيداً من أعمال السيميائي الروسي غريماس (Greimas).

والغاية «نقد العقل الجامد»، لا سيّما في الإسلام، من دون أن ينزع عن القرآن سرّه الإلهي، ولكنه يضفي عليه إنسانيته التامة. إذ يرى أركون في كتاب الله «إنساني الإلهي» (l'humain du divin). ولكونه ابن ثقافتين، فقد تعرض غالباً لسوء الفهم، ويُقدِّر موران أن خصبه الفكري سيظهر أكثر فأكثر في المستقبل.

تتناول الحوارات أهم المسائل التي تعرض لها أركون في أعماله الكثيرة، ومن المفيد جداً للمهتمين بتتبع مساره قراءة الفصل الأول حيث «التكوين الفكري لمثقف فرنسي - جزائري»، والفصل الثاني الذي يروي فيه رحلته من طالب في الجزائر العاصمة وصولاً إلى باريس. وقد اخترت أنا في قراءتي أن أتوقف في العرض عند قضيتين تمسّان الحال الراهنة، وهما الصلة بين الديني والسياسي ووظيفة علماء الدين.

يستجوب الباحثان أركون عن الديني والسياسي في زمن نزول القرآن ويبديان خشيتهما من أن يدخل الأمر في نوع من المفارقة الزمنية؟ يجيب المفكر الجزائري بأن حياة البشر تجري في فضاء اجتماعي-سياسي، حيث تحيل «سياسة» إلى polis الإغريقيّة التي تعني المدينة، أي المجتمع السياسي على نحو عام والدولة بالمعنى الأشمل. ومنذ الفلسفة اليونانية، قامت السياسة على تصوّر ماهية الحياة السياسية. وبناء على هذا الاعتبار، يوجد سياسة في الخطاب النبوي، في شكل عام، لا في القرآن فحسب، لكن أيضاً في التوراة، فالنبي موسى عبر عن نفسه في فضاء اجتماعي، والأمر نفسه بالنسبة إلى المسيح. ففي الفضاء الجمعي، تطرح كل أنواع الخطابات من أفراد الجماعة في شأن حياتهم المشتركة، وثمة منافسة على السلطة، وبالتالي على التحكم في هذا الفضاء، وحينها يمكن أن يرتسم في الخطاب القرآني، حتى الروحي والطقسي، وجه سياسي، وأيضاً يبسط الطقسي الديني نفسه في فضاء سياسي.

إذاً، الأنبياء الثلاثة المذكورين لا يصنعون السياسة بالمعنى الحالي للعبارة، لكن يعيشون في فضاء سياسي يُنظمه قانون. وفي حالة القرآن، لم يكن هناك دولة خلال فترة نزول الخطاب النبوي، وأقيمت الدولة السياسية فعلاً، في دمشق لاحقاً، بعد وفاة الرسول. ويلفت أركون إلى أن الإدارة السياسية زمن الخلفاء الراشدين ارتبطت بتراث واسع قبلي وعشائري، في مكة والمدينة، قائم على مفهوم العصبية، ولا تزال «الحقيقة الأنتروبولوجية» للسلطة موجودة، نراها في حكومات الدول الوطنية بعد زوال الاستعمار. ويمكن التحليل العقلاني أن يضع الأمور في نصابها. وقد تأسست المدونة الحقوقية في ظل الأمرة القيمية لـ «كلام الله» الذي ظهر نفسه في سياق قبلي.

لا يدّعي أركون بأنه يقوم بعملية «تفكيك» (أقرأ تقويض باللفظ الهايدغري)، بل يُلقي نظرة متبصرة على مجتمعات باتت مُعقدة، ولكن تُبسط بوشاح لغة قانونية مجردة ومُلزِمة، كونها تأتي في مجرى قيَم الخطاب النبوي، مع حضور لافت للإلهي، وحضور هذا الأخير في المخيلة سيُعطي حياة للبنيان الحقوقي (أو الفقهي). ويتوجب في زعم أركون الوصول، كما في فرنسا، إلى الفصل بين السلطتين الزمنية والدينية، بحيث تكون أمور البشر بين أيديهم، ويبقى المقدس والديني قائماً في اعتقادات الناس، وهذا يكون شأنهم الخاص.

والحال، لم يدخل الإسلام في تجربة السلطة كما جرى عيشها في الفضاء الأوروبي، وهو فضاء مسيحي، كان يصطدم باستمرار بجدلية الديني والسياسي. ولا يملك الإسلام أي تجربة في جدلية العلماني/ الديني، وغالباً ما تواجه التصورات المستجدة برفض قاطع.

وفي دراسة أركون لابن مسكويه، تبيّن له، أنه منذ القرن العاشر الميلادي، غاب أي تفكّر أتيقي في أرض الإسلام، ولا تنحصر «الأتيقا» في وعظ الناس، إنما إجبار العقل الفلسفي على التفكير، بصرامة ومسؤولية، لتحديد القيم الكونية، وليس تلك الخاصة بالأمم الدول، والثقافات المحددة، والقبائل والجماعات المسلمة أو المسيحية. وهو يرى أن للعقل الديني (أو اللاهوتي) حدوده التي لا يستطيع تجاوزها، وكذلك العقل الحديث، فعلى سبيل المثال، لم يدِن الرق، لا بل أسهم في تبريره.

يطرح السائلان على أركون مسألة ما يجب أن يكون عليه «العلم بالإسلام»، فيبدأ من نقاش كتاب ماير هاتينا (Meir Hatina) «حراس الإيمان في العصور الحديثة: العلماء في الشرق الأوسط» (الجامعة العبرية، القدس، 2009)، معترضاً على العنوان نفسه، فأركون يُفرق بين «الاعتقاد» و«الإيمان». إذ إنّ «الاعتقاد» كلمةٌ واسعة تُغطي حقلاً من الموضوعات المتغيّرة في مجرى الزمن وبحسب الأمكنة، يقف دائماً في قبالة التعبير الحر عن الشخصية، وعائقاً في وجه تشكل هذه الأخيرة. أما «الإيمان»، فيخص باطنية وحرية الذات البشرية وتشكلها في العمق، يُقاوم تقلبات الزمن ويسكن الشخص منذ طفولته، في حقيقته الأعمق، ويسهم في تربيته وثقافته وترقيه. ولهذه الأسباب يتوجب، في عرفه، ضبطه ومساءلته ونقده في أسسه وتشكله، ومن المهم معرفة كيف يدير ويحكم الشخص.

ويشير أركون إلى أن كلمة «إسلام» في القرآن تعني «الإيمان»، أي الخضوع للأمر الإلهي. وفي البداية، عنت عبارة «حراس الإيمان»، فئة من الناس كانوا على استعداد للاستشهاد ذوداً عن الدين. وهؤلاء ينظر إليهم التراث الإسلامي على أنهم فئة قامت خصيصاً للسهر على العقيدة القويمة، المنظور إليها من الجماعة على أنها الوحيدة الحقيقية، والقادرة على إدامة العهد والصلة مع الله.

يفتح دخول أي نمط من الحداثة إلى البلدان الإسلامية، الباب واسعاً أمام نقاش جديد بأسئلة غير مسبوقة حول الإيمان: كيفية الحفاظ عليه وإعادة تعريفه وإصلاحه... وقد يحصل ذلك بإرادة فردية أو بتأسيس مذهب يُعدِل في تعريفه، ما يُثير حجاجاً يصل حد الانشقاق. والسؤال يبقى: من الذي يحسُم في مسألة القديم والجديد؟ فالجديد عند أولئك المكلفين بالحفاظ على الإيمان كما جرى تحديده في لحظة محددة من الزمن هو زيغ وضلال، فالإيمان قد حُدد مباشرة من الله. ويحجر «الحرّاس» على أي حرية في التفسير ولا يقبلون بإمكان أي تغيير. في حين يرى أركون أنّ «الإيمان» دينامي غير جامد، وهو لا ينظر إلى «الاعتقاد» على أنه مقولة أخلاقية، بل يراه اقتناعات هشَّة تفتقد الصلابة، بسبب غياب الحجج التي تسندها ويجري تلقيها من دون نقد. أما الإيمان، فمتجذّر في أعماق الإنسان يمتلك عفوية تدفع إلى العمل والتقدم والتفكير، إنه مشروع حياة «يُنتج» الوجود.

ينظر أركون إلى «حراس الإيمان» هؤلاء، بوصفهم أصحاب أيديولوجيا ناشطين لم يسمعوا بالحداثة، ويظنون أنهم يفعلون حسناً حين يوجهون الحاكم نحو الخير ويشيعون الاعتقاد والطاعة. طاعة الكل في وضع من الجهل، وهذا عمل أيديولوجي سلبي، فحين نُنكر الحداثة تكون غير موجودة. فالشيخ الراحل يوسف القرضاوي، مثلاً، يجهل ببساطة المنهج التاريخي والتاريخانية وتحليل الخطاب، والبحوث الجديدة حول مقاربة النصوص. أما الإسلاميون، وهم في الأساس ناشطون سياسيون، فيتمسكون بعقيدة جامدة ويرفعون لواء القوة ويقتلون من يخالفهم. وهم جذريّون يريدون فرض رؤاهم السياسية على المجتمع. إنهم يستحضرون القيم القرآنية كي يمنحوا أنفسهم الشرعية وفرض مشروع سياسي، وهم يخلطون، في الواقع، كل شيء في معمعة أيديولوجية رهيبة، وتأتي سلطتهم من استخدام العنف السياسي. يقدم العلماء بإزائهم وجهاً سلمياً ووداعة من دون اللجوء لأي عنف لإرهاب الناس. لكن حول الموقف الديني والصلة مع الإيمان لا يوجد فارق كبير، في نظر أركون: تميّز الإسلاميين هو في الفعل من جهة، وتبسيط الإيمان من جهة أخرى، علماً أنهم في الحقيقة لا يكترثون كثيراً بالإيمان وتعبيراته، إذ المهم عندهم هو إظهار هذا الإيمان بطريقة مرئية مُستفزة، ويكفي حينها الذهاب إلى المسجد علانية، فمضمون الإيمان هو شأن العلماء وليس شأنهم.

العلماء ووفاقاً لآية قرآنية، هم أولئك الذين تعمقوا في العلم القرآني بحيث باتوا قادرين على الدفاع عنه وحمايته ونقله، وثمة حديث نبوي يعزز من وضعهم كورثة للرسول بسبب تلك المعرفة التي لديهم عن «العلم» ووظيفتهم في نقلها لتغذية الاعتقاد، وبدرجة أكبر الإيمان، فهم في مقام الوسيط والحامي والمُعلِم. ولاحقاً تغيّر الوضع، إذ أصبح بعض العلماء علماء حقيقيين منشغلين بالمعرفة وحتى بالمعرفة الخاضعة للجدل وليس المحفوظة عن ظهر قلب، في صيغة أحاديث وآيات وتفسيرات. كان هناك علماء كبار نظير ابن تيمية والطبري.

العلم في العصر الوسيط، في اعتبار أركون، انتسب إلى التاريخ الأسطوري (mytho – histoire) أكثر من انتسابه إلى التاريخ كما نفهمه اليوم. فالعلماء بناؤو الإيمان الساعين إلى المعرفة كرسوا أنفسهم لعملية النقل، وبعملهم هذا وضعوا تراثاً مُعتبراً، كان استثماراً للعقل ليواكب الإيمان. لكن هذه الدينامية تغيرت اعتباراً من القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديَّين. إذ برز وضع ابستمولوجي جديد هو «حراس الإيمان»، وبقي الوضع كذلك إلى يومنا مع ديناميات مختلفة. ولا يزال العلماء، كما في الأمس، مقطوعي الصلة مع العلم، ولا سيّما العلوم الاجتماعية منذ القرن التاسع عشر. لقد فقدوا الصلة مع دينامية الخطاب النبوي وفقدوا اتساع النظر السياسي والعلمي للعصر الوسيط الكلاسيكي، وخلال فترة ما يُطلق عليه الانحطاط (ق 16 إلى ق 19) افتقدوا التصورات الفلسفية واللاهوتية. واليوم، هناك فئة أخرى هم الدُّعاة، ولهؤلاء وظيفة اجتماعية لها عواقب سياسية ونفسية، ولا تقف عند حدّ هداية بعض الأشخاص.

يُقِر أركون إن أعماله المكتوبة للجمهور الأوروبي كانت من أجل أن يُصحح سياسته لا نحو الإسلام كدين فحسب، بل نحو المجتمعات الإسلامية مثل الجزائر وتونس والمغرب، إذ كان يائساً من الوضع في البلدان الإسلامية. في ختام الكتاب، نجد قائمة بأعمال ناقد العقل الإسلامي، التي اهتمت «دار الساقي» بترجمة أبرزها، مثل: «أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟»، و«نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية»، و«حين يستيقظ الإسلام»، و«قراءات في القرآن».

قصائد

ليلٌ قصيرٌ *

إسحاق العجمي (**)

الليل ليس نقياً
النجوم
عيون القطط
المصابيح
والقطع المعدنيّة على الأرصفة
كلّها تلوث الظلام

■■■

لا أفكر أن أكون
قمراً
أو نجماً
في الليل
أحلم بأنْ
أكون ظلاماً

■■■

في انتظار الليل،
حيث الظلام
وحده ما يستحق
أن أراه

■■■

أحاول أن أكون أقلّ
قلقاً
حتى الستائر شاحبة
في الليل
كوجه قتيل

■■■

أين يضع رأسه
هذا الليل؟
هل في داخله
ليل آخر؟!

■■■

الستائر مُنسدِلة
على النوافذ
إنه الليل

■■■

كل مساءٍ يتخطّى
الليل
سريري

■■■

إنه الليل
أنت تحارب أعمى
كلّما
زاد سواده انتصر
في معارك الليل
الخاسر
هو الذي يرى

■■■

ثمّة فجر كاذب
الليل في كل
حالاته
صادق

■■■

هذا الليل لا يصلح لشيء،
حتى مشاجرته
لن تُغير مزاجك السيّء
هذا الليل يشبه أكثر
مقهى
لا يُقدم كوب قهوة
لزائرٍ يشكو من صُداعٍ أبدي

■■■

كلّ الذي لا تراه الآن
من النافذة
هو
الليل

■■■

هل يشعر الليل
بالإحراج
حين أعرفه
بأنّه
مجرد ظلام؟!

■■■

الليل على الباب
ونحن المقاومين الأكثر بسالةً
لاختراع النار
والكهرباء
غارقون
حدّ الانطفاء
في ظلامنا الوجودي
الليل هنا
معنا
كِلانا يسمع خطوات الآخر،
ولكن
لا نعرف
أيُّنا خلف الباب؛
الليل أم نحن؟

■■■

ليل
من اليمين إلى الشمال
ومن الشمال إلى اليمين
من أي جهة تأتيه
هو
ليل

■■■

نحتاج إلى
ظلام تام
لرؤيةِ هذا
الليل

■■■

أسبق الغروب
أسبق الستائر
على النوافذ
أسبق الأصابع على
مفاتيح الكهرباء
أنا
أول قادم على الليل

■■■

النَّصب التذكاري لليل
النافذة الشاحبة وأنا،
الليل
أورثني كل ما فيه
من أسى

■■■

على جانب الليل
مصباح
يكسر
صمتَ الظلام

■■■

ما الذي يأتي أولاً
الليل
أم
الخوف منه؟

■■■

في الظلام
ليس أكيداً
أن تعثرَ
على الليل

■■■

حتى مصباح الشارع
يُفضل في الليل
أمسية هادئة
بدلاً من أن
يشتعل
الليل يراكم على نفسه
الظلام،
لكن قلوبنا
المشتعِلة بنيران كثيرة
لا تنام

■■■

عِم مساءً
أيها الليل
أسبلنا الستائر
والدموع

■■■

في الخارج
ليلٌ
لكنْ
ما مِن أحدٍ ليسهره

■■■

أنا
ممتنٌّ لهذا السكون،
حيث الليل يشبه الماء
والقصيدة تسير بأقدامها
العارية
حُرّة من أي وزن
أو قافية

■■■

في ليل الذكرى
غيابك
كأنّه في ليلته الأولى

■■■

هكذا العمر يمضي
هذه
الليلة
تقترب
من أن تصبح
البارحة

■■■

الليل لم يقصد أن
يكونَ
ظلاماً...
حين غابت
الشمس
لم يعرف
ماذا يكون؟

■■■

لم يبقَ لنا
في الليل من شيء..
المصابيح
جعلته
غيرَ مرئي

■■■

الغُرفة
بمصابيحها المطفأة
والستائر الدّاكنة
على النافذة..
كل نهار
تفشل في تقليد
الليل

■■■

لا ترفع الستارة
عن النافذة
وراء الزجاج
ضجيج
لا أود أن أراه
الغروب
أول عمل بطولي
يقوم
به الليل

■■■

لو أنَّ
الغروب
يجرف النهار
للأبد

■■■

يسعى الليل
إلى الضوء
كالفراشات المضطربة..
يحترق واقفاً
ومتلاشياً في الرغبة

■■■

بضغطة واحدة
المصباح
يبتلع الليل
في الغرفة

■■■

رُبّما على الليل
أن يشاهِد مَرّة
شروق الشمس..
وأن تتحوّل
الشمس
لعمود إنارة
في ليلة ما

■■■

أنا ساهر
أكثر من الليل
وحزين عليه
سيُغمض عينه
وأظلُّ أحرسُهُ من نهار طويل

■■■

كل مصباح
في الشارع
بُندقيّة مُصوّبة
على قلبِ
الليلِ البريء

■■■

أكره كل هذا الوضوح
وحدها السّتائر
تعاقبُ الشمس
تحافِظُ على الليل في غرفتي
وتمدّه بالزوح

■■■

الغروب
استدراك الشمس
على خطأ الشروق

■■■

المصابيح
زهور الشوارع
بيضاء
صفراء
في حديقة الليل

■■■

مَرّ ليلٌ آخر
تلتفِتُ إلى الساعة النائمة
تُوقظ عقاربها..
أحيانا تنسى مثلك الوقت
ولا تدور

■■■

ليلةُ رأس السَّنة..
الأيام التي التهمت قلبي
لا تزال
تعوي

■■■

ليلة شتاء
النّوافذ
عارية
من الخارج

■■■

في ليالي البرد
والضّباب
أودّ أن أشتعل
ويظلّ سالماً
عود الثقاب

■■■

في أشد الليالي برودة
ضوء المصابيح
الخارج من الزّجاج
لا يفكر في العودة

■■■

حتى ليلة العيد
لا تختلف
عن الليلة
التي قبلها

■■■

الهلال في الليلة
الثانية
لا أحد
ينتبه لوجوده

■■■

كشجرة الميلاد
أحبُّ أن أكونَ
في زاوية
في ليالي
الأعياد

■■■

يدُك
نجمة الميلاد
في الليل
الكثيف

■■■

ليلة صيف
أقلّبُ المخدّة
أكثر مِن
مرّة

■■■

الليل قصير
وسيّئ بالصيف..
يعبُرُ سريعاً
وآخر ظلامه
لم يسقط بعد
على الرصيف

(*) مقتطفات من ديوان بالعنوان نفسه صدر أخيراً عن «منشورات لازورد» ـ بغداد

(**) مسقط/عُمَانْ

بولا ويلسون ـ «استلحاف الليل» (2021)

نصّ

جبلة، مدينتي لكَ الاسم (السلام)

عمّار قدّور *

كانتا تَقِفَان أمامَ الرُّكام
وبجانبهما كُرْسيَان، حَسِبْتُ
أنّهما تنتظران، أوقَفْتُ السيّارة،
قُلْتُ: تَفَضَّلا.
قالتَا: لا، نحنُ نجلسُ أمامَ بيتِنا!!
لمْ أستطعْ المتابعة، ترجّلتُ،
سألتُهما وأنا أنظرُ إلى ركامِ
الأسطحة المتراكبة:
أيْنَ يَقَعُ بَيْتُكُم؟
فقالتا: هناك، في الطابق الثاني،
وأشارتا إلى فضاءٍ يَعْلُو الركام.
لا شيءَ في الوجود سوى
الجوهر والصورة والتحوّل.
أتى التحوّل مفاجئاً، أسرعُ مِنْ
أن تجدَ الذاكرةُ ما تَسْتَنِدُ إليه،
فَتَشَبَّثَتْ بالصورة المتحوّلة
هناك.
أتى التحوّل خَلاّقاً في مرآة الوجود.

■■■

تَحْتَضِنُ المقبرةُ الجماعيّةُ
طائفتي المدينة، وتقعُ في مكانٍ
كادَ أنْ يكونَ خَطّاً فاصِلاً بينهما!
الرّحْمَةُ تَسْري في كلِّ أسمائي
اختلافاتُكم مِنْ تَجَلّي اسمِيَ
(الواسع)
ظلالُكُم تَتَّسِعُ بثَرَاءِ أفكاركم
هناك حيث أرَدْتُم أنْ تُثْبِتُوا
اختلافاتِكُم خِلافاً
أثْبَتُّ جَوْهَرَكُم، أثبتُ اسمِيَ
(الله) الجامع.

■■■

اخْتَزَنَتْ الحجارةُ مَشاعِرَ البشرِ
تَأثَّرَتْ بأفراحِهم وأحزانِهم،
بسَخَطِهم ورِضاهم.
غُدت الحجارةُ رُكاماً
امتزجَ الفرحُ بالحزنِ، والسخطُ
بالرضى!
معالمُ المدينة والمشاعرُ كلاهما
مُشتَغْرِقانِ في الرُّكام
وأمامَه
وَقَفتْ العيون على بابِ الأزل
في تلك النقطة التي لا تَمايُزَ
فيها
في تلك النقطة التي انْتَثَرَ منها
الكَونُ بعد أنْ كان مُشتَغْرِقاً في
الوجود المطلق.

■■■

جَلَسْتُ إلى جانبها
فراشةُ مُكَسَّرةُ الأجنحة
كانت قد فَقَدَتْ زوجَها وابنَها.
قالتْ: لمْ أقدر، لم أقدر على
حمايَتِهم!!
ومِنَ العينَيْنِ ذابَتْ الروح.
نحن ظلالٌ في مِرْآة وجودِك
يا الله،
لَكِنَّ ألَمَنَا أكبرُ مِنْ أنْ يحْتَمِلَهُ
ظِلّ.

■■■

انهارَتْ الأبنية
المدينةُ ما تزالُ صامدةً
تَتَرَقَّبُ أنْ يَخْرُجَ مِنْ تحت
الأنقاض طبيبُها الذي خاطَ
محبَّتَها، وطبيبتُها التي
وَهَبَتْ تلك المحبَّةَ ابتسامةً.
وعندما خرجا كانا قد تَعانَقا
وَرَحَلا
عندها
انهارَتْ المدينة.

■■■

ما يزال يراقصها
تَمْتَدُّ يدُه حول خَصْرِها
أمنيةً تَنْثَنِي على طَرَاوَتِها ولا
تَتَحَقّق
ولا تكون إلّا هِيَ
أمنيةً تأخذُهُ وتأخذُها
يَنْحَنِيان ثم يَنْحَنِيَان
يَسْتَحيلان غباراً يرسم
انحناءات الريح
ضياءً يرسم انحناءات الكون
يستحيلان قابَ قوسَيْنِ
أو أدنى
أو يَنْتَثِران
أو يَتَهَامَسَان بِسِرّ التحوّل
فَيَبْقَيان آناً فآن.

■■■

ما يزال يُراقصها
وَتَرُ العود مُزْدَوِجٌ
وَتَرُ العود وَتَران
ومِنَ العلامة ذاتِها تُوْلَدُ
نَغْمَتَان
وهما يَسْرِمدان ما بين النغمة
وذات النغمة إذْ الوتران
يَتَنَاهدان.
يَنحنيان ثم ينحنيان
وما يَدْريان
أيَغِيبُ ذاك اللحنُ أمْ يَغيبان.

■■■

أنا الذي أنْحَني ثم انحني ثم
أرْتَمي
انحناءةً تَسْجُدُ للمُطْلَقِ
امتِدَادُها العدم.

* سوريا

فيزياء الشهوة والانقراض

رودولف بونفي ـ «حوار 3» (1973)

سراج الدين الورفلي *

الحب في منتصف الثلاثين
يصير لاذعاً كعصرة الليمون
بعد شرب التكيلا.
كوخز الإبر في المستشفيات
الملوثة.
كانهيار العمارات في الأحياء
الفقيرة.
الحب في منتصف الثلاثين
شرس وسادي ومحبط للغاية،
منطو كامرأة حامل تتعالج من
الإدمان.
الحب في الثلاثين ممتلئ
بالمفارق والانعطافات الحادة،
متهور ومع ذلك جبان جداً.
إنه المشي في الضباب، والإبحار
مع القراصنة وتجار الملح، إنه
المجازفة بكل شيء رغم المعرفة
بعدم امتلاك شيء.
الحب في منتصف الثلاثين لن
يعود مسألة حياة أو موت.
إنه تراكم معرفي، تجارب
فيزيائية حول السهر والخيانة
وترويض المنحدرات والانزلاقات
الشهوانية، اختبارات عن الضوء
والظلال والعطور على الأجسام
والكمائن.
الحب في منتصف الثلاثين
يشبه التعود على فكرة
الانقراض، الانسحاب من كل
المعارك القديمة، نسف الجسور
وأولى الخطوات لترميم السدود
بعد أن تكون قد انتهيت من
الفرح والأنين.
ستقول لك المرأة التي في
منتصف الثلاثين:
- تركت لي جرحاً فوق العانة.
وسيقول لك الرجل الذي في
منتصف الثلاثين:
- حيواناتي المنوية جفت فوق
بطنك.
الحب في منتصف الثلاثين
هياج جنسي غير متحقق،
زعتر بري،
أذن فان جوخ،
غناء الحيتان العالقة،
الشعور بالرغبة في النوم
كالصغار،
موسيقى فرانز ليزت،
موانئ التنهدات،
سرقة اللوحات العظيمة،
وآخر محاولة لفهم الهرب.

* بنغازي/ليبيا

قصّة

من أجل جارتنا الفضوليّة

عايدة بدر ـ «لا شيء للكتابة عنه» (2022)

رقيّة كريمي *

نظرتُ إلى والدتي متعجّبة، وحين رأتني ابتسمَت ابتسامة هادئة. كم أحبّ ابتسامتها. حين تبتسم أشعر بأن العالم بغدو أجمل.
كنت قد رجعتُ إلى البيت بعد يوم شاقّ في العمل، فوجدتها قد أخرجت كل دروع التقدير والشهادات القديمة من خزانتي في السرداب ورفعَت عنها الغبار بحرص وتأنٍّ ورتّبتها على الرفّ.
لم تسمح لي بقول شيء. بادرتني بحماس:
- مكان هذه الدروع ليس في الخزانة القديمة في السرداب!
ابتسمتُ ولم أقل شيئاً. في الحقيقة لو كان بإمكاني لجمعتُها كلها ونقلتُها إلى السرداب ثانيةً..
ولكن من أجلها ومن أجل ابتسامتها الجميلة لم أفعل.
كنت أنظر إلى الدروع وأنا لا أزال في ثياب العمل، وأفكّر.
تذكرتُ كل تلك السنوات التي مرّت منذ أن قررتُ أن أبدأ في كتابة القصص. مع كل درع كنت أتذكّر شيئاً. هنا حصلتُ على المرتبة الأولى. هنا الثانية. هنا الثالثة. هنا بكيت.. لأنني كنتُ أرى أنَّ قصّتي أفضل من القصة التي حازت المرتبةَ الأولى وأنَّ رأيَ الحكم كان مجحفاً بحقّي.. هنا بكت صديقتي وقالت إنَّ قصّتها كانت أجمل من قصتي.
هذا درعي الأول. كم فرحتُ حين استلمته وسط تصفيق الحاضرين. كنتُ أسمع صوت قلبي يخفق بقوّة. بقيتُ أسبوعاً كاملاً أتأمّله كل يوم بإعجاب وفخر.. وهذا درعي الأخير.. عندما رجعتُ من المهرجان رميتُه بين دروعي الأخرى ونسيتُه!
كم مرّة بكيتُ وأردت أن أكسّر كل هذه الدروع، حين كنتُ أشعر أنه لا خير حتى في أن أكتب أجمل قصة؟ متى رميتُ كل دروعي في الخزانة القديمة، بين الصور المهترئة والملابس القديمة والجرائد التي كنت أشتريها كل يوم قبل ثورة الدّت وأتركها من دون أن أقرأ منها سطراً واحداً؟ لا أتذكّر..
صديقتي العزيزة..
مع الزمن تتجاوزين كل شيء: الحزن، السرور، النقاشات العبثيّة، محاولات إثبات كونكِ الأفضل، دفاعكِ عن نفسكِ أمام الذين يقولون إنّ كتاباتكِ ليست جميلة..
تتجاوزين الذين يحرصون على أن تكون نظاراتهم مشابهةً لنظارات كاتب لا يشبهونه في الكتابة ولو كان هو في عصرنا لم يكن ليضع مثل هذه النظارات الدائريّة المضحكة.. تتجاوزين الحزن، السرور، الغرور، اليأس، البكاء، الضحك..
تتجاوزين كل شيء.
فقط تحبّين أن تكتبي. ترين نفسكِ جزءاً من طريق طويل. طريق يجب أن تقطعيه، ولا فرق إن كان خريفياً جميلاً تحفّ به الأشجار وتغطيه الأوراق اليابسة أو مغروساً بالأحجار المدبّبة. فقط تهتمّين بواجبكِ.. تحاولين أن تكتبي بشكل أفضل. تحاولين أن تقطعي جزءاً من هذا الطريق الطويل. ولو بضعة خطوات فقط..
ابتسمتُ وقلتُ لوالدتي بعد أن بدّلت ملابسي:
- أتعبت نفسكِ عزيزتي..
ابتسمت من جديد وقالت:
- الليلة تزورنا جارتنا الفضوليّة. هذه الدروع ستقلع عينيها وتجعلها تموت كمداً، لأنَّ ابنتي كاتبة ومثقفة وابنتها ليست كذلك.
احتضنتها وقبّلتها وأنا أضحك من كل قلبي. كم أحبّها حين ألمح في عينيها طفلة صغيرة مشاغبة، مع أنَّ عمرها تجاوز الستين عاماً.
لم تكن والدتي تعلم أنَّ كل هذه الأمور لم تعد تهمّني، وأنني تجاوزتها منذ زمن طويل..

* لبنان

فلسفة

برتران سان – سيرنين: نحو عقلانية جديدة ترفع تحديات القرن

محمد علي العربي

أنجز أستاذ الفلسفة المعاصرة في «جامعة الكويت» الزواوي بغورة ترجمةً رصينةً لكتاب «العقلانية الجديدة» لأستاذ فلسفة العلوم في «جامعة السوربون» الفرنسي برتران سان – سيرنين. مؤلف الكتاب، للأسف، لم يكن معروفاً، قبل هذه الترجمة، في أروقة الفلسفة في الجامعات العربية. ودافعه لترجمة هذا الكتاب (صدر عن «المركز القومي للترجمة»/ القاهرة ـ 2023)، كما يصرّح في التقديم، اشتماله على جملة من الإجابات عن أسئلة مطروحة بحكم واقع المجتمعات العربية المعاش، الموسوم بلعنة التخلّف المعوّق لها للّحاق بركب التقدم، وثانياً، لأن العقلانية تُعدّ من الشروط الثقافية والفكرية اللازمة لدخول رحاب الحداثة. ويجول في تمهيده، على مفاصل تجليات العقلانية وتراكماتها في سياق تاريخي سابق لتشكّل العلم الحديث في بداية القرن السابع عشر، ويميط اللثام عن مميزاتها التي تدور في أفلاك المعرفة العلمية كمنتج من قبل عقول كثيرة غير مرتبطة بشعب أو قارة، وإمكانية تمثل وامتلاك الفرد لها في صيغ كليّة قابلة للتطوير. وغير خافٍ على أحد أن هذه النزعة ضاربة في القدم وملامحها بارزة في «كتاب العناصر» لإقليدس، المغمّسة بنكهة اليقين التجريبي، والكاشفة عن إسهامات الصنّاع والحرفيين في آلات الإنتاج والوقائع التجريبية، من دون إغفال دور المنظّر المتأمل القابل للنقد والتجريح والتعديل. وهو ما نتلمّسه في حنايا الميكانيكا الكلاسيكية ومن بُعد في فلسفة الطبيعة ومبادئ الرياضيات لنيوتن، وميكانيكا لاغرانج التحليلية.

يُشير الزواوي إلى حدثين مفصليّين في طبيعة البحث العلمي ترافقا مع الحربين الكونيتين في القرن العشرين وهما القنبلة النووية والبنسلين. إذ تحول البحث من جهدٍ فردي إلى مشاريع علمية كبرى منفصلة وموزعة ومبعثرة على منظمات ومراكز أبحاث ومختبرات عابرة للدول والقارات. الأمر الذي مهّد الطريق لمرحلة جديدة، وأي ناتج أو منتج يصبح محصلة لجهود جماعات بشرية، ومن جنسيات ومشارب ثقافية متعدّدة متكاملة، لا تلغي الموروث والطاقات الفردية البحثية. وهذا الجانب من العقلانية العلمية، هو ما أراد تسليط الضوء عليه، وما امتازت به من مصدريها الشرعيين وهما الاتساق المنطقي (الداخلي) وتدقيق التوقعات (الخارجي) كما وصفهما أينشتاين، وقد شكلتا المظلة الحاضنة للكثير من النظريات العلمية المرموقة. والواقع المستجد لا يلغي التفاوت العلمي بين الأمم الناتج عن التفاوت المأساوي في التوزيع والقبض والتنعّم بالخيرات الأولية (الغذاء، الصحة، الطاقة، الأمن ... ألخ) المرتبطة بالظروف السياسية والاجتماعية التي يمكن معالجتها وتفادي احتباساتها التي تهدّد عموم البشرية.

العقلانية الجديدة تنطلق من مسلمة أساسية وهي أن الكفاءات الفردية موزعة على المعمورة بطريقة متجانسة إحصائياً. أما المؤسسات العلمية والتقنية المنتجة فهي موزعة بطريقة غير عادلة، وشطرت العالم إلى عالمين: عالم الدول الغنية أو القوية (مجموعة الثماني الكبار: كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، روسيا، المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، التي انفرط عقدها أخيراً بتعليق مشاركة روسيا)، وسائر الدول. علماً أن نقل المعارف العلمية والتكنولوجيا، وبعثرة أريج الرفاهية، ليس بالأمر الصعب كما ظهر في حالات بقيت محدودة (الشرق الأقصى). وهذا التحدي الأخير دفع الزواوي إلى استرجاع ملاحظة أفلاطون وقوله في محاورة مينون: إنّ الفكر يبلغ الحقيقة بطريقتين: طريق الرأي السديد الذي يرتبط بوقائع خاصة، وطريق العلم الذي ينظم الوقائع في أنساق، وكل واحدة محفوفة بمخاطر الانزلاق ما لم يكن التمسك بمفهوم العقلانية أو إعادة بنائها على أسس صلبة. لعل أهمها توسعة مجالات «العلوم البينية» التي تعيد للعلوم تماسكها ووحدتها بعد شطط الاستغراق في التخصصية، والإفادة من الواقع المستجد في عصرنا الراهن، وهو أن الرغبة في الوحدة لم تعد طموحاً فردياً أو إقليمياً، بل أصبحت ضرورة لازمة لجميع الأمم. إذ إن التاريخ أصبح تاريخاً عالمياً يتطلب البحث عن عقلانية مشتركة متقاسمة ونشطة على مستوى إنتاج المعرفة وعلى مستوى مسيرة المجتمعات، وهو ما يوجب العجلة في نحت المفاهيم المناسبة، وابتكار المؤسسات القادرة على التثبيت الوجودي الفاعل للعقلانية الجديدة.

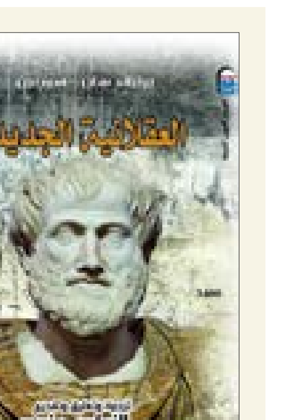

يبين أسباب عدم توسع الحضارة العربية علمياً وتقنياً

يفصل برتران سان – سيرنين في كتابه، وعلى مدى صفحات القسم الأول منطلقات العقلانية الكلاسيكية الفكرية وإنجازاتها في مجالات العلم وبناها الفلسفية، ومقارباتها ومحاكمتها، وضمن عناوين لافتة. تحت عنوان «الكون المتضامن»، يشير إلى دور خبرة الإنسان – كل إنسان - وتجربته في الشعور والتفكّر في وضعيته وصياغة نظرياته حول نشأة الكون، وتفنيد مناهجها المتميزة عن المناهج القائمة في علم الفلك والفيزياء، منذ ظهور النظرية النسبية العامة عام 1915 التي سمحت بقيام علم كلّي للكون، وبلورة معرفة بنيته وتطوره وتكوينه الفيزيائي - الكيميائي والبيولوجي والنفسي الاجتماعي للإنسان، وإسهامات علمَي الذرة التركيبية والكيمياء الحيوية، مع الإشارة إلى قصورها عن حلّ جميع المشكلات التي تعرض للإنسان، في انتمائه الكوني، ومنها إمكانية إعادة تركيب أو إنتاج بعض العمليات الطبيعية أو التحكم بها.

ولا يغفل عن ذكر ملامح روابط الإنسان الثلاثة بالكون: الرمزي، والفيزيائي، والتكنولوجي. ويبسط ما قدمته العقلانية الكلاسيكية في التأسيس لعلم فلك معاصر مدعّم باكتشاف مجرات خارج مجرّة درب التبانة الحاضنة للمنظومة الفلكية التي ننتمي إليها. ومن ثم يشير إلى ما قدّمه علماء الفلك أمثال فريدمان ولومتر وهابل، وغيرهما، من تصورات حول احتمال امتداد للكون متجاوز للفيزياء الكلاسيكية المحصورة بما هو مرئي. وأرفق استعراضه للنظريات المتعلقة بالكون بعرض لانعكاساتها على الصعيد الفلسفي كما تجلت في أعمال هوسرل وبرغسون الذي يُعلي من شأن الحسّ باعتباره طريقة لبلوغ الفكر والديمومة والتغيّر الخالص. كما يوضح مفهوم العلاقات الداخلية عند وايتهد في كتابه «العلم والعالم الحديث». ويمسك بالعوامل التي أسهمت في عملية الانتقال، على مراحل، من الفيزياء إلى علم الفلك، وإسهامات هذا الأخير في تطوير معارف الأنتروبولوجيا، والإضاءة على التركيب الفيزيائي – الكيميائي والبيولوجي والذهني للنوع الإنساني. ويتوّج القسم الأول بجملة من المقاربات الفلسفية والعلمية للحياة. ويستخلص من كل ما تقدم التعليمات والدروس الصالحة لعصرنا من الفكر البيولوجي عند كورنو، والفلسفة العضوية عند وايتهد، والحدسية عند برغسون، والنزعة المعرفية القائلة بلا انفصالية الجسد عن الروح عند مالبرنش.

وينطلق في القسم الثاني من مسلّمة تقول بأنّ العقل مثله مثل التاريخ الطبيعي الذي لا يزال حديث العهد، وبالتالي فإن تنوّعه محدود، كمقدمة لبحث قضية الوحدة الأنتروبولوجية للإنسانية والتفاوت العلمي بين الأمم. ويرد التفاوت، بعد أن يسحبه من عباءة الحتمية والعنصرية الخادعة، إلى أسباب اجتماعية وليس إلى طبيعة العقل نفسه. يميط اللثام عن العقلانية العلمية في أوروبا وفي الشرق الأقصى وفي أرض الإسلام. ويبيّن أسباب عدم توسع الحضارة العربية علمياً وتقنياً. وفي ضوء كل ذلك، وتقييمه للثروة العلمية في أصولها ومنابعها وتنوعها الحضاري، يصوغ تصوّراً لعقلانية جديدة قادرة على رفع تحديات القرن الحادي والعشرين، بوصفنا وكلاء كوكب الأرض الذي نعيش عليه. ويسطّر الفصل الثالث من الكتاب مبادئ عقلانية جديدة، تعمّ البشرية، يمكن لها أن ترسّخ نظاماً جديداً للعقل، يجمع بين الإبداعية الفردية والجمعية، وبين الاستكشاف والتحكم في أشكال غير مسبوقة، من الترابط بين الباحثين العلميين، لحل المشكلات العظمى التي تعانيها البشرية، وتحقيق الوحدة الترابطية الفاعلة للإنسانية في المجال العلمي والتوزيع العادل للرفاهية...

لمحات

جيمس جويس

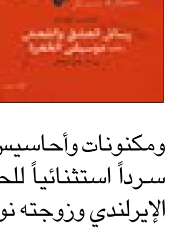

يحمل «رسائل العشق والفحش ترافقها موسيقى الحجرة» للكاتب الإيرلندي جيمس جويس (1882-1941) الذي صدرت ترجمته العربية عن «محترف أوكسيجين للنشر» (ترجمة شادي خرماشو) عالماً من البوح المنفتح على اعترافات ومكنونات وأحاسيس لا سابق لها. شكّل محتوى الكتاب سرداً استثنائياً للحب الجارف الذي جمع بين الروائي الإيرلندي وزوجته نورا بارناكل متخذاً مادته من رسائل جويس إليها عام 1909، ومجموعته الشعرية «موسيقى الحجرة» التي كتبها عنها وإليها عام 1907، إضافة إلى مقدمة المترجم«صورة الفنان في فحشه»، ودراسة مطوّلة بعنوان «أنقذيني يا نورا من رداءة العالم وقلبي» لبريندا مادوكس التي نبشت عميقاً في دواخل جويس وحيثيات هذه العلاقة ومآزقه النفسية والوجدانية والمالية، والأثر البالغ لذلك في أعماله الروائية.

آلاء فودة

«أنا غريبةٌ/ هجرَني الآخرونَ في مُتتالياتٍ حسابيَّةٍ/ كلَّ أربعةِ أعوامٍ يسقطُ منِّي جدارٌ كنتُ آوي إليه/ كلَّ أربعةِ أعوامٍ تَنبتُ لي شامةٌ أعلى الرَّحِمِ/ كلَّ أربعةِ أعوامٍ أُعيدُ تأويلَ الحكاياتِ». تسكبُ الشاعرة المصرية آلاء فودة في مجموعتها «شامة في أعلى الرحم» (منشورات المتوسط) قصائد تنبعثُ منها روائحُ كثيرة، وأشياء يومية، وابتهالات ليلية، والكثير من الشعر القادم من تجربةٍ عميقةٍ ومكاشفة. يطفو سؤال الجرح مع أوَّل قصيدةٍ في الكتاب، ونقرأ من خلالها رسالةً لا تكتمل إلى كافكا لأنَّ صاحبتها لا تملكُ «أيَّةَ تفاصيل عن أشياء لم تحدُث»، وهي أشياء تتكرَّرُ كلَّ شهر، كلَّ يوم، كلَّ ليلةٍ وتنتهي بالاستيقاظ «على اختباراتِ حَمْلٍ سلبيَّة!». تلتقطُ الشاعرة التفاصيل كلها، وهي تدركُ مسبقاً أنها تنفلتُ من أصابِعها وفق قوانين العدم في العالم. وهي لأجل ذلك تكتُبُها بلغة أقرب إلى السريالية والصوَر المركَّبة والنداءات المتكرِّرة كتعويذة تُذكِّر العالم بما هو عليه.

آن دوفورمانتيل

تنطلق المفكّرة الراحلة والمحلّلة النفسية الفرنسية آن دوفورمانتيل (1964 . 2017) في كتابها «المرأة والتضحية: من أنتيغون إلى امرأة الهامش» (2017) الصادر عن «صفحة سبعة» بتوقيع المترجم التونسي وليد أحمد الفرشيشي، من فكرة أن التضحية حاضرة في كلّ مكان وزمان، بدءاً من الأساطير القديمة حتى حياتنا اليومية. غير أن المرأة قلّما تُذكَر فيها، رغم ارتباطها، منذ القديم، بمسألة التضحية، من دون أن يكون لها الخيار في ذلك. تقدم دوفورمانتيل في هذا الكتاب تحليلاً نفسياً وفلسفياً للعديد من الشخصيات النسائية الواقعية والخيالية التي عُرفت بالتضحية من أنتيغونا في الأسطورة الإغريقية وشخصية دولثينيا في رواية «دون كيخوته» لثيربانتس وحتى الراهبة تيريزا التي عاشت في القرن التاسع عشر، وتناقش هذا العبء الذي حملته النساء تاريخياً على عاتقهن مؤكدةً إنّ التضحية لم تكن علامةً على القمع فقط، بل كانت أيضاً، في بعض الأحيان، علامةً على ثورة النساء على واقعهنّ ومحاولة لإثبات مكانتهن الاجتماعية.

عمر أبو سمرة

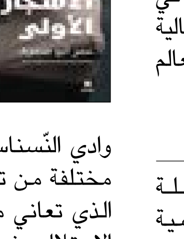

تسرد رواية «الأشجار الأولى» (هاشيت أنطوان/ نوفل) للكاتب الفلسطيني عمر أبو سمرة حكاية فلسطين تحت الاحتلال منذ بداية النكبة عام 1948، وإن كان الفضاء المكاني ينتمي إلى كلّ من إسطنبول وحيفا ما بين حَي قاضي كوي التركي وحَي وادي النّسناس الفلسطيني. يستعرض الكاتب فترات مختلفة من تاريخ فلسطين ويُصوِّر الضياع النفسي الذي تعاني منه الشخصية الفلسطينية، التي أرهقها الاحتلال وخسارة الأرض وصراعات الهوية بين الشتات والعيش تحت سلطة الاحتلال. تدور القصة حول الجدّة ناديا الفاعور التي يقتلها الاحتلال الإسرائيلي بوحشية لأنها رفضت تسليم صك ملكية بيتها، وبذلك بقي البيت ملكاً لها. هذا الصراع على البيت يؤشر إلى الصراع الأكبر على الأرض والذاكرة. يتناوب الجدّ والجدّة والحفيد على سرد حكاية ناديا الفاعور التي تتشكل رويداً رويداً من مجموع الأصوات الروائية المختلفة التي تحكي كلّ منها جانباً من القصة.

أحمد مهنى

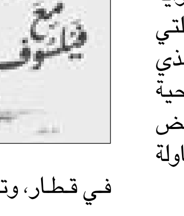

يشكل كتاب «موعد مع فيلسوف» للروائي المصري أحمد مهنى (دار دوِّن) محاولة للارتحال داخل الذات والبحث عن نفوسنا التائهة في زحمة هذه الحياة. يحكي الكتاب عن فتاة في العشرين من العمر تلتقي مصادفة فيلسوفاً في قطار، وتستغل الفرصة لتسأله عما يجول في ذهنها من أسئلة لا تملك لها أجوبة مقنعة. تطرح على الفيلسوف استفسارات عديدة عن الحبّ والخوف، عن القلق والتفكير المفرط والأسئلة الكونية. وسيخبرها هو عن الفرق بين تفكير الرجال والنساء، وعن حقيقة النفس البشرية والفرق بين النفس والروح و الوعي، وسرّ الصراع بين أنصار العقل وأنصار الروح. كتاب «موعد مع فيلسوف» هو شذرات من خواطر وتأملات تدور في عقل رجل مفكر يبحث عن معنى الحياة في زمن الحيرة والتخبط ويحاول أن يهتدي بعلامات الطريق للوصول إلى الحقيقة.

حميد بن سيف النوفلي

يبحث حميد بن سيف النوفلي في «قلهات: الجوهرة المفقودة» (دار الرافدين) في تاريخ مدينة قلهات الأثرية التي تُعتبر جزءاً أثرياً من تاريخ عمان الحضاري العريق، فهي أقدم المدن العمانية قاطبة والعاصمة الاقتصادية الأولى وهي محطة مهمة من محطات التجارة، إذ كانت تفِد إليها السّفن القادمة من بلاد الهند واليمن وظفار عن طريق بحر العرب. يؤكد الكاتب العماني أنّه واجه لغزاً غامضاً خلال بحثه عن تاريخ قلهات، وسرّ ذلك الغموض يكمن في تعذر الحصول على جميع عناصر قصة هذه المدينة لوجود ثغرات تاريخية وفترات لم تُكشف وحلقات مفقودة. وبالرغم من تعدد الأقلام التي كتبت عن تاريخ قلهات، فإنّ تاريخها الكامل لا يزال مُنية الباحثين. يخبرنا الكاتب عن حُكّام قلهات الهرامزة وسرّ اختيارهم لقلهات عاصمة لهم دون غيرها من مدن عمان، وأسباب سقوط قلهات بيد البرتغاليين. يطرح الباحث تساؤلات عن الزلزال الذي دمر قلهات وعن سيدة تدعى بيبي مريم لعبت دوراً مهماً ما زال ضريحها صامداً إلى اليوم.

رواية

«فيوليتا» وصيّة إيزابيل ألليندي

سلوى دبوق

قال زهير بن أبي سلمى: «ومن يعشْ ثمانين حولاً لا أبا لكَ يسأم»، فكيف ستكون حالنا لو عشنا مئة عام «بلا عزلة» أي قرن كامل من التجارب التّي غيّرت وجه العالم؟ هذا هو موضوع رواية «فيوليتا» (2022 ـ انتقلت أخيراً إلى العربية عن «دار الآداب») للكاتبة التشيلية إيزابيل ألليندي التي تقصّ هنا حكاية امرأة منذ لحظة ولادتها في بداية جائحة الإنفلونزا الإسبانية عام 1920 حتى نهاية حياتها التي تتوافق مع ظهور جائحة كورونا عام 2020.

تُروى القصة على لسان «فيوليتا دِل بايّيه» على شكل رسالة تكتبها إلى حفيدها «كاميلو» لتخبره بها تفاصيل حياتها المديدة والمصاعب الماديّة والعاطفية التي واجهتها. فيوليتا فتاة مميّزة وُلدت في عائلة بورجوازية ثرية، وعاشت طفولتها في بيت الأجداد المسمّى «بيت الكاميليا». لكنّ عالمها ينهار حين يخسر والدها ثروته بسبب مضارباته المالية غير المحسوبة خلال أزمة الكساد الكبير عام 1929 التي ضربت العالم كلّه، فيقرر الانتحار تاركاً لعائلته الخزي والديون الباهظة. تضطر عائلة فيوليتا المؤلفة من أخيها ووالدتها وخالاتها، بالإضافة إلى المربّية «مس تيلور» للانتقال إلى الجنوب والإقامة في مستعمرة بين السّكان الأصليين للبلد الذي لا تذكر اسمه الكاتبة إطلاقاً، لكن من الواضح أنها تقصد التشيلي لأنّ الأحداث السياسية المذكورة تعكس المسار التاريخي لبلدها الأمّ.

تكبر فيوليتا مُهدهدة بالتعاويذ السحرية والخرافات التي تنتشر بين سكان تلك المناطق، وتتزوج طبيباً بيطرياً ألمانياً بالرغم من أنها لا تحبه ثُمّ تهجره في ما بعد حين تعتقد (مخطئة) أنها وجدت الحبّ الحقيقي. تتطور شخصية فيوليتا لتصبح امرأة قوية مكافحة تستطيع الوقوف على قدميها بمساعدة شقيقها خوسيه أنطونيو. ثمّ تتحول إلى سيدة ثريّة ومستقلة مادياً بفضل موهبتها في التجارة والأعمال، لكنها تبقى ضحيّة لأحكام المُسبقة والعقلية الأبوية المتجذّرة في بلدها. خلال حياتها الطويلة، تجد فيوليتا نفسها تدريجاً منخرطة في النضال من أجل حقوق المرأة، وحقوق الإنسان، كما تشهد صعود وسقوط الرئيس التشيلي سلفادور ألليندي (ابن عم والد إيزابيل ألليندي)، والمجلس العسكري اللاحق وما تلاه من أحداث دموية مزّقت البلاد.

العنصر الأساسي في الرواية هو علاقة الحبّ والشغف التي جمعتها بطيار وسيم يدعى خوليان وإنجابها طفلين منه بعد هجرها لزوجها الألماني. يتبين في ما بعد أنّ خوليان هو مجرد وغد لا يستحق التضحية، فتتحول قصة الغرام الجامحة إلى علاقة سامّة تتأرجح بين مشاعر الحب والكراهية، وخصوصاً بعد تورط خوليان في علاقات مُريبة مع المافيا والمخابرات الأميركية. لاحقاً، تجد البطلة التعويض عن سنوات الفشل العاطفي في زواجها بدبلوماسي نروجي تقضي معه فترة الشيخوخة السعيدة. تستكشف الرواية أيضاً علاقة فيوليتا بابنتها المتمردة التي تحولت إلى الإدمان على المخدرات وحياة الليل بتشجيع من والدها لتموت في ما بعد تاركةً ابنها كاميلو لتُربيه أمُّها. كذلك، تخبرنا عن علاقتها بابنها الذي يُظهر ميولاً ماركسية ويندمج في العمل السياسي المناوئ للنظام وللإمبريالية الأميركية، ما يعرّضه لمخاطر حقيقية ويُسبّب قلقاً دائماً لوالدته.

حرصت ألليندي أيضاً على تغطية الأحداث الكبرى التي طبعت تاريخ أميركا الجنوبية في القرن العشرين، بما في ذلك الكفاح من أجل حق المرأة في التصويت، الثورة الكوبية، والديكتاتورية التشيلية. وقد يكون الجزء التاريخي –السياسي مثيراً للاهتمام لأنّه يُعرفنا إلى نظام الحكم وإلى انقلاب عام 1973 الذي نظّمته وكالة المخابرات المركزية الأميركية لإطاحة حكومة سلفادور ألليندي اليسارية، ما أدّى إلى بروز الديكتاتورية الوحشية للجنرال بينوشيه. وقد سبق للروائية التطرق إلى هذه الموضوعات من قبل، لكن من زاوية وصوت مختلفين. وقد عبَّرت في هذه الرواية عن الرعب والإرهاب الفكري والسياسي الذي ميّز تلك الحقبة الزمنية، وحكت لنا عن تعذيب وإخفاء وقتل الآلاف من المواطنين الأبرياء.

في المقابل، تتبع الرواية مسار شخصية واحدة عبر سنوات مديدة، ما يمنع أي تدفق إيقاعي كبير للقصة، فنشعر بأنّها مجرد سرد رتيب للأحداث التاريخية والشخصية. أضف إلى ذلك، كُتبت الرواية بطريقة توحي بأنّ فيوليتا تعيد حساباتها وتجري تقييماً للماضي لتخبره حفيدَها وابنها بالتبني «كاميلو». هذه الحلقة من «التغذية الراجعة» التي أنشأتها الشخصية الرئيسية أضفت على القصة مزاجاً تعليمياً وعظياً زاد من حدّته اقتباس الأمثال البليغة وإسداء النصائح بدلاً من اللجوء إلى الوصف الخصب والمشاهد القوية. لا شك في أنّ هذا الأسلوب، المليء بـ«الحكي» مُرهق للقارئ الذي يتحمّل حرفياً مئة عام من أفكار ونظريات فيوليتا. كما أنّ مزج الأحداث التاريخية والحكايات الشخصية بشكل فظ ومفتعل أحياناً، تسبّب في افتقار السرد إلى التماسك، وخصوصاً أنّ الروائية حشدت الكثير من الوقائع التاريخية المعروفة في رواية ضئيلة نسبياً.

قصّة تدمج تاريخ امرأة وتاريخ وطن معذب

يمكن القول إنّ ما تفتقده هذه الرواية هو عنصر الدراما والمشهد الكبير الفوري والمثير للعواطف الذي يمنح القارئ إحساساً بالمشاركة الحادّة في الحدث، فكلّ شيء يُروى بالعودة إلى الماضي (سرد لاحق للأحداث)، حتى المشاهد الأكثر أهمية ترتبط بالذاكرة البعيدة، ما أفقد العمل عُنصرَي المتعة والتشويق. يبدو أنّ ألليندي تجاهلت هنا أنّ الكتابة الإبداعية تعتمد على «الإظهار» وليس فقط على القول والحكي، وربّما هذا هو السبب الذي جعل من فيوليتا نفسها شخصية باهتة وغير مثيرة للاهتمام حقاً. كما أنّ علاقتها بخوليان، على وجه الخصوص، لم يتم تقديمها بشكل مقنع. ومن الواضح أنّ الكاتبة أثناء انتقالها من جائحة إلى أخرى على مدى قرن من الزمن، ضحّت بالمصداقية الروائية، إذ لا نستطيع كقرّاء أن نثق تماماً بقاصّ يبلغ مئة عام من العمر.

«فيوليتا» باختصار قصّة تدمج تاريخ امرأة وتاريخ وطن معذب، ويُمكن اعتبارها إلى حدّ ما وصيّة لإيزابيل ألليندي التي تبلغ اليوم ثمانين عاماً. نجد في هذه الرواية بعض ما نحب في أدب أميركا الجنوبية من واقعية سحرية، وروح الأرض/ الأم وجمال الطبيعة وأيضاً حس الدّعابة الذي يجعل البطلة تواجه آلام الشيخوخة بمرح في نهاية الكتاب. مع ذلك، لا ترتقي رواية «فيوليتا» إلى مستوى الأعمال السّابقة لسيّدة الأدب اللاتيني التي منحتها شهرتها العالمية.

منصورة عز الدين تشتبك مع التراث

مهند عبد العظيم

يُعامل التراث العربي بحذر شديد من معظم الكُتّاب العرب، بل يتجنّب بعضهم الاشتباك معه، أو حتى الحديث عنه، ويقف خيال «ألف ليلة وليلة» حائلاً بين محاولات صنع خيال جديد أو الاشتباك معه والتمرد عليه. يتناسى البعض أن الكتابة السابقة سواء كانت تراثية أو كلاسيكية، تلزمها كتابة أخرى تشتبك معها برؤى جديدة. من خلال هذه الرؤى، تصنع الكتابة عالماً جديداً وخيالاً مغايراً لما تم الاشتباك معه. تحيلنا منصورة عز الدين في رحلة صعودها إلى «جبل الزمرد» (دار الشروق ـ 2023)، إلى التفكير في أسئلة عدة حول جدوى فعل الكتابة نفسه: لماذا هناك رغبة تمس المرء في الحكي أو التدوين، وأيضاً هناك إسقاط من خلال حياة البطلة على المراحل التي تمر بالكاتب/ الكاتبة خلال فعل الكتابة نفسه؟

يقول إرنستو ساباتو (1911-2011) في كتابه «الكاتب وأشباحه» (المركز القومي للترجمة ـ ترجمة سلوى محمود): «منذ حوالي ثلاثين عاماً، أكّد ت.س. إليوت أن الجنس الروائي انتهى مع فلوبير وهنري جيمس، وكَرّر كُتّاب مقال مختلفون ذلك الحكم الجنائزي بشكل أو بآخر». وربما ما زال العرب يتعاملون بهذا الشكل مع كتب التراث، ومنهم حتى عز الدين نفسها في روايتها السابقة لهذه الرواية أي «وراء الفردوس» حيث كانت أيضاً تتعامل بحذر إزاء الاشتباك مع التراث عبر تفسير أحلام ابن سيرين في تلك الرواية. لكنها في «جبل الزمرد» (سبقتها طبعتان عن دارَي «التنوير» 2014/ و«المؤسسة العربية للدراسات والنشر» 2019)، تشتبك بتمرد، وتحيل الكتابة إلى فعل كونيّ ثوري من الأساس.

تفتتح عز الدين روايتها بالرد على جملة «حكاية لو كُتِبَت بالإبر على أماق البصر لكانت عبرة لمن يعتبر» (جملة من «ألف ليلة وليلة»)، «حسناً! فلتكن الكتابة حفراً على آماق الأبصار، فلتكن طريقاً لعماء يعمِّق الرؤية!». لم تكن روايتها حفراً على آماق الأبصار، لكنها جعلت الكتابة بالفعل طريقاً لرحلة عماء تعمّق الرؤية وتولد رؤية بديلة من خلال الجمع بين عالمين مختلفين تماماً: عالم ينتمي إلى خيال «الليالي»، وعالم آخر ينتمي إلى حياة واقعية وهي «حياة هدير» البطلة الرئيسية للرواية. عبر هذين العالمين، تُبنى حياة «هدير» على حياة «بستان». وربما هذا ما يحيلنا إلى فكرة كتابة الرواية نفسها. في الرواية تُبنى سردية على عالم ينتمي إلى كتابة التراث. أما حياة «هدير» المضطربة، فتُكملها حياة «بستان»، أي أن الكتابة تصبح وسيلة لخلق عالم بديل، أو خلق عالم تكميلي. الكتابة هنا لها أصل، لكنها لا تنسجم معه، بل تتمرد عليه، لكن بلا تكرار وإسهاب أو حتى مغالاة في الإعجاب بهذا النص، أي نص كتاب «ألف ليلة وليلة» أو أي نص تراثي في المطلق. في معجم معاني اللغة العربية، يرتبط معنى كلمة «الثورة» ارتباطاً وثيقاً بالفعل السياسي، أي أنّه تمرد على السلطة. لا يلتفت أحد إلى أن الكتابة في داخلها ثورة، أو وسيلة إعلان احتجاج ما. في مشروع عز الدين الروائي والقصصي، ثيمة تتكرر بأشكال مختلفة عن أهمية التأريخ عبر الكتابة، بداية من عملها الروائي الأول «متاهة مريم» (ميريت 2004) حتى آخر أعمالها. لكن بعد ثورة 25 يناير 2011، حدث تغيّر كبير في صوت عز الدين الروائي. لعلّ ملامح هذا التغير ظهرت في عملها القصصي «نحو الجنون» (ميريت)، ثم اتضحت بشدة في عملها «جبل الزمرد». «هدير» بطلة الرواية تتأثر بما يحدث في المدينة من أحداث ثورة ما، أي أن عز الدين تحيلنا إلى أن الكتابة هي وسيلة تأريخ للثورة أيضاً، أو أنها نفسها فعل ثوري.

ثيمة تتكرر بأشكال مختلفة عن أهمية التاريخ عبر الكتابة

في كتابه «الكاتب وعالمه»، يقول الناقد تشارلز مورغان (1894-1958): «إن الفنان لا يجد المجتمع. إنه يمكّن الناس من أن يجدوا أنفسهم، ومن ثم، فهُم- آخر الأمر- يجدون المجتمع الذي يعيشون فيه». وهذا ينطبق على ما فعلته عز الدين في عملها «جبل الزمرد»، إذ خلقت مجتمعاً يمسّ كل من عانوا من الثورة في المدينة عبر حياة بطلة عملها «هدير» عبر استماعها إلى رواية «بستان» عنها وعن عائلتها عبر قراءة كتاب أهدته «بستان» إليها، أي أن منصورة أيضاً تحيل إلى أن فعلَي القراءة والكتابة متشاركان عبر بناء تلك الرواية. في الفصل قبل الأخير «النزوح إلى العالم»، تكتب عز الدين: «خطر لهم أن التدوين قد يكون الضمانة الوحيدة لإعادة إحياء من ماتوا، ممثَّلين في كلماتهم». وبهذا تتجاوز الكتابة أو التدوين حصرها في أفعال بعينها، تتجاوزها وتسمح عزّ الدين بذلك لنصها الروائي أو لكتابتها بالانفتاح على أكثر من تأويل، وأكثر من معنى. وبالعودة إلى ما قاله مورغان، قد تسنح لأي قارئ/ قارئة أن يجد كلّ منهما نفسه في هذا النص الروائي، الذي كان فقط ينقصه تقليل مساحة بعض الأشخاص الثانوية.

أوراق

الجملة الوحيدة التي وصلتنا من كتاب الكسائيين عربية؟

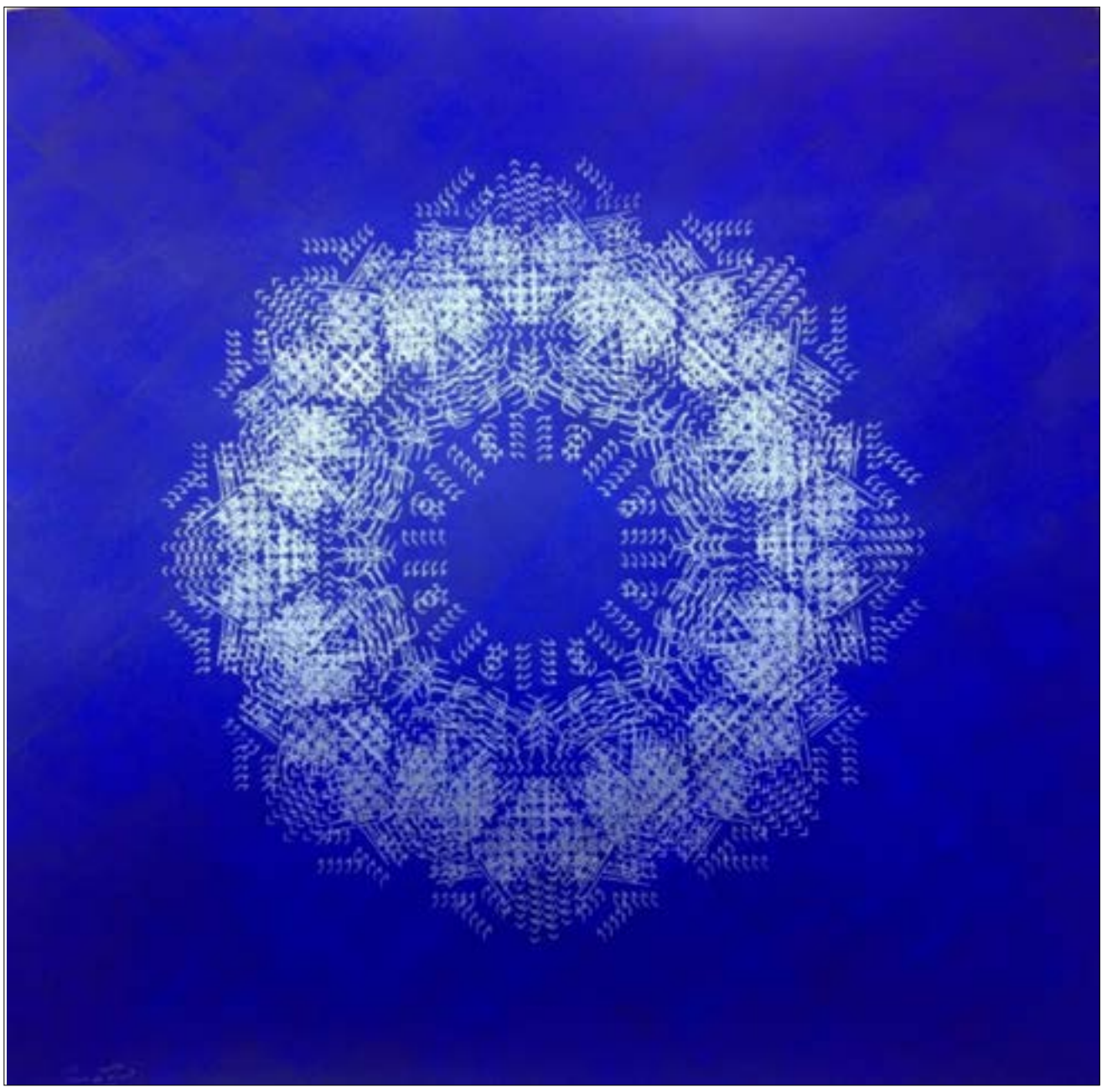

لولوة الحمود - من سلسلة «99 اسماً لله»

زكريا محمد *

تحدثنا في مادة سابقة عن طائفة الكسائيين Elkasaites، الذين كانت فرقة منهم تعيش في شمال البحر الميت في القرون الأولى الميلادية، وعن زعيمهم الذي يُدعى الكسي، الكسيا. يقول أفيفانيوس عن فرع هذه الطائفة في فلسطين: «الشمسيون Sampsaeans يسمون أيضاً الكسائيين Elkasaites ما زالوا يعيشون حتى هذا اليوم في العربية، وهي البلاد التي تقع إلى الشمال من البحر الميت. وقد خدعوا من قبل الكسيا الرسول الزائف، الذي ما زالت امرأتان من نسله، مارثوس ومارثانا، تُعبدان كإلهتين من قبل أتباعه. وكل عقائدهم متشابهة مع الأبيونيين».

وتسمية المنطقة التي تعيش فيها هذه الطائفة في فلسطين باسم «العربية» يوحي بقوة أن أتباع هذه الطائفة كانوا قبائل عربية ما.

كما قلنا في المادة إياها، إن الباحثين يربطون بين هذه وبين طائفة المغتسلة، وزعيمها الذي يدعى «الحسيح»، التي حدثنا عنها ابن النديم في الفهرست. فالكسي Alksai هو الحسيح. واقترحنا أن الاسمين يعودان إلى أصل واحد هو «الكسيع»، وأن الكسيع هذا كان كاهناً لإله بهذا الاسم يتجسّد في حمار. فالكسعة في العربية هي الحمير، والكسع أو الكسيع هو الحمار.

وبحسب الأخبار التي وصلتنا من القرون الأولى الميلادية، فقد كان لزعيم هذه الطائفة، التي كان مركزها الرئيسي في العراق، كتاب أنزلته عليه الملائكة بحسب ادعاءات طائفته. وقد حمل نسخة من هذا الكتاب شخص من أفاميا في سوريا إلى روما شخص يدعى Alcibiades (السيبياديس، الكبياديس) في زمن البابا غالكستيوس Pope Callixtus (217-222 ميلادية). ولم يصلنا هذا الكتاب إلا جملة واحدة أوردها لنا المؤرخ الكنسي الفلسطيني أفيفانيوس من القرن الرابع الميلادي. وقد أوردها على سبيل التهكّم والاستخفاف وانعدام المعنى. والجملة منقولة من الحروف اليونانية إلى الحروف الإنكليزية هكذا:

Abhar anid moibh nochile daasim ane daasim nochile moibh anid abhar selam

وهي كما نرى جملة مكرّرة مرتين، لكن بترتيب معكوس في المرة الثانية.

Abhar anid moibh nochile daasim ane daasim nochile moibh anid abhar selam.

ينتهي القسم الأول بكلمة ane، التي لا توجد في القسم الثاني. وينتهي القسم بالثاني بكلمة selam التي لا توجد في القسم الأول. بذا، فلدينا كلمتان غير مكررتين في كل قسم من القسمين هما:

ane

selam

ما عدا ذلك، فالكلمات الخمس المتبقية مكرّرة، لكن بشكل معكوس. ومن الواضح بالنسبة إليّ أنّ الجملة تعرّضت للتصحيف، لا بد، عند مرورها من لغتها الأصلية التي نتكهّن بها تكهناً إلى اللغة اليونانية. وقد اقترح أفيفانيوس أنّ الجملة عبرية، وفسرها انطلاقاً من هذا الفرض تفسيراً لم يقبله أحد تقريباً. لكن هذا يعني أنه حوّل، بشكل ما، الجملة إلى كلام عبري، وهو ما يضاعف بشدة احتمال تصحيفها. بناء على ذلك، يجب افتراض أن تصحيفات عدة حدثت للجملة. وهو ما يفتح مروحةً من الاحتمالات حول أصل عدد من كلماتها.

وفي العصر الحديث، توصل كلّ من I. Stern و M.A. Levy على حدة إلى أن الجملة آرامية إذا قرأناها بالمقلوب ena misaad elichon biom dina raba (أنا مصاد إليكم بيوم دين ربا) وأنها تعني بناء على ذلك: «أنا أشهد عليكم في يوم الدين» (Elchasaites and Their Book، Gerard Luttikhuizen، 2008 August)

والمحاولة تبدو مقنعة. لكن السؤال هو: لماذا يعمد الكتاب إلى إلغاز جملته التي تبدو بسيطة ولا خطر فيها؟ هل هناك ما يخشى منه حتى يقلب الجملة ويعمّيها؟ وليس هناك في رأيي ما يشير إلى ذلك. فالجملة عادية جداً ولا تحمل ما يبدو أنّه يسبّب مشكلة. وهو ما يشير إلى أنّ الأمر لا يتعلق بتقية وإخفاء للمعنى. أضف إلى ذلك، فهذه القراءة تفترض أنّ الجملة كما وصلتنا لم تتعرض لأي تحريف. وهو احتمال ليس كبيراً في الحقيقة.

جملة عربية؟

أما اقتراحي فهو أن الجملة في الأصل عربية. وهذا الاقتراح يقوم على ثلاثة أمور أساسية:

الأول: أنّ اسم الطائفة واسم زعيمها يبدأ بأل التعريف «ال». وهذا ما يوحي بأن الصيغة الأصلية لهذين الاسمين من أصل عربي. فالعربية هي اللغة السامية الوحيدة التي تستخدم «ال» التعريف.

الثاني: أنّ أفيفانيوس سمّى المنطقة التي تعيش فيها طائفة الكسائيين شمال البحر الميت باسم «العربية» وهو ما يوحي بأنها منطقة تتحدث العربية.

الثالث: أنّ عدداً من كلمات الجملة توحي بقوة بأنّها قد تكون عربية الأصل.

ولو أخذنا، وانطلاقاً من ذلك، الكلمة الثانية Anid، فإنه من السهل الافتراض أنّها «عنيد» في الأصل، وأنّ ما حدث هو تحويل العين إلى ألف في لغة ليس فيها حرف عين (اليونانية هنا). وإذا صح هذا، فإنّ الكلمة الأولى abhar يمكن أن تكون تحريفاً لكلمة «جبار». ذلك أنّ كلمة «عنيد» تكون عادةً قريناً لكلمة «جبار» في العربية. أي إننا مع «جبّار عنيد» التي وردت في سورة إبراهيم لكن في سياق سلبي: «وخاب كل جبّار عنيد» (سورة إبراهيم 15). وليست علاقة الكلمتين بآية من سورة إبراهيم مصادفة. فهناك دلائل على صلة هذه الطائفة بإبراهيم وديانته.

وإذا أضفنا إلى هذا كلمة ane (أنا) وكلمة selam (سلام)، فإن اقتراح الأصل العربي يصبح اقتراحاً جدياً. والكلمتان معاً تصبحان «أنا سلام»، أو «سلام أنا». ويبدو أنّ وضعهما في نهاية الجملتين، يهدف إلى الوصول إلى هذا. وفي سورة الحشر في القرآن، يصف الله نفسه بأنه السلام: «هو الله الذي لا إله إلا هو القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون» (سورة الحشر 23). وفي الحديث القدسي، يقول الله إنه هو السلام: «إني أنا اللّه لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن، إني أنا اللّه لا إله إلا أنا العزيز الجبار المتكبر» (أبو طالب المكي، قوت القلوب). وكما نرى، فجملة كتاب الكسيا تكاد تكون من الطراز القرآني والنبوي ذاته تقريباً. إنها ترداد مشابه لبعض أسماء الله المشهورة وصفاته لا غير.

بالتالي، يتبقى لدينا الكلمات الثلاث الصعبات: moibh nochile daasim. ويحق لنا بناء على ما أوردناه أعلاه أن نفترض أن كلمة moibh ربما تكون تصحيفاً لكلمة «مهيمن» التي وردت في الحديث القدسي. أما الكلمة الوسطى «نُكيل» فيبدو أنها من الفعل «نكل» العربي الذي يفيد معنى التنكيل. وفي القرآن: «إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً» (المزمل 12). وتعتقد الغالبية أن الأنكال تعني القيود. لكن هذا ليس مؤكداً في نظري. ففي الحديث: «إن الله يحب النَكَلَ على النَكَلِ، يعني: الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب» (الجوهري، الصحاح). بذا فالنكيل هنا قد تعني القوي الشديد.

تظل كلمة daasim دسّام الصعبة. والجذر دسم يعطي معاني عدة: فالدسم السدّ. لذا يسمى سداد القارورة «دِسام». وفي حديث منسوب إلى النبي: «إنّ للشيطان لعوقاً ودساماً»، وبحسب المفسرين، فالدسام هو ما يسد الأذن، فلا تعي ذكراً أو موعظة. كذلك، فإن الدسمة: السواد. والدسيم: الكثير الذكر، أو القليل الذكر، أي إنه ضد. ولعل المعنى المقصود أن يكون الذكر والشهرة.

بناء على كل ذلك، يبدو أن جملة كتاب «الكسي، الكسيء، الكسيا» ذات طابع عربي حقاً. وإن صح هذا، فإن له مترتبات شديدة الأهمية. ذلك أن هناك من يربط بين طائفة الكسائيين وبين الصابئة المندائية في العراق. ويعتقد بشدة أن هذه الفرقة هي التي ذكرت في القرآن واعتبرت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (سورة البقرة 62). وقد اعتبر الصابئيون هؤلاء في الإسلام ضمن أهل الكتاب. فهل يكون كتابهم هو «كتاب الكسيء، الكسي، الكسيا» الذي حملت منه نسخة في القرن الثالث الميلادي إلى روما؟ هذا محتمل جداً في رأيي.

على كل حال، فقد حدثنا صاحب «الفهرست» عن كتاب محدد لنوع محدد من الصابئة يدعى الصابئة الإبراهيمية:

«قرأت في كتاب وقع إلي، قديم النسخ، يشبه أن يكون من خزانة المأمون، ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها- وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويعتقدونه- فذكرت منه ما تعلّق بكتابي هذا. وهذه حكاية ما يحتاج إليه منه على لفظ الكتاب: قال أحمد بن عبد الله بن سلام، مولى أمير المؤمنين هارون- أحسبه الرشيد-: ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم الصابيون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام وحملوا عنه الصحف التي أنزلها الله عليه» (ابن النديم، الفهرست).

وهذا النص مهم جداً. وأهميته تكمن في أنه يحدثنا عن وجود «صابيين إبراهيميي»، أي عن وجود صابئة ذات طابع إبراهيمي. وهو يصف هذه الطائفة بأنها حنيفية، وهو ما يعني أنها قريبة جداً من الإسلام الذي يصف نفسه بأنه حنيفي، وأن إبراهيم هو الحنيفي الأول. والسؤال: هل يكون كتاب مكتبة المأمون الذي حدثنا عنه ابن النديم على علاقة بكتاب الكسيا؟ أو هل هو نسخة متأخرة منه؟ أم هو شروح وتفسيرات له؟

نحن لا ندري. لكن هذا احتمال لا يمكن نفيه.

في كل حال، فأحمد بن عبد الله بن سلام يقول إنه ترجم الكتاب ترجمة. فعن أي لغة ترجمه؟ عن اليونانية، أم عن السريانية، أم عن لغة أخرى؟ نحن لا ندري. ومهما يكن من أمر، فعلينا أن نتذكر أنّ قريشاً رأت في البداية أنّ دعوة الرسول دعوة قريبة من الصابئية. فقد قال أناس منها وقتها: «إن محمداً قد صبا»، أي إنه صار صابئياً. وهي جملة كتاب الكسيا التي تحدثنا عنها هنا تؤكد وجود علاقة نصية ما بين الإسلام والصابئة.

إذن، فجملة كتاب الكسائيين (أو الكسعيين بالأحرى) الوحيدة التي وصلتنا، قد تفتح الباب لإلقاء ضوء غير متوقع بالمرة على بدايات الإسلام وبواكيره.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 11 Mars 2023 no58
السبت 11 آذار 2023 العدد 58

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

الكفاحُ حقّ

[2-3]

كم هو مخطئ العدو الصهيوني الإرهابي المتوحش حين يعتقد أن إقدامه على ارتكاب جرائمه، صباحًا ومساءً، ضد شباب فلسطين قادر أن يطفئ ثورة لم يتوقف اشتعالها منذ عشرات السنين. وكم هم مخطئون الحكام العرب الصامتون على جرائم العدو المتمادية بحق أطفال فلسطين وشيوخها ونسائها وشبابها حين يظنون أن التاريخ سيغفر لهم صمتهم حتى لا نقول تواطؤهم. وكم هم مخطئون أدعياء حقوق الإنسان في الغرب الأطلسي، حكومات ومنظمات، حين يظنون أن دعمهم للصهاينة القتلة سيمرّ من دون حساب .فإذا كان الكيان الغاصب مجرمًا بكل المقاييس، فهؤلاء جميعًا شركاء في جريمته.

معن بشور

(أ ف ب)

سنة وثمانية أشهر على انفجار التليك

4

آلية الرقابة تحت المجهر

5

النيابة العامة المالية: لزوم ما لا يلزم؟

6

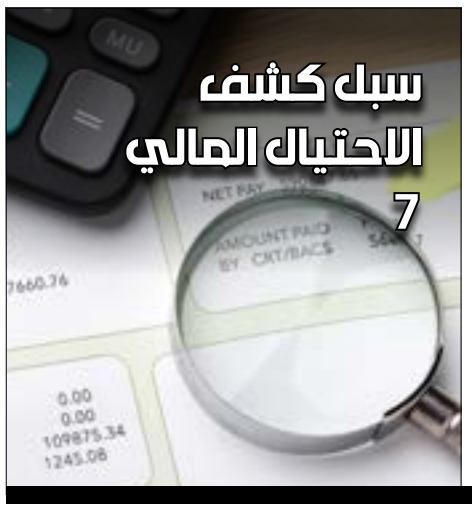

سبل كشف الاحتيال المالي

7

أمّ الشهيد

خلف نعوش الشهداء أمّهات صامدات وهبن جزءاً من أرواحهن فداءً لفلسطين، تستقبلن نعوش أبنائهن بابتسامات تختلط فيها الحسرة بالفرحة. أمّهات حملن وأنجبن أطفالاً ودفعن بهم إلى طريق الجهاد لتحرير فلسطين، وللدفاع عن إنسانية ضائعة في عالم تغتصب فيه الحقوق والكرامات يومياً.

أمّ الشهيد، سيّدة النساء، ولا يمكن تخصيص يوم عالمي لها لأن كل يوم يومها، يوم صانعة المجد، يوم الأم التي تتحدى الألم والحزن وتزفّ ابنها عريساً باعتزاز وصبر ورضى وعزيمة.

هي تلك المرأة التي عاهدت زوجها ووالدها وشقيقها ورفيقها الشهيد بتنشئة ابنها على الشهادة. تلك المرأة التي استلمت بندقية شهيدها لتسلّمها إلى رفاقه من أجل متابعة المسيرة. هي تلك المرأة التي تلملم جراحها ودموعها خلف زغاريد النهار وتختزنها لليال، حين تغيب النظرات وتبقى وحيدة مع ذكريات ابنها الشهيد.

أمّ الشهيد... هي تلك المرأة العظيمة التي أنجبت طفلاً وربّته وعلمته وأرشدته إلى طريق الحقّ لتقدمه من أجل فلسطين. هي تلك المرأة التي نخجل أمام تضحياتها وصمودها ونشعر بالعجز والضعف مهما وصل شأننا...

هي المرأة التي خذلتها كل شعوب العالم، فبقيت صامدة مع قلة قليلة من الشرفاء.

القوس

القضية المركزية

لا يكاد يمر يوم من دون ان يقوم جيش العدو الإسرائيلي وعملائه في فلسطين المحتلة بعمليات غدر وإعدام، في الضفة الغربية وغزة المحاصرة والقدس، او بالقصف والغارات الجوّية على سوريا.

وبالتالي، لا يجد العدو حرجاً في «تشريع» ذلك في برلمانه. فقد ابدى الكنيست، المؤلف من ثلّة صهاينة مجرمين لطّخت ايديهم بالدماء، موافقته الاوّلية بغالبية 55 صوتاً مقابل 9 على مشروع قانون إنزال «عقوبة الإعدام في جرائم الإرهاب». وكان «قانون مكافحة الإرهاب» في الكيان العبري قد صدر عام 2016 معرّفاً مقاومة الاحتلال بشتى الوسائل المتاحة بـ«الإرهاب». هكذا اصبح الإرهابي الصهيوني مشرّعاً وقاضياً يدين «الإرهاب» ويعدم «الإرهابيين». فقد قرر الكنيسيت، على ما يبدو، ان يخلع قفازاته ليشهر يديه الملطختين بالدماء ليربط حبل المشنقة حول اعناق من اصرّ على ممارسة حقّه بمقاومة الاحتلال بكل الوسائل المتاحة

تعديلات في «تشريعات» العدو الإسرائيلي

«قوانين» الإعدام بمواجهة «حـقّ» الكفاح

عمر نشابة

في 16 كانون الثاني الفائت، تقدّم أعضاء الكنيست عوتسما يهوديت وليمور سون هار ملك والوزير السابق أوديد فورر، بمشروع قانون يشرّع إعدام المقاومين باعتبارهم «إرهابيين». وحظي المشروع بتأييد واسع شمل وزير الأمن القومي الإسرائيلي إيتمار بن غفير وزعيم حزب إسرائيل بيتنا الوزير السابق أفيغدور ليبرمان ورئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو. ولا شك في أن المشروع يحظى كذلك بدعم واسع في أوساط المستوطنين والمجتمع الإسرائيلي بشكل عام، إذ إن استطلاع الرأي الذي أجرته جامعة تل أبيب كان قد أظهر أن 69,8% من الإسرائيليين «يؤيدون إصدار أحكام بالإعدام بعد محاكمة فلسطينيين قتلوا إسرائيليين لأسباب قومية». والمقصود بـ«الأسباب القومية» هو السعي للتحرّر من الاحتلال وممارسة «الحق الطبيعي في الدفاع عن النفس» كما ورد في ميثاق الأمم المتحدة (المادة 51، الفصل السابع).

في 26 شباط الفائت، كرر نتنياهو الدعوة إلى إعدام الفلسطينيين بعد هجوم شنّته المقاومة الفلسطينية، أدى إلى مقتل مستوطنَين إسرائيليين مسلّحَين (هليل ويائل يانيف) في مدينة حوارة (الضفة الغربية). وقال نتنياهو يومها مهدداً الشعب الفلسطيني: «نحن نتحرك ضد الإرهاب بكل الوسائل: القمع، والعقاب والآن أيضاً تشريع يتضمّن قانوناً لترحيل عائلات الإرهابيين من إسرائيل، وقانون عقوبة الإعدام للإرهابيين». إذ تنصّ بنود مشروع القانون الجديد، الذي يحظى بدعم نتنياهو، على إصدار حكم إلزامي بالإعدام على أي فرد «أدين بارتكاب أعمال إرهابية متعمّدة أو القتل غير المباشر للإسرائيليين بسبب أعمال عنصرية أو مناهضة للدولة تهدف إلى الإضرار بالدولة» أو «طرد الشعب اليهودي من بلده الأم بحسب كتاب التوراة». ولا شك أن المقصود بالإرهاب وبـ«القتل غير المباشر» و«مناهضة الدولة»، كل أنواع وأشكال مقاومة الاحتلال ولا يقتصر على العمل المسلّح. علماً أن القانون الدولي يشرّع الحق في مقاومة الاحتلال بكل الوسائل المتاحة بما في ذلك العمل المسلّح. ونشير هنا إلى أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة كانت قد كرّست هذا الحق (الفقرة السابعة من القرار رقم 1974/3314)، إذ إن العدو الإسرائيلي يفرض على الشعب الفلسطيني نظاماً استعمارياً وعنصرياً. وبالتالي، من حقه "الكفاح" ومن حقه "التماس الدعم وتلقّيه" لمواصلة الكفاح المسلّح.

«إرهاب» التلويح بالعلم

بعد مراجعة نص القانون الإسرائيلي لمكافحة الإرهاب (2016) يتبيّن أن المشرّع الإسرائيلي يسعى بجهد لإضفاء الصفة الشرعية على الجرائم التي يرتكبها جيش الاحتلال بحق الفلسطينيين وبحق كل من يتجرّأ على ممارسة حقّه القانوني الدولي بمقاومة الاحتلال والدفاع عن النفس. فبالإضافة إلى العضوية «في منظمة إرهابية محددة»، يجرّم القانون الإسرائيلي لمكافحة الإرهاب كل من يقدّم «خدمة أو موارد لمنظمة إرهابية، حيث قد يساعد ذلك أو يعزّز نشاط المنظمة» (المادة 23). كما يجرّم كل من «يرتكب فعلاً من أفعال التماثل مع منظمة إرهابية، بما في ذلك، عن طريق نشر عبارات المديح أو الدعم أو التعاطف، والتلويح بعلم أو عرض أو نشر رمز أو عرض أو تشغيل أو نشر شعار أو نشيد» (القسم 24)، وكل من «يجعل الموارد متاحة للآخرين في الظروف التي تسهّل القيام بذلك، بشكل مباشر أو غير مباشر، لارتكاب جريمة إرهابية» (المادة 25).

الإعدام منذ 1948

كان العدو الإسرائيلي قد تبنّى عقوبة الإعدام عند تأسيس «دولة إسرائيل» عام 1948، وفي العام نفسه أعدم ضابط في جيش العدو يدعى مئير توبيانسكي رمياً بالرصاص بعد إدانته بالخيانة. لكن تمّت تبرئة توبيانسكي بعد سنة على إعدامه واعتُبرت التهم الموجّهة إليه باطلة. وفي عام 1954، ألغى الكنيست عقوبة الإعدام شكلياً من دون أن يلغيها بالفعل، إذ استثنى إعدام المدانين بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وجرائم «ضد الشعب اليهودي» والخيانة. فالإسرائيلي الذي يتمادى بارتكاب الجرائم ويُمعن بالاعتداء على الفلسطينيين والأردنيين والسوريين واللبنانيين والمصريين والتونسيين والعراقيين وغيرهم، يسعى دائماً إلى تجميل صورة «إسرائيل» وإظهارها دولة ديموقراطية يحكمها نظام عادل ومنصف، بينما العكس هو الصحيح. فهي في الحقيقة كيان احتلال تحكمه العنصرية وسياسات الأبارتايد والإجرام المتمادي بحق الأبرياء.

> **يحق للشعب الفلسطيني، استناداً إلى قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، «الكفاح» و«التماس الدعم وتلقّيه» لمواصلة الكفاح**

عام 1962، أعدم الإسرائيليون الضابط الألماني النازي أدولف أيكمان بعد اختطافه في الأرجنتين ونقله سراً إلى فلسطين المحتلّة لمحاكمته. أدين أيكمان حينها بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب و«جرائم ضد الشعب اليهودي» والانتماء إلى منظمة إجرامية. وللسخرية، فقد أدانه الإسرائيليون بجرائم ارتكبها خلال الحرب العالمية الثانية، بينما يقوم جيش العدو الإسرائيلي بارتكاب تلك الجرائم بشكل شبه يومي في فلسطين المحتلّة. واعتُبر الضابط الألماني، من قبل مهندسي تصفية الشعب الفلسطيني وسلب ممتلكاته وأرضه «مهندس المحرقة التي قُتل خلالها ستة ملايين يهودي».

سجالات بين اركان العدو

المدّعية العامة الحالية في كيان العدو غالي بهاراف ميارا والمدّعي العام السابق أفيخاي ماندلبليت، أفادا أن «عقوبة الإعدام لا تردع الإرهابيين الذين يعرفون بالفعل أن احتمال وفاتهم أثناء هجومهم مرجّح». وقالت ميارا إن «الإعدام لن يكون بمثابة رادع، بخاصة عندما يكون الجناة ذوي دوافع أيديولوجية ومستعدين لقبول القتل على أي حال».

لطالما ضغط اليمين الإسرائيلي وبعض من هم في «المعارضة» حالياً، من أجل قانون يفرض «عقوبة الإعدام على الإرهابيين»، لكن جهودهم باءت بالفشل من دون دعم كافٍ وبسبب مسائل قانونية. ففي عام 2017، اقترح رئيس حزب «يسرائيل بيتينو» أفيغدور ليبرمان مشروع قانون يتيح للمحكمة إعدام أي إرهابي أدى هجومه إلى وفاة إسرائيليين. كما ضغطت وزيرة العدل السابقة في الكيان الصهيوني أييليت شاكيد لفرض عقوبة الإعدام على أي «هجوم يؤدي إلى وفاة طفل». علماً أن جيش العدو الإسرائيلي قتل أكثر من 34 طفلاً خلال العام الفائت وحده. ولا شك أن الوزيرة المعادية لم تكن تقصد هؤلاء الأطفال إذ إن سياسة الأبارتايد تملي عليها التمييز والتشويه والكذب.

قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة رقم 1974/3314

التحضير لإعدام الأسرى

تدل هذه الوثيقة الصادرة عن «مصلحة السجون الإسرائيلية» في 29 كانون الأول 1983، بعنوان «إجراءات معاملة السجناء المحكوم عليهم بالإعدام» إلى أن العدو الإسرائيلي يتعامل مع الأسرى على أساس أنهم سيعدمون ولو تأخّر الموعد. علماً أن من اختار مقاومة الاحتلال والمضي في الكفاح المسلّح لا يخشى أو يتردد في أن يرتقي إلى الشهادة.

الكفاح حقّ

عن تعريف "العدوان"، المادة السابعة: "ليس في هذا التعريف (...) ما يمكن أن يمس على أي نحو بما هو مستقى من الميثاق من حق في تقرير المصير والحرّية والاستقلال للشعوب المحرومة من هذا الحق بالقوة والمشار إليها في إعلام مبادئ القانون الدولي المتّصلة بالعلاقات الودّية والتعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة. ولا سيما الشعوب الخاضعة لنظم استعمارية أو عنصرية أو لأشكال أخرى من السيطرة الأجنبية، أو **بحق هذه الشعوب في الكفاح من أجل ذلك الهدف وفي التماس الدعم وتلقيه**." (قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم 1974/3314)

الدفاع عن النفس

ميثاق منظمة الأمم المتحدة: "**ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم** إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي" (المادة 51، الفصل السابع)

قصور العدل

متابعة

سنة وثمانية أشهر على انفجار التليل

في 31 آذار 2023، يفترض أن يعقد المجلس العدلي جلسته الثالثة للنظر في قضية انفجار التليل (عكار) الذي وقع في 15 آب 2021 وأدى إلى سقوط 36 ضحية وعشرات المصابين بحروق مختلفة بين مدنيين وعسكريين. هل تشهد الجلسة المقبلة انطلاق المحاكمة الفعلية في القضية بعد استكمال الجوانب الشكلية لجهة حضور جميع الأطراف وتوكيل جميع أهالي الضحايا محامين للترافع عنهم؟ هل تبيّن الجلسة مزيداً من إسقاطات أهالي الضحايا والجرحى لحقهم الشخصي كما حصل في الجلسة السابقة التي عقدها المجلس العدلي في 10 شباط 2023؟ ماذا عن المستجدات في الملف والمسار القضائي العام لهذه القضية؟ والسؤال الأساس هل تتجه الأمور في خطوات ثابتة نحو إحقاق الحق وتحقيق العدالة التي ينتظرها أهالي الضحايا والجرحى؟

(ا ف ب)

فاطمة خشاب درويش

يؤكد ابن الشهيد أحمد مرعي، الجريح مصطفى مرعي، «ثبات» موقفه رغم «كل الضغوطات والترهيب الذي يمارس على الأهالي من أجل إسقاط حقهم الشخصي»، مشدداً على «ضرورة الإسراع في المحاكمة لمحاسبة كل المجرمين الذين خططوا ونفذوا وتسببوا بمقتل الشهداء». واعتبر أن «التأخير في الحكم هو جرم ثان بحق أهالي الشهداء». وسأل مصطفى: «لماذا لم يطل القرار الظني الكبار المعنيين بالملف؟ ولماذا لا يحاسب الكبار كما الصغار في البلد؟».

بدورها، تعتبر والدة الشهيد ناجي عبدالله، سوسن محمد، أن «من ارتكب جريمة التليل إرهابي، لأنه حرق الناس يلي كانت بدها تعبي البنزين المقطوع حتى تروح على شغلها. ابني عسكري استشهد بالانفجار، وكمان زوجي استشهد مع الجيش بمعركته مع الإرهابيين. نحن نحب المؤسسة العسكرية ونحترمها، بس كان في تقصير في مكان ما. ليه السياسيين يلي إلن علاقة بتهريب البنزين ما توقفوا، وليش صغار المجرمين بس بالحبس والكبار بعدن برّا؟».
وأكدت «ضرورة أن يكون هناك تحقيق عادل وشفّاف، كل شخص أو جهة لها علاقة بالانفجار يجب أن تحاسب».

من جهتها، تنتقد زوجة الشهيد خالد حاويك، شهرزاد الشيخ، المماطلة في محاكمة المجرمين والمتورطين في انفجار التليل، وتقول: «جريمة صارت على مرأى عدد كبير من شهود العيان، راح فيها عشرات الشهداء وأكثر من 100 جريح. الحقيقة واضحة، فلماذا التأخير»، معتبرةً أن هذه القضية هي قضية وطنية وإنسانية لا يجب أن تُهمل، بل يجب التسريع في المحاكمة وصولاً إلى العدالة التي يجب أن تطبّق على الجميع.

وقائع جريمة التليل بحسب القرار الاتهامي

بحسب وقائع القرار الاتهامي الذي أصدره المحقق العدلي علي عراجي، بتاريخ 25 تموز 2022، واتّهم فيه ثمانية أشخاص لمحاكمتهم أمام المجلس العدلي، فإنّ المدعى عليه جورج إبراهيم عرض شراء 3 خزانات عائدة للمدعى عليه الآخر علي الفرج، ونقلها إلى البورة، ومن ثمّ قام بتعبئتها والاتجار بها. تشارك المذكوران في تعبئة المحروقات في الخزانات والاتجار بها، وبدأ علي بشراء المازوت ونقله بواسطة آليات «بيك آب» عائدة له لتفريغها في الخزانات الثلاثة، ومن ثمّ بيعها في السوق السوداء. وحقّقا بداية أرباحاً تقارب 18 مليون ليرة، تقاسماها مناصفة.

وبحسب القرار، فإنّه في الأيام التي سبقت 14 آب 2021، وردت تعليمات إلى مخابرات الجيش في عكار بأن تقوم مع الجيش بفتح المحطات التي تحتوي على مخزون بهدف الاحتكار، وقد ورد اتصال إلى فرع المخابرات من أحد الفاعلين في الثورة حول وجود كميات كبيرة من المحروقات المخزّنة. وفي ليلة الحادثة، شهدت التليل حالة من الفوضى، حيث حضر المئات لتعبئة البنزين وتجمهروا حول الصهاريج، وفتحوا سكر أحدها، ولم يتمكّن عناصر الجيش من ضبط الوضع. وحاول الناس ملء البنزين بواسطة دلاء ماء بعد أن صعدوا على ظهر الخزان، ومنهم من أخذ يجمع البنزين الموجود على الأرض بواسطة قمصانهم، بحسب الشهادات التي استند إليها المحقق في قراره. وفي تلك الليلة حصلت مشادات كلامية بين المتظاهرين وعائلة جورج إبراهيم، وساد جو من الشحناء أدى إلى تضارب بين أحد الشبان والمتظاهرين، فتدخل أحد أقرباء هذا الأخير للدفاع عنه. مع تزايد التوتّر، قام الموقوف ريتشارد جورج إبراهيم بإعطاء قدّاحة إلى الموقوف جرجي إلياس إبراهيم الذي يعمل لدى جورج، وأمره بـ«إحراق المتجمهرين»، فقام جرجي على الفور بـ«إشعال النار قصداً في البنزين المتدفّق من أحد الخزّانَين المكشوفَين إثر خلاف مع المتجمهرين».

> بتاريخ 2022/4/12، صدر القانون رقم 289 الذي قضى بإعطاء تعويضات ومعاشات تقاعدية لذوي الضحايا اللبنانيين الذين قضوا في تفجير 15 آب 2021 في بلدة التليل العكارية، وتمكين اللبنانيين الذين أصيبوا منهم من الاستفادة من التقديمات الصحية.

> **مطلب أهالي الضحايا إحقاق الحق وملاحقة كل المتورطين**

لا لتضييع الحق

«ما لازم الإنسان يضل رخيص بهيدا البلد»، تقول وكيلة عدد من أهالي الضحايا المحامية زينة المصري، مؤكدةً «صمود الأهالي من أجل إحقاق الحق في هذه القضية رغم كل الضغوطات والمحاولات التي تمارس بهدف تضييع هذا الحق ومحاصرته». وتتابع: «انحرق كتير ناس بتفجير المرفأ وبعدين انحرق ناس كمان بانفجار التليل، حق هول الناس إنو ما يضيع حقّن، ويتحاسب كل مخطئ، وينعطى كل صاحب حق حقّه، بعد تصحيح الأمور الشكلية التي تم التوقف عندها في الجلسة الماضية، صرنا قادرين نمشي بالملف بشكل أسرع».

تحييد مسؤولية الجيش

يعتبر وكيل المدعى عليه جرجي إبراهيم المحامي علي أشمر «أن ما يحصل من تظاهرات ربطاً بالقضية هو تجييش طائفي ومحاولة لأخذ الملف إلى منحى آخر»، منتقداً عمل «المحقق العدلي الذي كان في بداية الملف يسير في مسار ثم انحرف عنه. كان التوجه العام يتركز على مسؤولية قيادة الجيش لجهة سلطتها على المكان الذي وقع فيه الانفجار، ثم قام المحقق العدلي بنفيها بطريقة مثيرة للريبة، كما أن المحقق العدلي لم يأخذ بأي معطيات قمنا بالإدلاء بها سواء التسجيلات الهاتفية أو الفيديوهات التي أُبرزت. المسؤوليات الكبرى تقع على قيادة الجيش التي أتاحت للناس الدخول إلى المكان الذي يتواجد فيه الصهريج، إذ تسقط سلطة صاحب المكان عند دخول القوى الأمنية».

وفي ما يتعلق بملف الإسقاطات، يلفت أشمر إلى أن «التفاوض بين المدعى عليهم وأهالي الضحايا أمر طبيعي يجري في كل الملفات القضائية، ومعنا عدد من الإسقاطات من أهالي الضحايا والجرحى، والمبالغ دفعها جورج إبراهيم للأهالي ليس لإسكاتهم بل للمساعدة في حل هذه القضية».

لمحة عن المسار القضائي لانفجار التليل

في 15 آب 2021، وقع انفجار في بلدة التليل العقارية وأدى إلى سقوط 36 ضحية وعشرات المصابين بحروق مختلفة بين مدنيين وعسكريين.

بتاريخ 26 آب 2021، ادّعى مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية بالإنابة القاضي فادي عقيقي، على ثلاثة أشخاص بالتسبب بالانفجار. وأسند عقيقي إلى كل من الموقوفين جورج إبراهيم وعلي صبحي فرج إقدامهما على «تخزين مواد ملتهبة بشكل غير آمن، رغم علمهما بخطورة عملهما، وتوقع النتيجة وتعريض حياة المواطنين للخطر، والتسبب بقتل 31 عسكرياً ومدنياً». كما أسند إلى المدعى عليه الموقوف جرجي إلياس إبراهيم إقدامه على إشعال الحريق، وأحالهم جميعاً على قاضي التحقيق العسكري الأول بالوكالة القاضي فادي صوان، طالباً استجوابهم وإصدار مذكرات توقيف وجاهية بحقهم.

في 29 أيلول 2021، أحال مجلس الوزراء ملف انفجار التليل على المجلس العدلي بموجب المرسوم رقم 8377/2021.

في 16 تشرين الثاني 2021، جرى تعيين رئيس محكمة الجنايات في البقاع القاضي علي عراجي محققاً عدلياً في جريمة التليل بعد موافقة مجلس القضاء الأعلى على اقتراح وزير العدل القاضي هنري الخوري، فانتقل الملف من القضاء العسكري إلى المحقق العدلي عراجي.

في 25 تموز 2022، أصدر المحقق العدلي قراره الاتّهامي، واتّهم فيه ثمانية أشخاص ليحاكموا أمام المجلس العدلي، وأضاء على جملة من الجرائم الاقتصادية التي اقترفت في عكار آنذاك، وأدت إلى انقطاع تام للمحروقات بسبب خط التهريب الناشط إلى سوريا، متطرّقاً إلى جريمة الاحتكار التي فاقمت معاناة العكاريين، ودفعتهم إلى التجمهر بالمئات للحصول على القليل من البنزين.

في القانون

سين جيم

ترد دوماً خلف كل مخالفة مالية في حسابات الدولة لجهة النفقات أو الواردات عبارة «خلافاً لرأي ديوان المحاسبة»، أو من دون موافقته. من هنا تبدأ حكاية الفساد. فديوان المحاسبة وُجد ليراقب صحة الإنفاق، وفي نظامه أنواع عدة من الرقابة، منها ما هو إداري مسبق أو مؤخّر، ومنها ما هو رقابة قضائية على الحسابات المالية العمومية أو رقابة قضائية على المسؤولين، باستثناء هرم الإدارة العامة (الوزير). فالوزير لا يطاله الديوان قانوناً، لكن يمكنه أن يشير إليه بسبابته فقط، وأن يبلّغ عنه الجهة التي تراقب الوزراء، أي مجلس النواب. أما الموظف التابع إدارياً للوزير، فيتوجب عليه، لإعفائه من العقوبة إذا خالف القانون بأمر من الوزير، أن يلفت نظر الوزير وأن يبلّغ الديوان مباشرة والمدعي العام لدى الديوان خلال أسبوع على الأكثر بالمطالعة الخطّية التي قدّمها إلى الوزير قبل تنفيذ الأمر. للدلالة على أهمية الديوان، يشير الأخير في أحد تقاريره إلى أن «الرقابة المسبقة تحول دون وقوع الهدر في الأموال العمومية ودون مخالفة القوانين، وهي رقابة وقائية»

آلية الرقابة تحت المجهر

صادق علوية

ما هو ديوان المحاسبة؟

يُعرّف ديوان المحاسبة بأنه القضاء المالي، وهو الذي يراقب قانونية استعمال الأموال لجهة الإنفاق والعقود والتصرفات القانونية التي يجريها المسؤولون باسم الخزينة العامة ولحسابها، كما أنه الجهة المخوّلة بالفصل في صحة وقانونية المعاملات والحسابات المالية للأموال العمومية وأموال الخزينة بشكل عام. وإذا اكتشف وجود ارتكابات، فهو من يحاكم المسؤولين عنها بصفته القضاء المالي، كما يقدّم الرأي القانوني في المواضيع المالية للإدارات والمؤسسات العامة والبلديات وسائر الهيئات الخاضعة لرقابته.

هل تخضع كل المرافق العامة والجهات العمومية لرقابة ديوان المحاسبة؟

تخضع لرقابة ديوان المحاسبة إدارات الدولة وعدد محدود من البلديات (بيروت وطرابلس والميناء وبرج حمود وصيدا وزحلة - المعلقة، وسائر البلديات التي تخضع بمرسوم يتّخذ في مجلس الوزراء)، إضافة إلى المؤسسات العامة التابعة للدولة وتلك التابعة للبلديات الخاضعة لرقابة ديوان المحاسبة باستثناء عدد منها، وكذلك هيئات الرقابة التي تمثل الدولة في المؤسسات التي تشرف عليها، أو التي تضمن لها الدولة حداً أدنى من الأرباح، والمؤسسات والجمعيات وسائر الهيئات والشركات التي للدولة أو للبلديات أو للمؤسسات العامة التابعة للدولة أو للبلديات علاقة مالية بها عن طريق المساهمة أو المساعدة أو التسليف. كما تخضع لرقابة الديوان، المؤسسات والجمعيات وسائر الهيئات التي للدولة أو للبلديات علاقة مالية بها عن طريق المساهمة أو المساعدة أو التسليف كلما تجاوزت قيمة المساهمة أو المساعدة أو السلفة 25,000,000 ليرة خلال السنة. من جهة أخرى، هناك عدد من المؤسسات العامة التي لا تخضع لرقابة ديوان المحاسبة، مثل مصرف لبنان والمؤسسة الوطنية للضمان الإلزامي، فيما تخضع شركات الدولة كتلفزيون لبنان لرقابة ديوان المحاسبة المؤخّرة.

ماهيّة الرقابة التي يمارسها الديوان؟

يمارس الديوان الرقابة الإدارية والرقابة القضائية. تتمثّل الأولى برقابته المسبقة على تنفيذ الموازنة أو بإبداء الرأي، أي قبل اتخاذ الإدارة للقرار. إذ تودع المعاملة مع المستندات العائدة لها لدى ديوان المحاسبة ليوافق عليها قبل التنفيذ، فتكون رقابة مسبقة. وقد تكون رقابة إدارية مؤخرة، إذ يدقق في قرارات سبق أن اتخذتها الإدارة ويضع بنتيجتها تقارير يبيّن فيها توافق هذه المعاملات مع القانون من عدمه. أما الرقابة القضائية فيمارسها برقابته على الحسابات وعلى كل من يتولى استعمال أو إدارة الأموال العمومية والأموال المودعة لدى الخزينة، فتكون الرقابة القضائية نوعين: رقابة على الحسابات ورقابة على الموظفين.

من هم الأشخاص الذين تشملهم رقابة الديوان بمعرض رقابته على الموظفين؟

يتولى الديوان الرقابة على الموظفين، وتشمل كل من يقوم بإدارة أو استعمال الأموال العمومية والأموال المودعة في الخزينة، وكل من يقوم بعمليات القبض والدفع لحساب الخزينة أو لمصلحتها أو يمسك حساباتها. وكذلك أعمال كل من يتدخل في إدارة الأموال. كما يشمل هذا التعريف كل شخص من غير الموظفين عهد إليه تولي هذه المهام، سواء كان ذلك بالتعيين أو بالانتخاب أو بالتعاقد، بمن فيهم أعضاء الهيئات التقريرية بمناسبة تولّيهم المهام المذكورة وكل شخص من غير الموظفين تولّى هذه المهام أو تدخّل أو ساهم فيها من دون صفة قانونية (المادة 59، قانون تنظيم ديوان المحاسبة).

كيف يحاكم الديوان الموظفين أمامه بصفته محكمة مالية؟

باعتبار الديوان محكمة تتألف هيئتها من رئيس ومستشارين اثنين، يمارس صلاحياته القضائية ويمكن للموظف توكيل محام والاطلاع على كامل الملف تأميناً لحقه بالدفاع. وينظر الديوان في المخالفة عفواً أو بناءً على طلب المدعي العام لديه، ويستجوب الموظف المنسوبة إليه المخالفة ويستمع إلى الشهود، وبإمكانه طلب تعيين الخبراء، أو تكليف المراقب إجراء تحقيق أو تدقيق يتعلق بالمعاملة المحالة عليه. ويبلّغ الموظف بالإجراءات اللاحقة لحين صدور القرار النهائي الذي يتم تبليغه إلى الموظف المعني، وتبلّغ صورة عنه إلى المدعي العام، وإلى الوزارة أو الإدارة المختصة، وتُرسل صورة إلى وزارة المالية لتنفيذها وفقاً لقانون جباية الضرائب المباشرة. كما أجاز القانون للموظف الطعن في قرارات الديوان القضائية النهائية، إمّا عبر طلب إعادة النظر في القرار أمام الديوان، أو طلب نقض القرار أمام مجلس شورى الدولة.

(انجل بوليغان _المكسيك)

> **الرقابة المسبقة وقائية تحول دون وقوع الهدر في الأموال العمومية ودون مخالفة القوانين**

ما هي العقوبات التي يمكن أن يحكم بها الديوان على الأشخاص بعد محاكمتهم أمامه؟

كل موظف ارتكب أو ساهم في ارتكاب إحدى المخالفات، يمكن للديوان أن يصدر قراراً بحقه يتضمّن إحدى هذه العقوبات:
- الغرامة من 150 ألف ليرة إلى مليون وخمسمئة ألف ليرة
- الإلزاميات المدنية والعقوبات الجزائية والمسلكية التي يمكن أن تقضي بها المحاكم الجزائية أو المراجع المختصة الأخرى
- غرامة إضافية تحسب بالنسبة إلى أهمية المخالفة المرتكبة وإلى مقدار الراتب غير الصافي الذي يتقاضاه الموظف المُخالف في حال تقاضيه راتباً، أو إلى مقدار مخصصاته أو ما يماثلها في الحالات الأخرى. ولا يمكن أن تقلّ هذه الغرامة الإضافية عن راتب الموظف الشهري أو عن مخصصاته الشهرية أو ما يعادلها بتاريخ ارتكاب المخالفة، ولا أن تزيد على مجموع راتبه السنوي أو مخصصاته السنوية ما يماثلها بالتاريخ المذكور.

هل يعاقَب الموظف المخالف بعقوبات ديوان المحاسبة فقط؟

الملاحقة أمام ديوان المحاسبة مستقلة عن الملاحقة الجزائية أمام القضاء العدلي المختص، فيلاحق الموظف على مخالفته المالية أمام الديوان، وعلى ارتكابه جرم الرشوة مثلاً أمام القضاء الجزائي.

ماذا يفعل الديوان إذا وجد أن مرتكب المخالفة وزير؟

لا يسمح قانون تنظيم ديوان المحاسبة ولا القانون اللبناني بملاحقة الوزير أمام ديوان المحاسبة، بل كل ما يمكن للديوان القيام به هو «أن يُحيط مجلس النواب علماً بالمخالفات المرتكبة من قِبل الوزراء» (المادة 64).

ما هي مخالفات الموظفين التي يلاحقها الديوان؟

يُعاقب (بموجب المادة 60، من قانون تنظيم ديوان المحاسبة) كل موظف:
1- عقد نفقة خلافاً لأحكام القانون أو النظام.
2- عقد نفقة من دون الحصول على تأشير مراقب عقد النفقات.
3- أهمل عرض إحدى المعاملات على رقابة الديوان المسبقة أو وضع موضع التنفيذ معاملة لم تعرض على هذه الرقابة أو وضع موضع التنفيذ معاملة من دون التقيد بالشروط الواردة في قرار الديوان بشأنها.
4- لم يتقيّد برفض التأشير على المعاملة من قِبل ديوان المحاسبة أو من قِبل مراقب عقد النفقات.
5- أساء قيد إحدى النفقات لستر تجاوز في الاعتمادات.
6- نفّذ أمراً مخالفاً للقانون ورده عن غير طريق رئيسه التسلسلي.
7- أكسب أو حاول أن يُكسب الأشخاص الذين يتعاقدون مع الإدارة ربحاً غير مشروع.
8- ارتكب خطأ أو تقصيراً أو إهمالاً من شأنه إيقاع ضرر مادي بالأموال العمومية أو بالأموال المودعة في الخزينة.
9- تأخر عن إيداع ديوان المحاسبة أو النيابة العامة لديه الحسابات والمستندات والإيضاحات المطلوبة ضمن المهل المحددة في القوانين والأنظمة.
10- خالف النصوص المتعلقة بإدارة أو استعمال الأموال العمومية أو الأموال المودعة في الخزينة.

قسم «الموظف الشريف الصادق»

يؤدّي الموظفون الخاضعون لحلف اليمين أمام ديوان المحاسبة اليمين التالي نصّها: «أقسم بالله العظيم أن أؤدي واجب الوظيفة بأمانة وإخلاص وأن أحافظ أبداً على سرها». كما يحلف المراقبون ومدققو الحسابات أمام مجلس ديوان المحاسبة، قبل مباشرتهم العمل، اليمين الآتية: «أقسم بالله العظيم أن أقوم بمهام وظيفتي بصدق وأمانة وأتصرف تصرّف الموظف الشريف الصادق، وأحفظ سر المهنة».

قانون تنظيم ديوان المحاسبة

في العمق

النيابة العامة المالية: لزوم ما لا يلزم؟

فداء عبد الفتاح

عندما تتداخل السياسة والمصالح الفئوية مع القوانين والأنظمة المرعية الإجراء، تكون الغلبة في معظم الحالات لمصلحة ما هو مخالف للقانون، لأن الشواذ في منظومة أساساتها طائفية سياسية، وليست قانونية، يصبح قاعدة عامة. في لبنان، تتوزع المهام القضائية بين أربع نيابات عامة: النيابة العامة التمييزية المسؤولة عن النيابة العامة المالية، والنيابة العامة الاستئنافية، والنيابة العامة العسكرية. وللنيابات العامة قواعد تحكم أعمالها واختصاصها، وتمثل جميعها المصلحة العليا للدولة. سنتحدث في هذا المقال عن النيابة العامة المالية ومسؤولياتها تجاه المجتمع والدولة، وسنحاول أن نحدّد مدى تحمّلها مسؤولية الانهيار المالي والاقتصادي من خلال الإضاءة على نموذج حول التقاضي أمامها

كيف تتحرك النيابة العامة المالية؟

تتحرك النيابة العامة المالية بناء على طلب النائب العام التمييزي في كل الجرائم المالية التي يتّصل خبرها بعلمه، كما على النائب العام المالي أن يُطلع النائب العام التمييزي بكل دعوى مهمة تُعرض أمامه (المادة 10). هذا يعني أن النائب العام المالي يتحرك، إما بناءً على طلب النائب العام التمييزي، أو بناءً على شكوى أو إخبار مقدّم أمامه بشكل مباشر، وعليه إعلام النائب العام التمييزي به. في المقابل، على النيابة العامة الاستئنافية أن تُعلم النيابة العامة المالية في كل الدعاوى التي تصل إليها ولها علاقة باختصاص النيابة العامة المالية.

ما هو دور مكتب مكافحة الجرائم المالية وتبييض الاموال؟

يُنفّذ قرارات النيابة العامة المالية ويجري التحقيقات المرتبطة بالشكاوى الواردة إليها، مكتب مكافحة الجرائم المالية وتبييض الأموال التابع لقوى الأمن الداخلي، الذي ينسّق بشكل كامل مع «هيئة التحقيق الخاصة» التابعة لمصرف لبنان. يُعدّ هذا الجهاز ضابطة عدلية، إذ يُجري التحقيقات الأولية ويُنظم المحاضر ويُحيلها إلى النيابة العامة المالية لإجراء المقتضى القانوني، كما يُنفّذ هذا الجهاز كل القرارات المرتبطة بأعمال النيابة العامة المالية.

كيف تُقدّم الإخبارات والشكاوى امام النيابة العامة المالية؟

تقدّم أمام النيابة العامة المالية شكاوى يُتخذ فيها صفة الادعاء الشخصي المباشر في وجه المدعى عليه سواء كان شخصية عادية أو اعتبارية أو سياسية. كما يقدّم أمامها إخبار عن مخالفة قانونية أو عن ارتكاب جرم من ضمن اختصاص النيابة العامة المالية، التي عليها التحرك فوراً ومتابعة كافة التحقيقات اللازمة من مضمون الإخبار واتخاذ القرارات المناسبة.

كل إخبار يصل إلى النيابة العامة المالية بشكل مباشر عبر تقديمه بموجب كتاب، أو بشكل غير مباشر عبر وسائل الإعلام أو خبر يتداوله الرأي العام، على النائب العام التمييزي أن يطلب مباشرة من النائب العام المالي التحرك لإجراء التحقيقات اللازمة وإجراء المقتضى القانوني. وبإمكان النائب العام المالي أن يتحرك فوراً بعد إبلاغ النائب العام التمييزي.

نماذج إخبارات وشكاوى امام النيابة العامة المالية

في العام 2020 قُدّم إخبار أمام النيابة العامة المالية ضد مؤسسة تجارية تتعاطى الأعمال المالية، من قروض ورهن وتداول بالعملة الرقمية، خلافاً لموضوعها وللقانون. مع بداية أزمة المصارف، تعامل صاحب هذه المؤسسة والعاملون فيها مع الزبائن على أنهم مؤسسة مالية تُطبّق قرارات مصرف لبنان، لجهة إعطاء الزبائن فقط 30% من نسبة أموالهم المستحقة شهرياً. بعد أشهر قليلة من بدء الأزمة، قرّر صاحب المؤسسة الاستيلاء على كل الذهب المودع لديه وسَيله أي تحويله إلى العملة الورقية بالدولار الأميركي. تعالت صرخة الزبائن، وحصل تبادل لإطلاق النار بين الزبائن والحراس المولجين حماية فروع المؤسسة. وبدأت تظهر للعلن تسجيلات صوتية وفيديوهات تبيّن عمل العصابات داخل فروع المؤسسة من خلال السلاح الظاهر مع الموظفين، والاعتداء الجسدي على بعض الزبائن وإلزامهم بتوقيع براءات ذمة شاملة لصالح المؤسسة لقاء إعطائهم جزءاً بسيطاً من أموالهم.

الانتهاكات والاعتداءات التي ضجّت بها وسائل التواصل الاجتماعي لم تحرّك ساكناً لدى أي جهاز أمني أو قضائي، إلى أن قدّم أحد الموظفين السابقين العاملين في المؤسسة إخباراً إلى النيابة العامة المالية، وعرض مستندات ووثائق تُثبت جرم النصب والاحتيال ومخالفة قانون النقد والتسليف وتبييض الأموال وإساءة الأمانة. وتبعه عدد من الشكاوى أمام النيابة العامة الاستئنافية من قِبل بعض الزبائن، وقد قُدرت الأموال المسلوبة، من حوالي خمسة آلاف زبون، من لبنانيين وجنسيات أخرى، بملايين الدولارات تبدأ باستثمار ليرة ذهب وتصل إلى رهن مئات السبائك.

الأمر المستغرب الذي يطرح عشرات علامات الاستفهام حول عمل النيابات العامة، كان مدى تدخل السياسة في أعمالها، وكيف تُقدّم المصلحة الفئوية على المصلحة العامة من دون أن يرفّ جفن لمن يتخذ قرار حفظ الإخبار أو الشكوى، مع عدم إجراء أي تحقيق أو اتخاذ أي تدبير احترازي وأي استدعاءات، وفي أحسن الأحوال قد يُجرى تحقيق شكلي ويُقرر حفظ الشكوى لعدم وجود جرم.

في النموذج الذي تحدثنا عنه وبعد حفظ الشكوى، تقدّم ثمانية وثلاثون مدعياً بشكوى مع اتخاذ صفة الادعاء الشخصي كي تقطع الطريق على احتمال حفظ الشكوى بسبب العدد الكبير للمدّعين، وأرفقت بالمستندات التي كانت مرفقة بالإخبار الذي حُفظ، بالإضافة إلى مستندات أخرى جديدة. استلمت الشكوى قاضية من القضاة المساعدين للنائب العام وأجرت استجواباً لأحد الموظفين العاملين في المؤسسة ولوكيل الزبائن، ودققت في المستندات المرفقة. وبعد تشاور سريع مع النائب العام المالي اتُّخذ القرار بإقفال جميع فروع المؤسسة في كل لبنان بالشمع الأحمر والادعاء على صاحبها بجرم تبييض الأموال.

سلكت الشكوى نفسها، أمام المرجع نفسه، مسلكين مختلفين. حُفظت في البداية (إخبار)، وأُقفلت المؤسسة بالشمع الأحمر في المسلك الثاني (تقديم الشكوى)، والسبب تدخل السياسة والحسابات الفئوية بالعمل القضائي الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه اليوم، والذي يدفع ثمنه كل شرائح المجتمع بما فيها الجسم القضائي.

في قضية أخرى، تقدّمت جمعية «الجنوبيون الخضر» في العام 2014 بإخبار أمام النيابة العامة المالية بموضوع سرقة 66 مسلة جنائزية فينيقية من مدينة صور إبان الاحتلال الصهيوني للجنوب، إذ تُعدّ هذه السرقة من أكبر العمليات التي قام بها أفراد في التاريخ لجهة عدد المسلات وأهميتها العلمية والتاريخية، وحتى تاريخ كتابة هذا المقال لم يجر أي تحقيق بشأنها، ولم تُعد إلى المتحف الوطني على الرغم من أهميتها الكبرى، ليس لبنانياً فقط، إنما على صعيد التاريخ الإنساني العالمي.

هذا النهج المتّبع من قبل النيابة العامة المالية في الملفات الحساسة، يفتح الباب واسعاً لارتكاب جرائم مالية كبرى تستهدف مؤسسات الدولة ومقدّرات شعبها. وهنا تكمن أهمية دورها المقيّد باعتبارات طائفية وسياسية تحدّ من صلاحيات النائب العام وتقيّد عمله. من جهة ثانية، إن حجم المخالفات الكبرى وعدد الشكاوى الكبير الذي بمعظمه يقدّم كإخبارات، منها موثّق بالمستندات والأدلة ومنها ما يحتاج إلى التحقيق والتدقيق ويقدّم فقط لتسجيل المواقف السياسية، لا يوجد عناصر بشرية كافية لمتابعتها. كما لا تتوافر إمكانيات لوجستية للتحقيق فيها سواء بالعدد المحدد من القضاة والمساعدين القضائيين المسؤولين عن كل المناطق اللبنانية، وهذا أمر يجب أن يؤخذ في الاعتبار لأنه أيضاً أحد الأسباب التي تعيق عمل النيابة العامة المالية، إلى جانب التدخلات السياسية.

أزمة نهج

تكرار مقولة إن عشرات الإخبارات والشكاوى تُقدّم أمام النيابة العامة المالية تحديداً، من دون اتخاذ أي إجراء قضائي بحق المخالفين والمرتكبين وتوجيه السهام نحو النائب العام المالي بأن أقصى ما يقوم به هو دعوة المشكو منه لشرب فنجان قهوة والسلام، هو كلام إعلامي يندرج ضمن باب المزايدات الإعلامية ولا يضع الإصبع على الجرح ولا يقدم أي حل للواقع المحكومين فيه. لأن الأزمة ليست أزمة نائب عام أو قاض من هنا أو هناك، إنما هي أزمة نهج متكامل وأزمة نظام قائم على المحاصصة الطائفية وحفظ حق كل طرف بعدم المساس حتى بمجرميه وفاسديه. بالتالي، فإن المسؤول المباشر عمّا وصلنا إليه، بضرب صمّام أمان أي مجتمع «السلطة القضائية»، هو النظام السياسي بكافة أركانه. ولا يمكن لأي جهة التنصّل من مسؤولياتها، لأن المحاصصة الطائفية والسياسية تتحكم بكل مفاصل مؤسسات الدولة، من تعيين الحاجب إلى تعيين المدير العام والوزير والنائب العام. ويبقى الموظف مرتهناً للجهة التي عيّنته وليس للنصّ القانوني الواجب التطبيق. لهذا يبقى مشروع استقلالية السلطة القضائية منسياً في أدراج مجلس النواب وعصياً على الإقرار، لأنه يجرّد هذه المنظومة من أهم أسلحتها، بل أكثر من ذلك، تصبح السلطة القضائية السلاح الموجه نحو رؤوس أركان السلطة السياسية من دون أي تمييز بينها وأي تفضيل لجهة على أخرى. يصبح القانون وحده من يُطاع، من رأس السلطة إلى كل فئات المجتمع. فهل من نيّة جدية لإقرار قانون «استقلالية السلطة القضائية»؟

> عندما تتداخل السياسة والمصالح الفئوية مع القوانين تكون الغلبة لمصلحة ما هو مخالف للقانون

تحديد الاختصاص

أنشئت النيابة العامة المالية (بموجب المادة 31 من المرسوم الاشتراعي رقم 150 تاريخ 1983/9/16) وتخضع لسلطة النائب العام التمييزي. ويشمل اختصاصها ما يلي:

- «المخالفات المتعلقة بالقوانين الضريبية، الأميرية والبلدية والرسوم الجمركية ورسوم المخابرات السلكية واللاسلكية والرسوم العائدة للمؤسسات العامة والبلديات.
- الجرائم المتعلقة بالقوانين المصرفية والمؤسسات المالية والبورصة ولا سيّما المنصوص عليها في قانون النقد والتسليف.
- الجرائم المتعلقة بقوانين الشركات المساهمة وجرائم الإفلاس إضراراً بالدائنين.
- الجرائم التي تنال من مكانة الدولة المالية وجرائم تقليد وتزييف العملة والأسناد العامة والطوابع وأوراق التمغة واختلاس الأموال العمومية» (المادة 6، من المرسوم الاشتراعي رقم 1937، تاريخ 1991/11/16، تحديد مهام وصلاحيات النيابة العامة المالية).

من خلال هذه المهام المحددة حصراً في مرسوم إنشاء النيابة العامة المالية، نرى حجم الدور والمسؤولية المنوطة بها، خصوصاً في ما يجري حالياً على الساحة اللبنانية، وتحديداً أزمة المصارف وانهيار سعر صرف الليرة اللبنانية وغيرها من الجرائم المالية الكبرى التي انكشفت للعلن في السنوات الثلاث الأخيرة.

المختبر الجنائي

تقنيات التدقيق الجنائي
سبل كشف الاحتيال المالي

جنان الخطيب

في ظل الأزمة المالية، ومع ارتفاع مؤشر الفساد والتهرب الضريبي والعجز الكبير في مختلف القطاعات وازدياد الدين العام، يؤدي التدقيق الجنائي دوراً أساسياً لكشف الارتكابات المالية والانتهاكات القانونية في عمل الإدارات والمؤسسات العامة والصناديق، عبر تحديد طرق إنفاق المال العام وحجم الخسائر والمسؤولين عنها. وبحسب مؤشّر مدركات الفساد لعام 2022، الصادر عن منظمة الشفافية الدولية، يحتلّ لبنان المرتبة الـ 150عالمياً، من بين 180 دولة يتضمّنها المؤشر، مسجّلاً تراجعاً كبيراً على درجات المؤشر، إذ انخفض ست نقاط منذ عام 2012 ليسجل 24 من أصل 100 (مقياس يتراوح من 0 [فاسد جداً] إلى 100 [نظيف جداً]).

من جهة أخرى، هناك عوامل عدة تعيق الكشف عن الاحتيال المالي ككمية البيانات الهائلة، وندرة مهارات التحليل الجنائي، والكلفة الباهظة للتكنولوجيا والتدريب. والأهم من ذلك كله، توافر النية الصادقة للتدقيق والإصلاح والابتعاد عن الاستنسابية والانتقائية. ومن الضروري التحقيق في التفاصيل الدقيقة بعد جمع الأدلة المهمة من مصادر عدة لضمان استقراء الأدلة الشاملة وتلخيصها، ومن ثم التحليل ومعالجة البيانات من دون الاعتماد على التخمين والنمذجة القائمة على الافتراضات المحدودة.

ماذا يعني التدقيق الجنائي؟

التدقيق الجنائي هو عملية «فحص السجلات المالية» لاستخلاص الأدلة التي يمكن استخدامها في محكمة قانونية أو إجراء قانوني. يتم إجراء تحقيقات التدقيق الجنائي لعدة أسباب، بما في ذلك قضايا الفساد، حيث يبحث المدقق عن حالات الرشوة، الابتزاز و«تضارب المصالح». في هذه الحالة، يستخدم «المرتكب» نفوذه لتحقيق مكاسب شخصية ضارّة بالإدارة أو المؤسسة. على سبيل المثال، إذا وافق المدير على مصاريف غير دقيقة لموظف تربطه به علاقات شخصية. فرغم أن المدير لم يستفد مالياً بشكل مباشر من هذه الموافقة، إلا أنه يُعتقد أن من المحتمل أن يتلقى منافع شخصية بعد إجراء مثل هذه الموافقات غير الملائمة.

> يبحث المدقق عن الاختلاس والفواتير المزيفة والمدفوعات لموظفين غير موجودين وإساءة استخدام الأصول

في التدقيق الجنائي في قضايا اختلاس الأصول، يبحث المدقق عن اختلاس النقد، وإنشاء فواتير مزيفة، والمدفوعات المقدمة لموردين أو موظفين غير موجودين، وإساءة استخدام الأصول. وإلى جانب ذلك، يكشف التدقيق الجنائي عن قضايا «الاحتيال في البيانات المالية» التي قد تقدمها بعض المؤسسات في محاولة لإظهار الأداء المالي للإدارة على أنه أفضل مما هو عليه بالفعل. وقد يكون الهدف من تقديم أرقام احتيالية تحسين السيولة عبر تزوير متعمّد للسجلات المحاسبية، أو حذف المعاملات (إما الإيرادات أو النفقات)، أو عدم الكشف عن التفاصيل ذات الصلة من البيانات المالية، أو عدم تطبيق معايير التقارير المالية المطلوبة.

إجراءات التدقيق الجنائي

يتضمن التدقيق الجنائي خطوات إضافية عن تلك التي يتم إجراؤها خلال إجراءات التدقيق الروتينية. وبالتالي، من الضروري أن يحصل المدقق الجنائي على تدريب خاص في تقنيات التدقيق الجنائي وفي الجوانب القانونية لقضايا المحاسبة:

أولاً: وضع خطة التحقيق

يخطط المدقق الجنائي لتحقيق أهداف مثل:

- تحديد نوع الاحتيال
- تحديد الفترة الزمنية التي حدث خلالها الاحتيال
- استطلاع أساليب تمويه وإخفاء الاحتيال
- تحديد المشتبه به في عملية الاحتيال
- تحديد الخسائر المتكبدة بسبب الاحتيال
- جمع الأدلة ذات الصلة التي يمكن قبولها في المحكمة
- اقتراح التدابير التي يمكن أن تمنع الاحتيال في المؤسسة في المستقبل

ثانياً: جمع القرائن والأدلة

من الضروري أن تكون الأدلة التي تم جمعها كافية بما يكفي لإثبات هوية المشتبه به (م) في المحكمة، والكشف عن تفاصيل مخطط الاحتيال، وتوثيق مبلغ الخسارة المالية المتكبدة والأطراف المتأثرة بالاحتيال. سيساعد التدفق المنطقي للأدلة المحكمة في فهم الاحتيال والأدلة المقدمة. ومن المهم أن يتخذ المدقق الجنائي الاحتياطات لضمان عدم إتلاف المستندات والأدلة الأخرى التي تم جمعها أو تغييرها من قبل أي شخص. وتتضمن الأساليب المستخدمة لجمع الأدلة في التدقيق الجنائي:

- التقنيات الموضوعية: مراجعة المستندات، الجرد المادي، سجلات المحاسبة المالية، إجراء مقابلات مع الموظفين المعنيين.
- الإجراءات التحليلية: تُستخدم لمقارنة الاتجاهات خلال فترة زمنية معينة أو للحصول على بيانات مقارنة من قطاعات مختلفة
- تقنيات التدقيق بواسطة التكنولوجيا الرقمية التي يمكن اللجوء إليها لتحليل الملفات والحسابات المالية
- تكوين مفهوم دقيق للضوابط/ العوامل الداخلية واختبارها لتحديد الثغرات التي سمحت بارتكاب الاحتيال.

ثالثاً: إعداد التقارير ووضع الخلاصات

- يتضمن التقرير نتائج التحقيق، وملخصاً للأدلة، وشرحاً لكيفية ارتكاب الاحتيال، واقتراحات حول كيفية تحسين الضوابط الداخلية لمنع مثل هذه الاحتيالات في المستقبل.
- من المفترض أن يكون المدقق الجنائي حاضراً أثناء إجراءات المحكمة لشرح الأدلة التي تم جمعها وكيفية التعرف على المشتبه به.
- من الضروري تبسيط القضايا المحاسبية المعقدة والشرح بلغة الشخص العادي ليتمكن الأشخاص الذين ليس لديهم فهم للمصطلحات المحاسبية من فهم الاحتيال الذي تم تنفيذه.

(صف الويب)

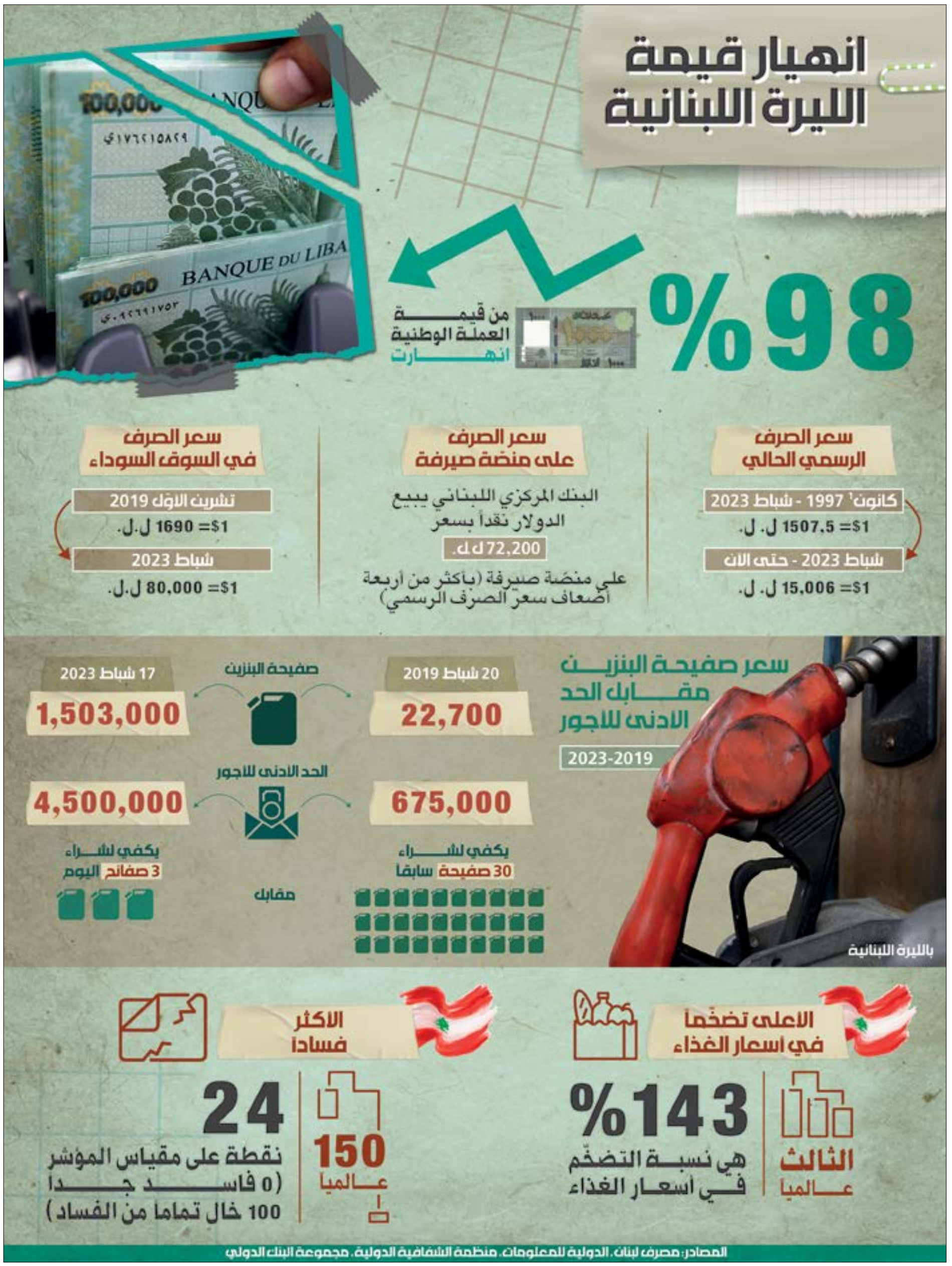

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com